

UPPSALA UNIVERSITETSBIBLIOTEK



16000

001910864

كتاب التكميل  
في شرح منازل السالكين  
الشيخ الامام أبي اسحاق محمد بن ابي بكر  
الشيخ والشافعي والتعليق

بقلم

الأستاذ محمود أبو الفتح المني  
رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي وميد السادة الفضيل

دار النهضة مصر للطبع والنشر  
القاهرة - القاهرة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مَقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذى اتخذ من عباده صفوة لحضرته وخصهم استثناء من سائر خلقه فقال :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . وإذا مرو باللغوا مروا كراما) .

والصلاة والسلام على صفوة المحبوبين وإمام المحبين وسيد المرسلين المبعوث للخلق أجمعين هدى ورحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وبعد .

فلما كان كتاب منازل السائرين للشيخ الإمام الهروى المفسر غنى بالمعاني ولكنه صعب الممانى ، إذا تتبعنا ما يحتويه من حقائق . بحيث ترى ألفاظه ومعانيه تبدو كالرموز لغير البصير الخبير العليم بمصطلحات القول الذين يعنيههم أمرهم من أهل التصوف ومن المسافرين إلى حضرة الحق ، فأردنا تسهيل مبانيه وإيضاح خفي حقائقه ومساير أمراره وباطن معانيه ، لعلنا نفيد بذلك إرواء قلوب المتعطشين وأنفذة ضامئين إلى سلاف الحقائق وواجيد العارفين طالبين واضع المسالك من علوم أهل الطريق ومحبي التحقيق .

وقد آن لنا أن نقبس للقارىء شيئا من مقدمة المؤلف حيث يقول :  
رضى الله عنه فى مقدمة كتابه « منازل السائرين إلى الحق » بعد أن حمد الله تعالى على رسوله الكريم مبينا المقصد فقال .

الحمد لله الواحد الأحد القيوم الصمد ، اللطيف القريب ، المهيمن  
السميع المجيب ، الذى أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم ، من عماء الحكم  
والأحلام لهم لوائح القدم فى صحائف العدم ، ودلهم على أقرب السبل إلى  
المنهج الأول ، وردهم من مفترق العلل ، إلى عين الأزل . وبث فيهم ذخائره  
وأودعهم سرائره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول  
والآخر والظاهر الباطن : الذى مد ظل التكوين على الخليفة سيرا ظليلا ثم  
جعل شمس التمكن لصفوته عليه دليلا ، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه  
قيضا يسيرا وصلوات الله وسلامه على صفيه محمد صلى الله عليه ... الخ .

ثم ذكر الشيخ الإمام رضى الله عنه أن جماعة من الراغبين فى الوقوف  
على منازل السائرين إلى الحق وطالت عليه مسألتهم فكان لا مندوحة له عن  
إجابتهم وقد سأله أن يرتب لهم الطريق ترتيبا فى أصوله وفروعه دون  
أن يخلطه بكلام غير كلامه وذكر أن أحد العارفين عد ألف مقام بين العبد وربّه ،  
من نور وظلمة (والقائل لهذه العبارة) (هو عبد الله البسرى الصوفى) ويقول  
الشيخ أن هذا قد يصد السالكين عن طريق الحق ، فضلا عن التطويل  
المؤدى إلى المالة . فجعلها الشيخ رضى الله عنه مائة مقام ، مقسومة على  
عشرة أقسام .

ثم قال : إن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه إلى غيره ثم يشرف  
عليه (ليصححه) . واستشهد بقول الإمام الجنيد رحمه الله (قد ينقل العبد  
من حال إلى حال أرفع منه وقد بقيت عليه بقية من الحال التى نقل عنها  
فيشرف عليها فى الثانية ويصححها) ثم قال الإمام الهروى رضى الله عنه ،  
أن عامة علماء هذه الطائفة (أى الصوفيين) اتفقوا على أن «النهايات لا تصح  
إلا بتصحيح البدايات» كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساسات . وذلك  
لإقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة ، وتعظيم النهى ، ورعاية  
الحرمة ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت أو يفتن القلب إلى أن قال :



إن الناس في هذا الشأن ثلاثة نفر : رجل يعمل بين الخوف والرجاء شاخصاً إلى الحب مع صحبة الحياء وهذا هو الذى يسمى « المرید » ورجل مختلف من وادى التفريق إلى وادى الجمع وهو الذى يقال له « المراد » .

والرتبة الثالثة وهى : كل ما سواهما فمدح مفتون وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث « الرتبة الأولى : أخذ القاصد فى السير ، والثانية دخوله فى الغربة ، والثالثة : حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد .

ثم استشهد الشيخ رضى الله عنه على ذلك بأحاديث منها عن الرتبة الأولى : عن الحسين بن محمد بن على الفرائضى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمى عن أبى هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( سيروا سبق المفردون قيل يا رسول الله ومن المفردون . قال : المهترون الذين يهترون فى ذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً وهو حديث حسن ومخرج فى صحيح مسلم ) والمفردون . معناه المتفردون ، المتخلصون مما يعيقهم عن حب الله وطاعته من الأسباب الفانية والمظاهر الخادعة . وأما المهترون فهم المسكرون من ذكر الله . كما يقول الله تعالى « الذين يذكرون قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم . يأتون يوم القيامة خفافاً - فهو واضح لأن من شأن الذكر تسبيحاً أو استغفاراً يحط من الذنوب والأوزار .

وفى معنى الدخول فى الغربة وهو الرتبة الثانية ما رواه حمزة بن محمد بن عبد الله الطوسي قال . سمعت من أبى عبد الله بن عبد الواحد الهاشمي الصوفي قال سمعت الأبنودي الصوفي بالبصرة قال سمعت جعفر الخالدي الصوفي يقول : قال سمعت الجنيد يقول سمعت السمرى السقطي عن معروف السكري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على رضى الله عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « طلب الحق غربة » .

وأخبرنا فى معنى الحصول على المشاهدة وهى الرتبة الثالثة بحسب

ترتيب الشيخ عن محمد بن علي بن الحسين الباساني عن محمد بن اسحاق القرشي عن عثمان بن سعيد الرازي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مطر الوراق عن أبي بريدة يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما في حديث سؤال جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما الإحسان قال : « إن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في الصحاح وفي هذا الحديث إشارة جامعة لمذاهب هذه الطائفة الصوفية ، وإنى مفصل لك درجات كل مقام منها لتعرف درجة العامة منهم ثم درجة السالك . ثم درجة المحقق ولكل منهم شرعة ومنهاج ووجهة هو موليا . وقد نسب له علم هو إليه معوث وأتيحت له في غاية هو إليها محوث . وأنا أسأل الله تعالى أن يجعلنى فى قصده بالعناية مصحوبا وأن يجعل لى سلطانا مبيتنا أنه سميع قريب .

ثم قال الشيخ الإمام رضى الله عنه معددا أقسام الأبواب فى كتابه وبين أبوابه المائة فى عشرة أقسام فقال :

إن الأقسام العشرة التى ذكرتها فى صدر الكتاب هى قسم البدايات والتى بعدها قسم الأبواب ثم قسم المعاملات ثم قسم الأخلاق ثم قسم الأصول ثم قسم الأدوية ثم قسم الأحوال ثم قسم الولايات ثم قسم الحقائق ثم قسم النهايات فتكون الأقسام مائة باب فى عشرة أقسام . ثم قسم رضى الله عنه : قسم البدايات إلى عشرة أبواب : وهى باب اليقظة وباب التوبة وباب المحاسبة وباب الإنابة وباب الفسك وباب الذكر وباب الاعتصام وباب العرار وباب الرياضة وباب السماع .

ولنبداً بشرح ( قسم البدايات ) :

## باب اليقظة

قال تعالى ( قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله ) والقومة لله تعالى هي اليقظة من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه .

ثم قال واليقظة ثلاثه أشياء : لحظ القلب للنعمة مع اليأس من عدها . أو الوقوف على حدها والعلم بالتقصير في حقها والتفرغ إلى معرفة المنتهى بها . والثاني : مطالعة الجناية والوقوف على الخطية فيها ثم التشمير لتداركها والتخلص من رقها وطلب النجاة يتمحيصها والثالث : الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان مع الأيام والتوصل من تصنيعها والنظر إلى الضن بها لتدارك فائتها وتعمير باقيها .

( أما قول الشيخ رضى الله عنه القومة لله هي اليقظة من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة فهو أول ما يستنير به قلب العبد إلى النعمة مع اليأس من عدها والوقوف على حدها ومعرفة المنتهى بها والعلم بالتقصير في حقها ويريد أن يقول إن اليقظة الصادقة هي القومة والنهوض من حضيض الغفلة لاستنارة قلبه بهواتف الحق ونور التنبيه . وهذا يوجب له ملاحظة نعم الله عليه باطنة وظاهرة وكلما تبصر فيها يئس من عدها أو الوقوف على مدى تعدادها ، فحينئذ يشاهد منه الله عليه فيها من غير استحقاق منه لها . واستجلاب بعوض ، وحينئذ يتيقن تقصيره في أداء واجب تلك النعم من الطاعة لمسديها والقيام بشكر المنعم بها . وهذا يقتضى ضرورة محبة المنعم واللهم بذكره ورؤية التقصير في حقه

ثم قال : والثاني أى الأمر الثانى مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها والتشمير لتداركها والتخلص من رقها وطلب النجاة يتمحيصها .

والجناية المقصود مطالعتها هنا هي التقصير في شكر النعمة والقيام  
بواجب الخدمة فإذا تيقظ العبد لذلك أدرك الخطر منه أى فى جناية  
التقصير وهذا طبعاً يدعو للشمير إلى تداركها وطالب النجاة من حضيضها  
فينظر إلى تعدد اساءاته مع تعدد أنعم الله عليه فيعلم أنه لم يشمر بالسعى  
فهو فى خطر عظيم حينما يحاسبه صاحب الحق عليه بموجب حقه يوم الجزاء  
أو فى الدنيا . وهذا يرجب عليه ما فى المرتبة الثالثة التى ذكرها الشيخ من  
مراتب اليقظة . وهو الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى عمله مع مرور  
الأيام والتخلص من التضييع الذى يتدارك ما فاتته منها ثم تعمير باقى الأعمال  
الصالحات فيتدارك ما فاتته منها فيعمل على الجِد فى بقية عمره ويضرب بأنفاسه  
ولحظاته أن تضيع فى غير ما تقرب إلى ربه المنعم عليه . فكل عمل يبعد من  
الله حسرة على العبد وحجاب عن رؤية فضله .

ثم قال رضى الله عنه : فأما معرفة النعمة فانها تصفو بثلاثة أشياء بنور  
العقل أى بآدمان الفكر فى ملكوت السموات والأرض وفى مواهب  
الله على النفس أى النعم قال « وبشيم يروق المنة » أى ملاحظة مواهب  
المنن الواصلة من الحق إلى العبد والاعتبار بأهل البلاء أى الذين استدرجهم  
الله فأولاهم من النعم الكثير فلم يقرموا بعبعض شكره عليه بل انصرفوا  
بنعمائه عن طاعته وشكره أولئك أهل الغفلة . وأما أهل اليقظة فبمشاهدة  
النعمة ومطالعة جناية الغفلة فانهم بذلك فى يقظة مال : وذلك لا يصح إلا  
بثلاثة أشياء : تعظيم الحق ومعرفة النفس وتصديق الوعيد .

أما تعظيم الحق فبطاعته وشكره والانكسار لحضرتة . وأما معرفة  
النفس فهى درس أطوارها وأول تلك الأطوار أن النفس أماراة بالسوء  
فإذا تيقظت لامت نفسها وهى النفس اللوامة . فإذا ما استبصرت أكثر  
فأكثر صارت مأممة وأبصرت بالبصيرة الصادقة التمييز بين فجورها  
وتقواها . فتهرب من الفجور والتضييع وتغمر الوقت بالتقوى فإذا

جئت في ذلك صارت نفسا مطمئنة واستحقت بذلك قوله تعالى « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية » ويؤيد ذلك ويدعو إليه تصديق الوعيد أى ما توعد الله به . وقد استغرب القوم وهم الصوفية فقالوا ( من صدق بالوعيد كيف يحيد ؟ ) وذلك لأن التصديق بالوعيد يحض على العزم والتشمير في السير ويمنع من تضييع الأوقات في الطعن والتخلف لأن من عظمت مخافة الله عنده قلت أو امتنعت مخالفته له . ثم قال الشيخ . وأما معرفة الزيادة والنقصان من الأيام فإنها تستقيم بثلاثة أشياء سماع العلم واجابة داعى الحرمة وصحبة الصالحين ، وملاك هذا كله ترك العادات ومفارقة المألوفات أى مألوفات النفس من النزوات والهوى .

أما العلم فهو أساس كل طاعة وأول كل معرفة ولن يطاع الله بالجهل وإنما يطاع بالعلم ، وحسبنا في ذلك أن أول الآيات التى أنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم تحض على العلم وذلك في قوله تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » ثم قول الله تعالى لرسوله الكريم بعد ذلك ( وقل رب زدنى علما ) .

وأما إجابة داعى الحرمة أى خشية الحق واحترام أوامره التى هى أوامر شرعه فإنها هى الطريق الرشيد إلى رضوانه والوصول إلى حضرته . ( أما صحبة الصالحين فإنها عون على مراده ومقتضاه بسماع أقوالهم ورؤية أحوالهم والتشبه بهم .

قال وملاك ذلك كله : ترك العادات وذلك لأن العادات الشائعة في الناس مبعدة فتركها مقرب إلى حضرة الحق . فأول ما يبدأ به صاحب اليقظة وهو المتقام الذى تتكلم فيه بأن يقوم لله قومة كما يقول الشيخ . والقومة لله انخلاع عن ريق العادات وقيد الشهوات والنهوض من الوقوع فيما يقع في

مثله شرار المخلوقات فإذا تمكنت اليقظة من قلب العبد أوجبت الفرقة في الآل والمصير والماضى والحاضر والمستقبل ضرورة .

وفي هذه المعاني كلها من باب اليقظة والانتباه أنشد مذهب القوم القصيدة الآتية : مرتبة على أحرف المعجم .

انتبه من كل نوم اغفلك	واخش ربا بالعطايا جملك
بع له دنيا <sup>(١)</sup> بأخراك فمن	باع أخراه بدنياء هلك
تابع المختار واسلك نهجه	فهو نور من مشى فيه سلك
ثق بمولاك وكن عبدا له	إن عبد الله في الدنيا ملك
جدد النوح على ماقد مضى	من زمان في المعاصي شغلك
حاسب النفس وعلما الرضى	بالقضاء واعص هواها ترضى لك
خذ من التقوى لباسا طاهرا	فالتقى خير لباس يملك
داوم الذكر لخلاق الورى	واترك الأمر لمن أجرى الفلك
ذل واخضع واستقم واعبد له	مخلصا يفتح باب الخير لك
روح القلب له والمكلف على	بابه فهو الذى قد فضلك
زين الباطن بالتقوى كما	تحسن الظاهر تعطى أملاك
سلم الأمر لله تسلم فكركم	من فنى قد سلم الأمر سلك
شق حجب الكون للمعبود لا	تلتفت إلا إليه يقبلك
صن عن الدنيا فؤادا ويذا	ولسانا وله أخلص عملك
ضم احشاك على توحيده	فهو نور يذهب الداجى الحلك
طب به واقتنع به عن غيره	فهو كاف فضله قد شملك
ظن خيرا تلتقى ما ترتجى	من جميع الخير حتى يقبلك

(١) المراد ببيع الدنيا هنا ليس تعطيلها وإنما تسليمها لله مع العمل فيها على شرط الرضى بما يجريه الله على العبد في عمله للدنيا .

عد إليه كلما حل البلى	عل تسلم من رجيم سولك
غص بحجار الأنس في جنح الدجى	لكريم بالعطايا خولك
فارق التدبير والعلم له	واسأل المولى يصفى منهلك
قل بذل يارحيم الرحماء	يا منج بالعطايا من هلك
كن مجيرا ونصيرا وحى	لعبد مذنب قد سأللك
لذت بالباب فحاشا أن أرى	تعبا والأمر والتدبير لك
مر عيش والخطأ أبعدنى	واعتقادى الصفح عمن عاملك
نحنا من كل كرب وبلى	يوم يبقى العبد مكتوب الملك
هب لنا الستر ولا تفضحننا	يا آلهى واعف عمن سأللك
وإذا حاسبتنا فى الحشر قل	أن ذا عىدى وفى فضلى سلك
لا تؤاخذنى نهار الحشر إن	شهدت أعضاء بالأفعال لك
يا محيب القصد يسر أمرنا	واقض عنا ما المخلوق ولك
وصلاة وسلاما للذى	جاءنا نورا فنجى من هلك
أحمد المحمود مع أصحابه	ما سرى سار فى هار أو ورج

## باب التوبة

وبعد هذا بدأ الشيخ رضى الله عنه يتكلم عن مقام التوبة ، وطبعاً ليس بعد اليقظة فى عرف أهل التصوف سوى التوبة وقال الله تعالى ( ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ) فأسقط اسم الظلم عن النائب . والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب وهى أن تنظر فى الذنب إلى ثلاثة أشياء - إلى انخلاعك عن المعصية حين إتيانه وفرحك عند الظفر به وقعودك على الإصرار عن تداركه مع تفبؤك بنظر الحق إليك - ومعنى قوله رضى الله عنه انخلاعك عن المعصية أى بالخروج عن الطاعة إلى المعصية حين إتيان الذنب وفرحك عند الظفر به أى السرور باتيان الذنب مع أنه موبق وذلك

السرور عادة يدعوك إلى الإصرار على الذنب فلا تتداركه بالرجوع إلى الطاعة مع علمك اليقيني بأن الله ناظر إليك .

ثم قال رضى الله عنه . وشروط التوبة ثلاثة أشياء : الندم ، والاعتذار والإقلاع — أى الندم على مامضى من وقتك فى المعصية وكان أولى به ألا ينفق إلا فى طاعه ، وهذا ما يوجب الاعتذار إلى ربك بالإقلاع عن ذنبك والاستغفار لحصوله ثم التوبة منه والإقلاع عنه — ثم قال رضى الله عنه وحقائق التوبة ثلاثة أشياء تعظيم الجناية واتهام النفس وطلب أعذار الخليفة — والتوبة لا تكون إلا بالتفكير فى عظم الذنب واتهام النفس فيما دعت إليه من المعصية دعوتها إلى المتاب مع طلب أعذار الخليفة .

وقوله وطلب أعذار الخليفة : معناه ألا يقيس نفسه بغيره من العصاة الذين كان مبلغ موضعهم من الله ما أقاموا فيه من نقص ولا تلموهم على أن شجعوك على المعصية بل تسامحهم وتطلب العذر لهم . وذلك بالألتهم إلا نفسك التى أنت مسئول عنها دون غيرها .

ثم قال وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تمييز الثقة من العزة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة . لأن التائب داخل فى الجميع من قوله تعالى ( وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون ) فأمر التائب بالتوبة ( فكان له الفضل وهذا يحمل التائب بنفسى نفسه أنه تائب ) .

ثم قال ولطائف أسرار التوبة ثلاثة أشياء : أولها — النظر إلى الجناية والمعصية فتعرف مراد الله تعالى فيها إذا أخلاه وإتيانها فان الله تعالى إنما يحلى العبد والذنب لأحد معنيين : أحدهما أن يعرف عزته فى قضائه وبره فى ستره ، وحلمه فى إمهال رأكبه وكرمه فى قبول المعذرة منه ، وفضله فى معرفته .

والثانى ليقم على العبد حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته . واللطفة



الثانية أن يعلم أن نظر البصير الصادق في سيئته لم يبق له حسنة بحال لأنه يسير بين مشاهدة المنة وإصلاح عيب النفس ، والطيفة الثالثة : أن مشاهدة العبد للحكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصعوده عن جميع المعاني إلى معنى الحكم - أما قوله النظر إلى الجناية والمعصية وذلك من جهة عظمها وفضاعة إتيانها لا من جهة تقديرها من الله تعالى عليه فإن الله ما أخلى العبد وإتيان المعصية إلا لأن يعرف العبد عزة ربه في قضائه ويعرف ربه في ستره ويدرك حلمه في إمامه . ثم كرمه في قبول المعذرة منه إذا اعترف العبد بذنبه وتاب منه إلى بارئه . وفي تعرف فضله في معرفة أن له ربا غفورا للذنوب وشكورا للعمل الصالح . هذه واحدة ، والثانية أن يقيم الرب على العبد حجة عدله إن عاقبه على ذنبه وحينئذ يتحقق العبد أن نظر السالك البصير في سيئته وفضل ربه عليه لم يبق له شخصيا حسنة يفتخر بها بحال من الأحوال لأنه يكون مشغولا حينئذ بشيئين مشاهدة منة ربه في الطاعة وإصلاح عيب النفس بالمحاسبة وكلاهما من الله لا منه . ثم يبين وجه العمل الصالح المثبت لوجود المنة والثاني لظلمة المعصية وذلك لأن مشاهدة العبد لأصل الحكم الإلهي في الخلق لم تدع له استحسان حسنة تأتي من قبل نفسه فيفتخر بها ولا استقباح سيئة من غيره وذلك لصعوده أي ارتفاع بصيرته عن جميع هذه المعاني العملية إلى معنى الحكم القدرى السكونى والحكم الشرعى الأمري .

ولذلك قال رضى الله عنه فان توبة العامة من الاستكثار للطاعة ، وقد يدعو إلى ثلاثة أشياء : ججود نعمة السر والفرح والسرور للإهمال ثم رؤية الحق على الله والاستغناء الذى هو عين الجبروت والتوئب على الله تعالى أى بالمكابرة والجحود وتوبة الأوساط من استغلال المعصية وهو عين الجرأة والمبارزة بمحض التزين والاسترسال الذى قد يؤدى إلى القطيعة وتوبة الخواص تكون من تضييع الوقت ، فانه يدعو إلى درك النقصة وبطفيء نور المراقبة ويكدر عين الصحبة ( وقوله : إن توبة العامة

من الاستسكثار للطاعة يدعو إلى ثلاثة أشياء حجبود نعمة الستر والإمهال ذلك لأن العبد يرى أنه مضيع ولم يعلم أن نفس الطاعة ستر وفضل من الله عليه . وكذلك قد يخطئ . ولا يدري لأن العبد خطأ وأن الكمال لله وحده فيمهل الله في خطئه عن عقابه ستر له عسى أن يحاسب نفسه ، فإن عصى العبد عن ذلك رأى أن له على الله حقاً بطاعته وذلك يكون استغناء عن عفوه . وهو ضرورة كما يقول الشيخ: عين الجبروت والتوئب على الله في حقه من حيث أن الله مطلق الثواب والعقاب والعتق والستر والمغفرة فيجب على عوام المطيعين أن يتوبوا من رؤية تلك التوبة التي تورطهم في المعصية وهي معصية رؤية الكمال والتوئب على الله بادعاء ماله وحده من كمال . وذلك استغناء من العبد وهو عين المعصية بل إنما ثم قال الشيخ الإمام رضى الله عنه . وتوبة الأوساط من استقلال المعصية وهو عين الجرأة والمبارزة ومحض التزين بالحمية والاستعداد للقطيعة -- ومعنى قول الشيخ في توبة الأوساط -- أى أوساط الناس -- يجب أن تكون من استقلال المعصية -- أى استصغارها -- مع فظاعتها بالنسبة للطاعة مهما كانت في قلة أو في كثرة . وقد نسوا فضل الله في توبتهم وأنها منه ونسبوها إلى أنفسهم وذلك هو عين الجرأة على الله تعالى والمبارزة لأوامره عنها لمحض التزين بالحمية -- أى أنهم في حمية منها بطاعتهم ولو حاسبهم الله على تلك الطاعة في حقيقتها لانقلبت ذنوباً ، لأن هذا الحال في باطنه وظاهره يعد استعداداً للقطيعة عن الله وطاعته لا يرى فضل الله فيها فهي جديرة بأن تعد معصية لمباينتها لاسم الطاعة ومعناها .

ثم قال رضى الله عنه . وتوبه الخواص من تضضيع الوقت فإنه يدعو إلى درك النقيصة ويضفي نور المراقبة ويكدر عين الصحبة . ومعنى قوله وتوبة الخواص من تضضيع الوقت أى تكون من تضضيع الأوقات . فإن لكل وقت عملاً . فإذا لم يقم العبد بكل عمل في وقته فقد ضيع ذلك الوقت

وتضييع الأوقات والأنفاس يدعو ضرورة إلى درك النقيصة أى الجهة التى يأتى منها النقص وتضييع الوقت أيضاً يطفىء نور المراقبة لأن العبد لو كان مراقبا لربه فى سائر أوقاته وأنفاسه ما جنح نحو هذا النقص الذى يكدر عين الصحة أى مع الله تعالى - ثم قال رضى الله عنه لا يتم مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق . ثم رؤية تلك التربة ثم التوبة من رؤية تلك العلة . وهى رؤية أن التوبة من نفسه حالة أنها مئة من الله عليه . ويريد رضى الله عنه أن يقول . ومع هذه النقائص السالفة المناقضة للتوبة ، فلا تتم التوبة إلا بالتوبة عما دون الحق والمراد بالحق هنا الحق فى نفسه ، الحق الذى ينبغى لله تعالى ، وليس هذا فقط بل يجب التوبة من رؤية تلك العلة أى رؤية التوبة لأنها هنا علة لاستشعار التائب أنه تائب وفى ذلك من الاستعلاء ما فيه من رؤية الحق على الله بتلك التوبة فانها طاعة . وربما كان ذلك التائب مستدرجا فى توبته لا تائبا . فأراد الشيخ رضى الله عنه أن ينبه عن علل التوبة وعن الأمور التى تجعلها توبة مدخولة بعدم صفاء النية فيها حاله أنه من شأن التوبة الخالصة أن تكون نصوحا كما قال الله تعالى « وتوبوا إلى الله توبة نصوحا » والنصوح هو الخلوص والصفاء ، فمن لم تكن توبته نصوحا هكذا تكون توبة مدخولة بعللة من العلل التى عددها الشيخ رضى الله عنه . ولذا فالشيخ يكاد أن يرى التوبة هى التوبة من مثل تلك التوبة المدخولة .

والتوبة أصل كل مقام فى طريق التصوف . وكما كل حال من أحوال الصوفية وهى أيضا شرط فى الإسلام والإيمان أى فى الشريعة والحقيقة وهى أيضا أول سلوك الطالبين فى الطريقة ومفتاح الخير لكل العارفين ورأس مال الفائزين وأول أقدام المريدن ومفتاح استقامة السالكين ومطلع اصطفاء المصطفين . ولما كان الخير والشر معجونين فى طينه ابن آدم منذ جبلت طبيئته فاحتاجت الاستقامة إلى النية وأسسست الطريق على التوبة .

( ثم اعلم أيها القارئ أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلى خمسة أمور ، أحدها ، أن ينظر إلى الأمر والنهي فيحدث له من ذلك الاعتراف بأن الخطيئة خطيئة وهذا يوجب ضرورة الإقرار على النفس بالذنب « والثاني ، أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتحليته به وبها حين تقدرها عليه ولو شاء لعصمه منها وحال بينه وبينها فيحدث له من ذلك نوع من النظر إلى تصاريف الحق وشهود إجراء معاني أسمائه وصفاته بمقتضى حكمه فيعرف مع ذلك أن الله بجانب اسمه الغفار القهار القاهر فوق عباده فيرجع إليه بحال اضطراب وانكسار فيستغفره إذا أحدث ذنبا ويكون هذا الاستغفار نفسه منة من الله عليه فيشكره . « ثالثا ، أن الرضى عن الطاعة من رعونات النفس حيث ترى أنها صادرة عنها وسائر أرباب العزائم والبصائر ليس هذا شأنهم فإنهم أشد ما يكونون عناء عقب الطاعات لشهودهم فيها وأنها من فضل الله عليهم .

« رابعا ، رؤية الذل والانكسار حال الطاعة دون الاعتذار أو الاحتجاج بها لأن الانكسار هنا يعتبر شكرا لله وأهم الطاعات لعباده . وهو في نفسه عبادة وفي هذا يقول الشيخ أبو مدين رضى الله عنه « من تحقق بالعبودية نظر إلى أسأله بعين الرباء وأحواله بعين الدعوة ليجرد نفسه «سياسة لها عما يكون قد حدث فيها من الاعزاز بها أو الاعتماد عليها ( أمر الطاعة ) .

ويحكى عن بعض العارفين أنه قال « دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام حتى جئت باب الانكسار والاستغفار فإذا هو أقرب باب إلى الله وأوسع ولا مزاحم فيه أو معوق .

« خامسا ، عدم رؤية الثائب أنه تائب فإن ذلك ( أى رؤيته لنفسه في توبته ) موجب للاعتذار والمطلوب منه لزوم اعتناء العبودية والتذلل لحضراته وهو العزيز الأكبر وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى :

أذل لمن أهوى لأكسب عزة      فكم عزة قد نالها العبد بالذل  
وإذا كان من تهوى عزيزا ولم تسكن      ذليلا له فاقراً السلام على الوصل  
ويقول الله عز وجل ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من  
أحدا أبدا ) .

فإن حدثت السيئة بعد التوبة فأنبها بحسنة مشمولة بالانكسار لتكون  
مقبولة ولا ترى لنفسك في ذلك فضلا .

وكثير من الناس يفسرون التوبة بالعزم على أن لا يعود إلى الذنب  
وبالاقلاع في الحال عن موجبات الذنوب ، ويرون الندم على الذنب الماضي  
وذلك لا يحدث إلا إذا كان الاعتصام بالله وطاعته ضعيفا ( لأنه تردد )  
وإنما لم علت همة التائب وثبت صدقه في توبته وأخلص النية في تلك التوبة .  
كان حقا على الله تعالى أن يتقبلها إلا أن يكون الذنب في حق آدمي مثله فلا بد  
له من أن يتحمل منه قبل التوبة أو بعدها ، وهذا هو الشرط الوحيد الذي  
يربطه بما قبل التوبة . والتوبة في كلام الله وكلام الرسول تنجيه إلى أن تكون  
نصوحا مشتملة على العزم بالفعل المأمورات والنزاهة وترك المنهيات واجتنابها  
وتلك هي حقيقة التوبة لأنهما تضم مجموع الأمرين معا : العزم على الترك  
والعزم على الفعل . وبهذا وذاك تكون التوبة مردافة لكلمة التقوى لأنها  
عند إيرادها بالقول تقتضي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه وعند  
خاصة القوم التوبة هي الرجوع إلى الله دون تعريض على شيء والنسج والاستعانة  
به على نفاذ تلك التوبة ولا بد للتائب من دوام الاستغفار بغية التقرب  
لاتذكر الماضي . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستغفر الله عقب كل  
طاعة وكذلك الصحابة وخاصة أهل الله .

وفي الأثر الإلهي : من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني  
حبوا أتيتهم هرولة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال  
عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به  
وبصره الذي يبصر به الخ . الحديث ) .

وأخيرا يجب أن يكون التائب على حد قول من قال : —

أنا الفقير إلى رب البريات	أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسى وهى ظالمتى	والخير موهبة من عنده يأتى
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة و	لا عن النفس دفع المضرات
وليس دونه مولى يدبرنى	ولا شفيع إذا احاطتنى خطيئاتي
إلا بإذن من الرحمن خالقنا	إلى الشفيع كما جاء فى الآيات
ولست أملك شيئا دونه أبدا	ولا شريك أنا فى بعض حالاتي
والفقر لى وصف لازم أبدا	كما الغنى أبدا وعصف له ذاتي
ومن بغى مطلباً من دون خالقه	فهو المظلوم المشرك العاتى

### باب المحاسبة

يقول الشيخ رضى الله عنه مبتدأ بكلام الله حيث يقول : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، وهذا واضح ثم يقول : إنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة . والمحاسبة لها ثلاثة أركان أحدهما أن تقايس بين نعمته وجناتك وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء : نور الحكمة . وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة . والثانى — أن تميز ما للحق عليك مما لك أو منك فتعلم أن الجنابة حجة عليك والطاعة منه إليك والحكم عليك حجة فما هولك بمعذرة . والثالث — أن تعرف أن كل طاعة منك رضيها فهى عليك . وكل معصية عبرت بها أخاك فهى إليك . فلا تضع ميزان وقتك من يدك .

أما فى قول الشيخ رضى الله عنه . إنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة فهذا أمر لا بد من وقوعه فمن اراد سلوك طريق الله إذن حدثت يقظته ، وليس بعد اليقظة إلا المحاسبة أيضا المؤدية إلى التوبة . كما أن التوبة إذا حدثت فلا بد من حال حدوثها من المحاسبة . فالمحاسبة أمر يجب

أن يكون واقعا بعد النبوة وبعدها ثم رد الشيخ رضى الله عنه المحاسبة إلى ثلاثة أركان : جعل أحدها أن يقياس التائب بين جنائته ونعمة الله عليه . ثم قال : إن هذا الأمر يشق على من ليس له ثلاثة أشياء : نور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة ، وهذا معناه أنه يجب على المقاييس بين نعم الله ومعاصيه أن ينظر بعين الحكمة والتدبر وهو حائر لمقدار كبير من سوء الظن بالنفس وليس هذا فقط ، بل إنه يد من التفكير في التمييز بين النعمة والفتنة لنسكار طروئها عليه وأنه من ضروب الفتنة الموجبة للاستدراج أو الطرد والعياذ بالله تعالى ما يبدو لغير البصير إنه نعمة لاشك فيها وهو نعمة محققة لا يجب الارتياح فيها . وكم من ثروة مثلاً أودت بصحة صاحبها بل بحياته كلها وكم من متعة أعقبتها جنائية تشوش الحياة وتعكر صفوها . وكم من حبيب في الظاهر وهو عدو في الباطن وانظر في قول الله تعالى في أعز شيء على الإنسان (بأليها الذين آمنوا إن من أموالكم وأولادكم عدوا فاحذروهم) عبرة والله أى عبرة وتذكرة لليبس وأى تذكرة وذلك مما يحتم على سالك طريق الله بالأخص أن يميز بين ما قد يكون نعمة وما قد يكون فتنة وحسبه في ذلك قول الله تعالى ( سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ) .

وقال الشيخ والثاني : أن تميز ما للحق عليك مما لك أو منك ومعناه أن تميز ما لله عليك من من ضمنها الطاعات والمراضى . وما منك له من معاصى . وجنایات تكتب عليك في صحيفتك فيطلع عليها الحق فيغفرها أو يهلك فيها لعلك تتوب فيتوب عليك وكل هذا يقتضى أن حكمه بعد له يكون حجه عليك ولا تحتج بالقدر في ذلك لأنك لا تعلم يقينا ما قدر عليك مما لم يقدر عليك ومن العبث أن تحتج بما لا تعلم .

وفي الأمر الثالث قال الشيخ رضى الله عنه : أن تعرف أن كل طاعة رضيها

منك فى عليك . وذلك لرؤيتها والاعتزاز بها وربما كانت مدخولة وأنت لا تدري وحسبك فى ذلك أن تعترف بها فى نفسك وذلك مما يشعر بخروجك عن العبودية قليلا، وكثيرا وهذا الأدب يوجب ضرورة كما يقول الشيخ فى آخر كلامه أن كل معصية عيرت بها أخاك فى راجعة إليك وذلك لأنك مكلف بالنظر فى عيوب نفسك دون غيرك والعالم الحق بأعداء الخليفة هو الله عز وجل العليم بالسرائر كعلمه بالظواهر . وبذا يكون تعبيرك لأخيك ذنبا تعود إليك مغيبته وكان الأجدر بك وبالأدب الصوفى أن تنظر فى سيئات نفسك ومحاسن غيرك . ولهذا وذاك يوصى الشيخ قارئ رسالته والمتابع لطريقته فى علمه أن لا يضع ميزان وقته أعنى من يده أى لا يبطّل الوزن الصحيح فيضيع وقته سدى .

والمراد بهذا أن لا يخرج سالك طريق الحق عن حدود الاستقامة اللاتئة به وسلوك الطريق المستقيم أو قل ( الصراط ) وهو أمر دقيق ووجب لصحة النظر وحسن الاختيار والله الموفق للصواب .

## باب الإنابة

قال الشيخ رضى الله عنه : يقول الله عز وجل ( وأنبيؤا إلى ربكم ) ثم قال الإنابة تكون بثلاثة أشياء الرجوع إلى الحق إصلاحا كما رجعت إليه اعتذارا والرجوع إليه وفاء كما رجعت إليه عهدا والرجوع إلى حالا كما رجعت إليه إجابة . . وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحا بثلاثة أشياء بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء : بالخلاص من لذت الذنب وترك استهانة أهل الغفلة خوفا عليهم من الرجاء لنفسك أو بالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة وإنما يستقيم الرجوع إليه حالا بثلاثة أشياء بالأياس من عمالك وبمعاناة اضطراك وبشيم برق لطفه بك .



والإنابة هي الرجوع أو قل سرعة الرجوع إلى الله في جميع الحالات .  
والرجوع إلى الله في حال المعصية خصوصا لأن العبد أحوج ما يكون لهذا  
الرجوع في حال المعصية أكثر منه في حال الطاعة .

والرجوع إلى الله أيضا في حال الطاعة لكيلا تكون الطاعة مدخولة  
بالعجب أو الرياء هذا ما يسميه القوم إخلاصا . والرجوع إلى الله بالسريرة  
أى بما تحتويه السريرة لأن السريرة قد تحتوى على ما يرضى الله وما يغضبه .  
وتحتوى أيضاً على ما يليق بالكمال الإنسانى أو بما يرفضه وذلك لما يعتور  
الإنسان في أوقاته من حالات الرضى والغضب والسرور والكدر وكل هذه  
الحالات تنعكس على السريرة فتصرف من حال الإنسان في كل وقت بلونه  
خيرا أو شراً .

ولذلك بدأ الشيخ رضى الله عنه كلامه بقوله تعالى ( وأنبئوا إلى ربكم )  
أى أنبئوا إليه وارجعوا في كل حال طاعة ومعصية ورضا وغضبا ثم قال  
الشيخ إن الإنابة ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق إصلاحا كما رجعت إليه  
اعتذارا والرجوع إليه وفاء كما رجعت إليه عهدا .

قال والرجوع إليه إصلاحا بالخروج من التبعات والتوجع للعترات  
واستدراك الفئات .

والخروج من التبعات إنما يتم بالتوبة من الذنوب وقد حصلت شرائطها  
في باب التوبة وكذلك الخروج بها عليه من حقوق المخلوق برد المظالم والتوجع  
للعثرات . بأن يتوجع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر لما كان رآه في نفسه  
حتى يكون كأنه هو الذى عثر ويلتأم مع ذلك ويبحث عليه قول الرسول  
صلى الله عليه وسلم . ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ) وطبعا  
يكون بعيدا في هذا الحال منه أن يشمت بأخيه .

ومعنى استدراك الفئات : هو أن يستدرك التائب المنيب ما عسى  
أن يكون قد فاته من طاعة فيعزم على جبرها في بقية عمره .

ثم قول الشيخ رضى الله عنه ( وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء بالخلاص من لذة الذنب وبترك الاستهانة بأهل الغفلة . مع الرجاء لنفسك والاستقصاء فى رؤية علل الخدمة .

ومعناه بأن يتخلص من الآثار التى قد تظل فى نفسه من لذائذ الذنوب فانها موبقة وكما أنه لا يحسد أهلها وقد أناب فلا يستهين بهم خوفا عليهم من أن يزيدوا فى طغيانهم . وقد صار رحيا بهم لما ذاق من لون شقايمهم ، وليس هذا فقط بل لا يرى فى نفسه الرجاء فى عمله الصالح لأن الرجاء لا يكون إلا فى الله وليس فى العمل بل عليه وقد أناب استقصاء رؤية علل الخدمة فى حضرة الحق وعلل الخدمة كالاعتماد عليها أو الرياء فيها .

وهذا يكون عليه بمثابة العهد الذى أخذه الله تعالى عليه بانابته ورجوعه إليه . ولعل هذا هو السبب فى أن طريق الصوفية يؤسس على ثلاثة أشياء الأول : العهد الذى يأخذه عليه مبصر بسلوك الطريق إلى الله تعالى ويشترط فى الشيخ أن يكون قد سلك الطريق حتى يكون مؤهبا لأن يتولى أخذ عهد الله على المنيبين إليه .

والثانى : التوبة : التى تعتبر كحجر الأساس فى سلوك المريد .

والثالث : الإنابة : وهى كما قدمنا الرجوع إلى الله فى كل حال : طاعة أو معصية ، وصلاحاً أو ظلاًحاً لأن العبد كما بينا أحوج ما يكون للرجوع إلى الله فى حالة المعصية أكثر منه فى حالة الطاعة كما تقدم . لأن المطيع قريب من الله تعالى . وأن العاصى مارق من طاعته فهو أولى بالإنابة والرجوع إليه وليس هذا فقط بل يجب أن تستمر محاسبته لنفسه حال التوبة وحال الإنابة .

ثم يقول الشيخ رضى الله عنه . إنما يستقيم الرجوع إليه حالاً

بثلاثة أشياء : بالأياس من عملك ، وبمايتق اضطرارك ، وبشيم برق  
نطفه بك .

أى بأن يكون حالك الطمع فى رحمته والأياس من عملك لأنه قد  
يكون مدخولا وأنت لا تدري . وقد يكون كله أو بعضه مردودا وأنت  
لا تعلم . ولذلك قدمنا أن الرجاء لا يكون إلا فى الله وليس فى العمل وليس  
هذا فقط بل يجب فى استقامة الحال مع الله أن ترى اضطرارك وافتقارك  
إلى الله فيه . وقد قدمنا أن الافتقار إلى الله والانكسار إلى حضرته هما  
الباب الواسع للدخول فى رحمته . والنتيجة أن التوبة والمحاسبة والإنابة  
هى أوائل المقامات فى السلوك إلى الله ودعائها كما أن المقامات مؤهبة  
لنوال الأحوال كالشوق والأنس والحب الخ . وبما أن هذه المقامات الیقظة  
— والتوبة — والإنابة — هى دعائم مقامات الطريق إلى الله وبما أن  
الطريق إلى الله يوسم باسم علم التصوف وعلم التصوف هذا ينبى على  
ثلاث دعائم . هى الشريعة — والطريقة — والحقيقة أو قل إن التصوف  
الحق الخالص الصافى مبنى على الإسلام والإيمان والإحسان . والإسلام  
والإيمان والإحسان مطلق أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم مظهر منها  
تبيينا للشريعة وما بطن منها تقريرا للحقيقة ولذلك عظم الله عز وجل فى  
كتابه هذا الخلق الكريم ووصفه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فى كتابه  
الكريم ( وإنك لعلی خلق عظیم ) وما عظمه الله فهو فى الحق أدخل من  
أن يختص بالظواهر دون البواطن ولدينا قرائن منها : تبتله صلى الله عليه  
وسلم إلى الله فى غار حراء وقوله : إن لى وقتا مع الله لا يسعنى فيه . .  
إلى آخر الحديث ( وثانيا — أن مادام للقرآن ظهر وبطن وحد ومطلع كما  
جاء فى حديث وما دام لرسول الله أقوال نعتمد عليها فى سنته وأفعال  
نقتدى بها فى جنس طاعته وأحوال من التقرب إلى الله والتبتل إليه وحبه  
ومخافته مثل قوله ( صلى الله عليه وسلم ) ( أنا أقربكم من الله وأخوفكم منه )

فان مجموع الشريعة يؤخذ من باطنها وظاهرها وصراطها المستقيم . أن هناك وفيما تعبدنا الله به شريعة وطريقة وحقيقة . فالشريعة أن تعبد الله بالطريقة أن نقصده . والحقيقة أن نشهد فضله فنحبه وتتقرب بأسرارنا وسائر وجهتنا إليه . وهذا كل ما في التصوف الإسلامي الخالص وتلك الأركان التي بينها وبينها حديث جبريل هي مضامين شريعة القرآن باطنا وظاهرا وأما حديث جبريل فهو الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب الذي ذكر فيه الإسلام والإيمان والإحسان وعرف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (الإحسان) في جوابه لجبريل : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وبذا يكون الإحسان كله مركبا من جزأين اثنين أولهما أن تعبد الله كأنك تراه أى أن تعبد على الشهود كأنك تراه فإن لم تكن تراه أى إن لم تستطع ذلك فاعبد على شريطة التقوى علما بأنه يراك . وهكذا كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله ظاهره وباطنه تطبيقا لقول الله تعالى ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ) . واجمع المفسرون على أن الآية نزلت في أهل الصفة كأختها من الآي التي قال فيها ( ولا تنرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ) وهى أيضا في حقهم والذين قال الله تعالى فيهم وفى أمثالهم من الاتقياء المخلصاء أيضا (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وإذا مروا باللغو مروا كراما ) .

وما دام الله عز وجل يقول فى كتابه أيضا ( إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففما عذاب النار ) .

وما دام أن النظر في خلق السموات والأرض والاكتثار من ذكر الله عز وجل وارتياذ موارد التقوى والتبذل إلى الله بحسن الطاعة واجتناب موارد المعصية على شريطة أن يكون ذلك . إما من طريق التقوى بالمراقبة أو من طريق الشهود بالغرب إلى الله وما دامت كل هذه الخلال من صلب التصوف الإسلامي وأصوله المجملة بفروعه فلا بدع إذن أن يكون التصوف هذا روح الدين . والدين في معناه الصحيح لا يخرج عن معتقد سليم وطاعة باخلاص وتعامل بإحسان وما دامت هذه الخصائص نفسها هي شرائط التصوف . وما دام طريق الصوفي لا يخرج عن خوف الله وطمع في رحمته وتقرب إليه فإن الصوفي فقيه في الصلابة مذ كان الفقيه في الدين هو الفهم والبصر فيه وما دام هذا الفقه هو أساس علمه وعمله فقد قال الإمام مالك رضى الله عنه في وصف الفرق بين حال القوم وحال غيرهم « من تشرع ولم يتصوف فقد تشقى ومن تصوف ولم يتشرع فقد تزندق ومن تشرع ثم تصوف فقد تحقق » ويؤخذ من هذه الأقوال جميعها معنى الشريعة ومعنى الطريقة ومعنى الحقيقة وكلها شريعة رسول الله المستمدة من كتاب الله الذى أنزل إليه وقد طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه بالقول والعمل والحال لذلك كله قد وصفه الله تعالى بقوله ( وإنك لعلی خلق عظیم ) .

ومذ كانت الأعمال في شريعة الإسلام تقوم على النية التي تدعمها وتؤهلها والنيات من شأنها أن تسكن من الأحوال النفسية والمشاعر الذاتية ولما كان التصوف في منهجه الأساسى يقوم على تلك المشاعر الباطنية يكون للشريعة الإسلامية وهي الأقوال والأفعال والأحوال بالضرورة ظاهر من الأعمال وباطن من السرائر والمقاصد .

ويقول سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه : التصوف تدريب النفس على العبودية وردّها لأحكام الربوبية أى تدريبها على عبادة الله

باخلاص وردها في اختيارها لتقبل أحكام الربوبية دون تدبير من نفسها لنفسها (والإسلام) الذي جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله يتضمن بعد الشهادتين العمل الظاهر بالجوارح ثم (الإيمان) ويتضمن الإيمان حسن المعتقد القلبي ثم (الإحسان) والإحسان تمثله الإرادة ويدعو إليه الإخلاص وذلك هو لب التصوف ويقول العز بن عبد السلام في مثل هذا المقام (ليست الحقيقة بخارجة عن الشريعة بل الحقيقة طافحة بإخلاص القلوب والمعارف والأحوال والعزوم والنيات فمعرفة أحكام الظاهر معرفة بجليل الشرع ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدقيق الشرع ولا ينكر شيئاً منها إلا كافر أو فاجر وقد يتشبهه بالقوم من ليس منهم .

وقيل إن التصوف هو أن يملك الحق عنه ويحييك به وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع سماع وعمل مع اتباع وواضع التصوف الأول هو رسول الله ﷺ وتبعه فيه أصحابه من الصحابة وبعدهم التابعين لأنه الإحسان الذي جاء في الحديث وقد تبعه فيه علي بن أبي طالب رضى الله عنه فتكلم فيه وأخذه عنه الحسن البصري فحبیب العجمی فداود الطائي فمعروف الكرخي فالسري السقطي ثم أبو القاسم الجنيد وانتشر التصوف بعد ذلك من عصر الجنيد إلى وقتنا الحاضر ويقول الإمام الشعراني رضى الله عنه في هذا المعنى (اعلم أن التصوف عبارة عن علم انقذ في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة أفندتهم فانقذ لهم من ذلك علوم وأسرار وحقائق قد تعجز الألسن عن التعبير عنها) . فالتصوف إذن هو زبدة العمل بأحكام الشريعة والانتباه إلى خلو ذلك العمل من حظوظ النفس . وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجل إلا من تبحر في علم الشريعة منظومها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وإجمالاً فكل صوفي فقيه . ولا عكس ويقول سهل التستوري أن أصولنا ستة : التمسك بكتاب الله

والاقتداء بسنة رسول الله وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام  
وأداء الحقوق وقيل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه أن الحارث المحاسبى  
يتكلم فى علوم الصوفية ويدلّل لها بالآى والحديث فهل لك أن تسمع كلامه  
من حيث لا يشعر فقال نعم وحضره ليلة ولم ينكر من أحواله ولا من  
أحوال أصحابه شيئاً ، ولما قيل له فى ذلك قال لأننى رأيتهم لما أذن المغرب  
تقدم فصلى ثم حضر الطعام فجعل يحدث أصحابه وهو يأكل . وهذا من السنة  
فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس وجلس أصحابه بين يديه وقال  
من أراد منكم أن يسأل عن شىء فليسأل فسأله عن الرياء والإخلاص وعن  
مسائل كثيرة فأجاب عنها مستشهداً بالآى والحديث فلما مر جانب من الليل  
أمر الحارث قارئاً فقرأ فبكوا وانتحبوا ثم سكّت القارئ فدعا الحارث  
بدعوات خفاف ثم قام إلى الصلاة وقال الإمام أحمد كنت أسمع عن الصوفية  
خلاف هذا فاستغفر الله العظيم وأنشد أحدهم فى وصفهم شعرا :

هينون لينون إيسار بنى يسر      سواس مكرمة أبناء إيشار  
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا      ولا يمارون أن مروا بكشار  
من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم      مثل النجوم التى يسرى بها السارى

فالطريق إلى الله طريق حب وإيثار وطاعة لأمره وموافقة لحكمه  
ولنا فى وصف الصوفى كلام من لم يتصف به فليس من التصوف فى شىء  
فالصوفى أولاً مخلوق له ذوق عظيم ووجدان يهدف إلى حب الله وإيمان متين  
فهو دائم الفكر كثير الذكر دائب العبارة غزير الحلم محب للعلم كاره للجدل  
قليل المنازعة سهل المراجعة همته فى البحث عن الحق ولو ظهر على لسان  
غيره من الخلق وهو وراء ذلك من أوسع الناس صدرا وأقبلهم لهم عنذرا  
والينهم للحق فيادا وأصعبهم على الباطل مراسا وأعزهم نفسا وأعظمهم  
شخصا وأكثرهم ودا وأبعدهم فى العمل غورا وأتقنهم همما وأدومهم صبرا  
وأولاهم عهدا وأكثرهم أدبا ونسفا .

إذا ضحكك تبسم وإذا غضب لم يتجهم وإذا عادى فهو رءوف بمن يعاديه ووصول لمن يواليه لا يخوض قط فيما لا يعنيه ولا يدعى أبدا ما ليس فيه ورع عن الشبهات ومبغض للمحرمات وحافظ للأوقات كثير عطاء قليل أذاه مكرم للغريب وراحم لليتيم سلس المقادة سهل العريكة إلا في حق ينشره أو ينصره وباطل يدفعه أو مارق عن الصواب يرده، بشره دائماً وخوفه من الله قائم عفيف المكسبة صادق المقصد راغب في الخيرات بعيد عن الغيرات (فان لم تكن يا هذا منهم فتشبه بهم ودرب نفسك على أخلاقهم تنل بركة جهم ولا تعترض عليهم لأنهم :

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبيدهم أضحى له الكون خاوي

وأولئك قسم الفرقة الناجية في حديث الثلاث وسبعين فرقة وقد تحقق الحديث في القوم بعد موت الرسول وكثير من الصحابة حيث قامت الفتنة على أثر موت عثمان وانقسم الناس حينذاك إلى فرق وأحزاب سياسية وغير سياسية وكان المستمسكون بحبل الله حينئذ يعون وعيا قليلا قول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) . فاعتصموا بالله واعتزموا ألا يدخلوا في أمثال تلك الفتن ولم ينتسبوا إلى فرقة من الفرق أو حزب من الأحزاب تمسكا بالعروة الوثقى وهى طريق الله فكان منهم وحدهم حزب الله . وكانوا من العالمين وطبعا كانوا من أولياء الله بموجب أحوالهم وهم أولياء الله الذين قال الله فيهم (إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبدل كلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وفيهم نزل قول الله تعالى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» وفسر المفسرون معنى أولياء الله بأنهم الذين يتولون الله بطاعتهم له فيتولاهم بكرامته ورعايته لهم والقرآن ملىء بمثل هذه الآيات الدالة على أن لله فى الأرض أولياء وهم الذين استثناهم الله من عموم خلقه مخاطبا للشيطان «أن عبادى ليس لك عليهم سلطان» ومخاطبة الشيطان قائلا :



«إلا عبادك منهم المخلصين» بفتح اللام أى الذين أخلصتهم لحضرتك بخالصة التقوى وفى السنة عن أبى مالك الأشعرى عن رسول الله قال : ( يا أيها الناس اسمعوا وأعقلوا وأعلموا أن الله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على قربهم من الله فجئنا رجل من عامتهم قائلاً : يا رسول الله يغبطهم الأنبياء والشهداء . . . فسر النبي بسؤال الرجل وقال هم ناس من أفناء الناس . ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحاربوا فى الله وتصافروا أى فى أنفسهم لله ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور لا يفرعون إن فزع الناس يوم القيامة وهم أولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه الامام أحمد ) .

وفيهم حديث إلى أبى هريرة عن النبي الذى يقول فيه قال الله تعالى : ( من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ولا أبالى وما تقرب إلى عبدى بمثل ما افترضت عليه ) الخ الحديث .

وقد منّا أن أهل التصوف يرجعون فى نسبتهم إلى أحوال رسول الله وأخلاقه وأعماله وأخذوا عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه واقتداء بأهل الصفة الذين كانوا عاكفين فى مسجد رسول الله على عبادة الله ومرابطين للجهاد فى سبيل الله وقد وصف تلك النسبة نسبة القوم لأهل الصفة الشيخ الفقيه الصوفى ابن البنا السرقسطنى فى أرجوزته المشهورة المسماة المباحث الإصليّة حيث قال :

فقدادة الصوفى أهل الصفة	فى زمن الرسول فاعلم وصفه
وهم ضيوف الله والإسلام	وجلساء سيد الأنام
كانوا على التجريد عاملين	وعن سوى الرحمن معرضين
تخلقوا بخلق النسي	يدعون بالغداة والعشى
قد فهموا مقتضيات الشرع	فصيروا الفرق لعين الجمع
قد خرجوا لله مما اكتسبوا	فعل صوفى اليهم ينسب

وسواء نسب الناس التصوف إلى لبس الصوف أو إلى الصفاء أو إلى أهل الصفة فهم حقيقة من لا يلبس الصوف ومن أهل الصفاء ومن تابعي أهل الصفة ويربط الصفة ويربط القوم بالله وبالإسلام وبالإيمان طهارة الباطن والظاهر ثم عبادة الله يقصد العبادة لأن العبودية لله عامة والعبودية لله خاصة .

هذا والتصوف الحق حال ناشئ عن علم مشمول بعمل ومدعم باحسان ويقين مبصر ، وهو ثمرة لتقى خالص يؤتاه أفراد لهم استعداد سام وإحساس مرهف ، ولهم وراء الإحساس عقل راجح . ومن وراء العقل والإحساس بصيرة نفاذة وعزم قوى وإيمان متين وهداية موهوبة وإلهام لدنى .

وقلنا في بعض التعاريف : إن الصوفية هم القوم المجتمعة على الله همهم المتعلقة بعظمة أفكارهم وبسمو حكمة الباطن ، وهم الذين لا تشهد سوى الله سرائرهم وقلوبهم وليس إلا إليه غدوهم ورواحهم ، فهم أحكم الناس وأعقلهم ، وأقرب الخلق إلى الحق وأعلمهم بهدى ربهم وسنة نبيهم .

أولئك هم الصوفية فإن كنت جاهلاً بهم فأعرفهم .

ومن العلم بسلوك الطريق وآدابه ومقاماته وأحواله فتح الله علينا بقصيدة في السلوك اسمها الوجدانية وإليكها .

وجدت هواكم قائدى منذ نشأتى	فغبت عن الأكوان إذ كنت وجهتى
وهمت بكم والحب فكم مصاحبى	مدى العمر والأشواق كانت مطيقى
منى القلب لم يخطر سواكم بخاطرى	ومنذ كنت طفلاً كان حبك قدوتى
وإن حن طير نحو وكر وجدتي	أنوح اشتياقاً كلما الريح هبت
فبذكركم قلبى وما بحث باسمكم	لغير نمرادى أو لغير سرورى
إذا جن بى ليلى أحن لضيفكم	وأجمل ذكركم على البعد سلوى
وما طمحت فى الحب نسى لغيركم	وما غير ذاتى قرب ذاتى أحب

غراما وعهدى فى الهوى قبل خلقى  
من الخلق والأسقام دوما قرينتى  
وما غير جسمى كان سجننا لفرقتى  
من الغير والأغيار ثوب الحقيقة  
تسكون من طين لجل الأمانة  
وفى عالم الأجسام عاينت محنتى  
وتهبط بى حيناً كثافة طينتى  
وطورا أرانى فى غياهب غفلتى  
وشرط الهوى فىكم فناء الإرادة  
وأمرى جميعاً تحت حكم المشيئة  
بنورك يا الله واوصل قطيعتى  
وجدد لى بتوفيق ومن بأوبة  
فروحى نور من جمالك مدت  
حياة لنفس فى الغرام اطمأنت  
وفى الوصل راحت إذ الحب ملتى  
يرى روحه للحب دعيت فلبت  
فيا ضيعة السارى إذا هى ضنت  
حماها استقم وأحذر سهام التلفت  
فكم همم للقرب همت فصدت  
ومن لم يمت لم يحظ منها بنظرة  
إذا خطرت رقتك فوق المجرة  
وأنت تعبد فى الهوى ذوزماتة  
وكم من أسى فى الحب أدمى حشاشتى  
غرامى لذلى بين أهلى وعزتى  
وحملت فيها غصة بعد غصة

وإنى من القوم الذين تقيموا  
وفى القلب نيران وفى العين وحشة  
ومذ كنت أصلى كان حبك مذهبي  
وما الجسم إلا ظل رمز تكون  
وما الجسم إلا مظهر لصفاتكم  
ولكنه للابتلاء رهينة  
فحيناً بحكم الروح أطمح للعلا  
وطورا أرانى حاضراً غير غائب  
فما يصنع العانى أسير جمالك  
وما حيلنى والعجز غاية قوتى  
فخلصنى من أسر الطبيعة وأهدنى  
وأنعم بتطهير الفؤاد من الهوى  
لئن كان جسمى من جنابك قاطعى  
وفى القرب روح الروح حقاً وفى اللقا  
وفى البعد لوعات وفى القرب رحمة  
ويا حادى الأظعان رفقا بمدنف  
وما بغيتى فى القرب غير وصالها  
ويا سائرا فى حمى ليلى وقاصداً  
ولا تحسبن الخطب سهلاً مناله  
ومن غير جد لن يراها أخوهوى  
فدع عنك أوهام الغرام فإنها  
خواطر نفس ترتقى بك للمنى  
وسلنى فعمرى فى الغرام قضيته  
وإنى بليلى قد منيت وسافنى  
وكم من طريق للحمى قد سلكتها

وقاسيت ما قاسيت من ألم الجوى  
فلما قرعت الباب قصد لقاءها  
وحققت وصفى وهو ذلى لعزها  
وجئت إليها خاضعا متضرعا  
وعفرت خدى فى التراب تذلا  
فألقيت عزى فى امثالى لآمرها  
ولما رأت ذلى وعجزى ولوعى  
وقرنى الساقى لحان شراها  
ولما بدت من طور ليلالى نارها  
وصارت تناجينى بحلو خطايا  
وعاينت أسراراً تسامت بذاتها  
فإنى إذا ما بحث يوماً بسرها  
ولست على سر أمينا إذن ولا  
وأنت كذا إن رمت قرب ديارها  
وسر فى هواها هائما بجمالها  
وهاجر إليها من حظوظك قاطعا  
وواظب وثابر واعتكف لمرادها  
وقابل جفا المحبوب بالصبر واتد  
فكم واصلت فى الحب من متجرد  
وكم نفحة تأنى بغير تكلف  
فقبلك طهر وامثل لأوامر  
وصبر وتسليم وورد ملازم  
وصحبة شيخ وهى أصل طريقهم  
وما سلمت فى الحى شاة شربده  
وحاذر تعارض فى الأمور جميعها

وكرعت من كأس الهوى كل مرة  
خلعت لها جاهى وعلوى ودعوتى  
وعاديت فيها حظ نفسى وعادتى  
منيبا لها كيما تكون مجيئى  
فكان فلاحى فى افتقارى وفاقى  
وترك مرادى فى مراد الإحسية  
تجلىت إلى قلبى بمكنون حكمة  
فكان بها صحوى وسكرى ونشوى  
رأيت بها منها إليها هدايتى  
فشاهدتها لكن بعين بصيرتى  
ولأنى أرى شرحى لها فوق طاقى  
لقيت حسامى بعد تزيق مهجى  
حظيت بقرب عند أهل مودتى  
تجرد لها عن وصف نفس خونة  
وطلق سواها واعتصم بالشريعة  
علائق طبع مؤثرا فضل عفة  
وافقه آداب الحب وأخضع لخدمة  
لعل الرضا منك قريب فتثبت  
ذا رمت فؤاد العاشق المتعنت  
وكم منحة تأتيك فى طى محنة  
وعمر لأوقات بذكر وينقطة  
وأمر بمعروف وحفظ لحرمة  
فما نبتت أرض بغير فلاحه  
ومن غير راع ما استقامت رعية  
وسلم إلى المولى أمورك واصمت

ونفسك فاعرفها ولا تك جاهلا  
 ألم تر ضرب الله أمثال نوره  
 فقلبك كالصباح والنفس زينة  
 وذاتك مرآة وفكرك ضوءها  
 فجاهد ترى تفصيل ما قلت واضحا  
 وكن كاتما للسر عن غير أهله  
 إليك وصايا في السلوك زففتها  
 أراها صراط للجناب محقق  
 فان كنت أهلا للحمى صرت في الحمى  
 وهيتك نصحي فانتفع بك عارفا  
 فخذها إليك مصنونة مجلوة  
 صلاة من الرحمن ربى وخالق  
 مع الآل والأصحاب ما قال قائل

هذا واعلم : أن التصوف مبنى على العلم ثم العمل ثم اليقين ثم الحال  
 فصدره الكتاب والسنة والاقتداء بخيار هذه الأمة ولا يكون الصوفي  
 صوفيا حقا حتى يعلم أصول الشرع كتابا وسنة ولا يكون عارفا حتى يعمل  
 بعلمه ولا يكون قريبا من الله حتى يصبح ذا حال إيماني وخلق سني ويقين  
 قطعى فالعالم بالشرع والفقيه في كتاب الله استمد عليه من أقوال الرسول  
 صلى الله عليه وسلم فهو مقلد له في أقواله والعابد قلد الرسول في أعماله  
 والصوفي اقتدى به صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله فهو عالم  
 بالله وبشرعه من جهة وعامل بمقتضيات ذلك الشرع من جهة أخرى ثم زاد  
 على العالم والعابد بيقينه وإخلاصه لله تعالى ووجه وعرفانه والتقرب إليه  
 وبهذه المثابة يكون التصوف روح الدين لأنه مستمد من كتاب الله وسنة  
 رسوله فمن ادعى التصوف دون علم وعمل فهو مخدوع مغبون ومثله في

هذا يكون كمثل الدرهم الزائف بجانب الدرهم الصحيح فهو غير مرغوب فيه  
أيما يمم ومردود حيثما اتجه وأن تزيأ بزي الصالحين وعباد الله المخلصين .

هذا وأما من جهة معتقد أهل النصوص في الله فهم يعتقدون إجمالاً  
أنه تعالى واحد في ذاته لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد  
لأنه قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له فهو  
أبدى لا نهاية له وقيوم بلا انقطاع ودائم بلا انعدام لم يزل ولا يزال  
موصوفاً بنعوت الكمال منزهاً عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال  
لا جسم له ولا تشبيهه الأجسام ولا يشبهه أبداً مرجحاً من الموجودات ولا يماثله  
معبود من المعبودات ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء لا يحده المقدار ولا  
تحتويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تستكشفه الأرضون والسموات  
لا تصوره الأوهام ولا تقدره الأذهان ولا تصل إلى كنهه الأفهام ، عليم  
بذات الصدور ، ويبدد مقاليد الأمور لا مؤخر لما قده ولا مقدم لما أخر  
ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره وكل الخليفة مفتقرة إليه وهو الذي يحير  
ولا يحار عليه لا شريك له في تدبير ملكه ولا معين ولا وزير ولا ظهير ولا  
مد ولا ضد ، عادل في حكمه وقضائه ، محسن متفضل في رعايته وعطاائه حلیم  
لا يعجل وجواد لا يبخل وحفيظ لا ينسى ويظان لا يفصل فهو الذي  
أضحك وأبكى وأسعد وأشقى وأفقر وأغنى وله سبحانه وتعالى الآخرة  
والأولى

وليس بكاف أن ترى انكسارك إلى الله ، وهو الأمر الذي تنمو به  
به أعمالك وتربر ، بل يجب مع ذلك شيم برق لطفه بك أي ملاحظة عنايته  
بك في جميع ثقلها تذك وأصل الشيم لحظ البرق بالعارف وهنا لحظ اللطيف  
بعين البصيرة

ويستخلص من هذا كله أن المطلوب من العبد أن يكون في طاعته  
بل وفي سائر أحواله بين انكسار إلى الله ، وعدم رؤية أعماله وقيمتها وأن

يستشعر رحمة الله ولطفه وعنايته فيها فيشكره على أن هداه لضروب  
الإيمان والإحسان والإجابة له... ذلك الأمر الذى يستوجب الرعاية من الله .  
وقد وصف أحد الصوفية أخلاق أهل التصوف مصوغة من حروف  
كلمة (صوفى) يقال :

فصوفى حروف أربع وإشارة	تحقق بها نحظى بكل فصيلة
( ١ ) فصاد اصبر، ثم صدق كذا الصفا	عن الزين والأغيار فى كل لحظة
( ٢ ) وواو لوجد ثم ودكذا الوفا	بكل حقوق فى طريق الشريعة
( ٣ ) رفاء لفقد ثم فقر كذا الفنا	وتصبح حقاً فى بحار الحقيقة
( ٤ ) وعند كال فى تخلقه بها	فيأتيه حرف الباء (١) بتحقيق نسبة

### باب التفكير

قال الشيخ رضى الله عنه مبتدأ بقول الله عز وجل ( وأنزلنا إليك  
الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون ) : اعلم أن التفكير تلمس  
البصيرة لاستدراك البغية وهو على ثلاثة أنواع: ففكرة فى عين التوحيد، وفكرة  
فى لطائف الصنع، وفكرة فى معانى الأعمال والأحوال . . فأما الفكرة  
فى عين التوحيد فهى اقتحام بحر الجحود ولا ينجى منه الاعتصام بضياء  
الكشف والتسك بالعلم الظاهر . . . وأما التفكير فى لطائف الصنع فهو  
ما يسقى زرع الحكمة وأما الفكرة فى معانى الأعمال والأحوال فهى  
تسهل سلوك طريق الحقيقة ، وإنما يتخلص من الفكرة فى عين التوحيد  
بمعرفة عجز العقل وبالأياس من الوقوف على الغاية وبالاغتصام بحبل  
التعظيم . وإنما تدرك لطائف الصنع بثلاثة أشياء . بحسن النظر فى مبادئ  
المنن والإجابة لدواعى الإشارات وبالخلاص من رق إتيان الشهوات  
وإنما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال بثلاثة أشياء

---

(١) والياء هنا : ياء النسبة .

بإستصحاب العلم ، وإتهام الرسوم وبمعرفة مواقع الغير .  
وقد عرف الشيخ رضى الله عنه التفكير بتلبس البصيرة لاستدراك  
البعيثة .

ومعلوم أن السالك طريق الله غاية لا بد من الوصول إليها واقتحام  
العقبات دونها فالتفكير فى خلق السموات والأرض وفى التفسير وفى الطاف  
الله بعباده المخلصين ورعايته لهم وعنايته بهم . التفكير فى كل ذلك يبعث  
السالك ويعينه ويشجعه فى سلوك الطريق إلى الغاية وهى وجهه الله  
عز وجل .

ثم قال رضى الله عنه وذلك يتم بثلاثة أنواع : ففكرة فى عين التوحيد  
وفكرة فى لطائف الصنع وفكرة فى معانى الأعمال والأحوال . فأما الفكرة  
فى عين التوحيد فهى اقتحام بحر الجحود ولا ينبغى منه إلا الاعتصام  
بضياء الكشف والتمسك بظاهر العلم .

أما قوله الفكرة فى عين التوحيد فهى الأمر الذى لا ينبغى لمسلم آمن  
بالله واليوم الآخر أن يحوم حوله وذلك منصوص عليه فى قوله تعالى :  
( الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين  
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك  
على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ) . أول سورة البقرة .

ومعنى الفكرة فى عين التوحيد لأن التفكير فى الذات الإلهى والبحث  
فى سر الذات ممتنع . وأما التفكير فيما صنع الله وهو المباح بل المطلوب  
التفكير فى صنع الله لا فى ذاته والفكرة الصحيحة فى التوحيد تكون فى  
استحضار أدلته وشواهد الدلالات عليه وأما الفكرة فى عين الذات .  
وهذا ما قد يذهب إليه الذهن فهى الفكرة فى ذات الحق وهو الأمر



الممتنع ديناً وفي مثل هذا يقول الصديق الأعظم أبوبكر رضى الله عنه :

العجز عن درك الإدراك إدراك

والبحث عن سر ذات السر إشراك

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

( تفكروا فى أعمال الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا ) .

ويكون الأمر كما يقول صاحب منازل السائرين رضى الله عنه أن الفكرة فى عين التوحيد اقتحام لبحر الجحود أى الفكرة فى عين ذات الحق الموجود المطلق الذى لا يحيط به شيء ولا يشبهه شيء . فذلك يكون بعداً عن مقتضيات الإسلام والإيمان .

وأما التفكير فى الخلق والإبداع وفى عناية الله بخلقه حين تصفحه للوجود يريه إيجاداً للوجود على قوانين منظمة ومواقيت موقته وغايات ميسرة وذلك هو المطلوب .

والعارف لا يشهد سوى وجود الحق وجوداً دون تمكييف أو تمثيل وتشبيه أو حلول أو اتحاد وذلك التوحيد الإسلامى الصريح .

وأهل الله على التحقيق ماخرجوا عن هذا فى توحيدهم اتباعاً لما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من حدود الإيمان . والفناء المشهور عند أهل الله هو الفناء عن وجود سوى والمشهور من شهودهم للحق هو وحدة الشهود وليس وحدة الرجود لقوله تعالى ( هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ) .

هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر بفعله وإبداعه فى ظهور كل شيء والباطن الذى بطن بذاته وفى غيبه عن أن يراه شيء . أو يدركه شيء . وفقط كان تجليه أظهر تجل وأبدع ظهور فى الإنسان فالله حق والإنسان مظهر بتجليات ذلك الحق ، وإن كان تجليه فى سائر الكائنات

غامر ، وأنت تعلم أن الضوء الوارد على القمر مجرد مظهر لنور الشمس ونور الشمس مظهر لها ، والشمس ونورها وضوؤها حتى ظلها مجرد مظاهر لوجود خالقها ومبدعها .

وذلك هو شهود القوم للحق ، حيث يشهدون فعله السارى الذى يظهر فى كل حادث من خلقه وذلك هو وحدة الشهود وهو الحق ووحدة الشهود غير وحدة الوجود طبعاً ، لأن وحدة الوجود تقتضى أن يكون الحق والخلق شيئاً واحداً . وأما وحدة الشهود فتقتضى بأن يشهدوا أفعال الحق سارية فى الخلق مع إثبات القدم والبقاء لذاته والحدوث ، فالقدم والبقاء للوجود الأعلى القديم الباقي ، والحدوث والفناء للممكن الحادث القائم بأفعال الموجود الواجب الوجود وهو الله عز وجل . وقد تكلمنا هنا بإيجاز حيث يقتضيه المقام ، وسنتكلم بأكثر توسعاً وبسطه فى مقام آخر حيث يقتضى الحال ذلك .

وقد يتبلى برؤية وحدة الوجود أهل الشطح فى القول الذى يدعونه سكرًا وقد يعذر مثل أولئك فى ذلك الوارد إن كانوا مغلوباً على أمرهم حيث يحكم عليهم بعدم التمييز لسكرهم وشطحهم .

وهذا الحال قد يعرض لبعض السالكين أو بعض الواصلين الذين لم يحظوا بتمام الكمال والتسكين كما يزيده البسطاى والحلاج وأمثالهما ، وإلا فإن كبار العارفين من الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن منهم من تفوه بذلك أو ارتآء مع قوة أبحاثهم ، وكال عرفانهم . ولم يكن هذا من أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الناس أحوالاً حتى أنه لما عرج به وعان بما أراه الله إياه من آياته الكبرى ما عان لم يعرض له مثل هذا الحال ، وقد وصف حاله هذا الله عز وجل بقوله ( مازاغ البصر وما طعى ) .

وأما التفكير في لطائف الصنع فهو ماء يسقى زرق الحكمة - وهو ما قدمناه من التفكير في صنع الله وفي ألطافه بخلقه وما في السموات والأرضين وما في النفس من حكمة وإبداع الهيين - وأما الفكرة في معاني الأعمال والأحوال - فهي تسهل سلوك طريق الحقيقة - بما تورثه من علم وعمل وأدب - ثم قال وإنما يتخلص من الفكرة في عين التوحيد بثلاثة أشياء : بمعرفة عجز العقل وبالأياس من الوقوف على الغاية والاعتصام بحبل التعظيم .

فأما قوله - بعجز العقل - يشير إلى أن العقل مخلوق محدود بطبيعته المخلوقة فلا يمكنه الوصول إلى إدراك حقيقة خالقه ومبدعه كيف لا وهو يعجز عن إدراك كنهه نفسه فهو يعقل ولا يعقل كيف يعقل ويدرك ولا يعرف الطريقة التي بها يدرك . ولذلك قال الشيخ رضى الله عنه : -

بالأياس من الوقوف على الغاية أى بمجرد العقل - لأن وراء الإدراكين العقلي والحسي في طريق المعرفة مجالا واسعا لشهود تلك الحقيقة بالإلهام دون الخوض في عين الذات ، ولذا يجب الاعتصام بحبل التعظيم عملا بقول الله تعالى ( الذين يؤمنون بالغيب ) .

قال الشيخ رضى الله عنه - وإنما تدرك لطائف الصنع بثلاثة أشياء - بحسن النظر في مبادئ المنن والإجابة لدواعي الإشارات وبالخلاص من رق إتيان الشهوات .

ومعنى هذا أن لطائف المنن الإلهية تدرك إدراكا قليبا بفرض هذه المنن ، وبالاتباه الكامل لما يرد على القلب من إشارات للهداية والمعرفة ، وذلك لا يتم إلا بالخلاص من رق الشهوات التي تشغل القلب وتكدر صفو النظرة إلى الحقائق الإلهية ، وذلك لا يتم كما يقول الشيخ رضى الله عنه إلا بعرفان مراتب الأعمال والأحوال وذلك يتم باصطحاب العلم

واتهام المرسومات أى المقدرات الفعلية والتخمينات الذهنية التى تعطى المرء معرفة صحيحة مضافا إلى ذلك معرفة مواقع الغير أى كل أمر يغير الأحوال ويصرف الاستقامة ويغشى عين البصيرة .

وأنشدوا :

كن على مولاك معتمدا واضرح الأغيار كلمهم  
أوجد الأشياء من عدم وله فى خلقه حكم  
صنعة الرحمن شاهدة وبها التوحيد منحتم  
من كمال الله قدرته والبقاء والعلم والكرم  
كل ما يجرى فعن قدر برسوم خطها القلم  
جد على العاصى بغفرة منك يامن شأنه الكرم  
إن أوزارى ولو عظمت فى بحار العفو تنهزم  
حسن ظنى فيك حدثنى أن بحر العفو ملتهم

### باب التذكر

قال الله عز وجل « وما يتذكر إلا من ينيب »

بقول الشيخ رضى الله عنه بعد ذكر تلك الآية : التذكر فوق التفكير .  
فإن التفكير طلب والتذكر وجود ، وأبنية التذكر ثلاثة أشياء : الانتفاع  
بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار وبالعمى عن عيب الواقع  
وبتذكر الوعد والوعيد وإنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء . بقصر  
الأمس والالتأمل فى القرآن . وقلة الخلطة والتمنى والتعاطى والشع  
والمنام .

ومعنى قول الشيخ رضى الله عنه :

إن التفكر طلب والتذكر وجود ذلك لأن التذكر يأتي بعد التفكر فهو أعمق منه غورا وأكثر تحصيلا من حيث أن التذكر لا يتم إلا بمضامين التفكر بعد الإدمان والإيمان وذلك ما يؤدي حتما إلى الانتفاع بالعظة والاستبصار أى استعمال البصيرة لوجود العبرة. وهذا وذلك يترتب عليه الظفر بشرة الفكرة — ولذلك قال — إنما ينفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار إليها وبغض التعارف عن البحث في عيوب الواعظ الذى أدلى بالموعظة — فلو بحث الموعوظ في عيب الواعظ لما انتعظ بما يقول ، فالأفضل في مثل هذه الحالة ، حسن الظن ، والواعظ وراءه بعد ذلك من سيحاسبه وهو يعلم سره وجهه ألا وهو الله عز وجل وليس هذا فقط وإنما العظة لا تتم إلا بتذكر الوعد والعيد وعرفان مواقعهما والفرق بينهما ، وكما يقول الشيخ رضى الله عنه : — تستبصر العبرة بثلاثة أشياء ، بحياة العقل ومعرفة الأيام والسلامة من الأغراض وتجنّب الثمرة الفكرة بقصر الأمل والتأمل في القرآن وقلة الخلطة والتمنى والتعلق والشمع والمنام .

ومعنى حياة العقل إدمان التفكر في سعة فضل الله وفى ضعف النفس وأما قوله : معرفة الأيام أى معرفة الزيادة والنقصان فيها ، وذلك يؤدي إلى السلامة من الأغراض والنجاة من الدوايق ، وكما يقول الشيخ رضى الله عنه وتجنّب ثمرة الفكرة بقصر الأمل . لأن طول الأمل من عمى البصيرة ، وقلة التفكير ، والتأمل في القرآن يؤديان إلى إبطاء الآجلة على العاجلة .

أيا من بالرفا قد عودوني	بحق جمالكم لا تهجروني
بعزكم وذلي في هواكم	عدوني بالوصال وما طلوني
ورقوا وأجبروا بالقرب كسرى	وعن أبوابكم لا تحجبوني
أسرتم في محبتكم فؤادي	وبالحسن البديع ملكتموني
سكنتم في سويدا القلب من	وأطلقتم دموعي من جفوني
أباح الدمع من وجدي بصرى	ولم أقنع بما أعطيتوني
وقفت بباب عنكم ذليلا	أنادى يالقومى فاجحدوني

وهذا يحفز على التمسك بأسباب الإيمان لكي لا يضيع ثمره وليس هذا فقط وإنما رأى الشيخ رضى الله عنه أن الخلطة أى اختلاط السالك بغير أهل مشربه مفسد للوقت ، وضار بالحال ، وكذلك التفتى أى تشييد الأمانى لمن لا يعلم متى يحىء الأجل وكذلك التعلق بحب الدنيا والتشبث بأسبابها المغرية ومنها الشبع وملء البطن وكثرة المنام .

## باب الاعتصام

قال الله تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا ) وهذا واضح

ثم قال الشيخ رضى الله عنه - الاعتصام بحبل الله تعالى هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره ، والاعتصام بالله هو الترقى عن كل مودوم والتخلص من كل تردد والاعتصام على ثلاث درجات : -

اعتصام العامة بالخير استسلاما وإذعانا وبتصديق الوعد والوعيد . وتعظيم الأمر والنهى ، وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف وهو الاعتصام بحبل الله تعالى . واعتصام الخاصة بالانقطاع وهو صون الإرادة خفضا وأسبال الخلق على الخلق بسطا . ورفض العلائق عزما ، وهو التمسك بالعروة الوثقى ، واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال وهو شهود الحق تفريدا بعد الاستعزاء له تعظيما ، والاشتغال بالحق قربا وهو الاعتصام بالله .

والاعتصام بالله معناه : الاعتصام بحبله ، والتوكل عليه ، فإن السالك لطريق الله تعالى لا بد له من الاعتصام به ، وهو نفس الثقة به والتوكل عليه وأما الاعتصام بحبله ، فهو الاعتصام بشرعه ، وذلك موجب للهداية ، وللقدرة فى سبيل الخير ولذا قال الشيخ رضى الله عنه . هو الترقى عن كل مودوم أى الصعود عن كل مودوم فى العطاء والمنع والنفع والضرر ، الصعود عن كل ذلك أى عن شهود كل ماسوى الله تعالى إلى رؤية فعل من

بيده الأمر والعطاء والمنع وهو الله عز وجل ، فكل هذا يعتبر اعتصاما بالله وتمسكا بحبله في أمره الشرعى والقدرى معاً .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخير استسلاما وإذعاناً لما جاء به رسول الله صلى عليه وسلم من عند الله ، وهذا منحصر فى المعتقد والعمل والمعاملة .

أما المعتقد : فهو عقيدة التوحيد ، وأما العمل فهو العمل بالأوامر الشرعية وأما المعاملة : فهي التعامل بين الناس : أخذاً وعطاءً وصحبة ، وجواراً ومشاركة بالتعاون والانصاف .

وأما اعتصام الخاصة فهو واقع فى صون الإرادة عن الزيع قبضاً وبسطاً وأما إسبال الخلق على الخلق ، فمعناه ألا يصنع معهم إلا ما يجب أن يصنعوا معه ، على حد القول أن يعامل الناس بما يجب أن يعاملوه به .

وفى مثل هذا يقول أبو بكر السكتانى : « التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف » .

وأما رفض العلائق : فهو أن يعزم سالك طريق الله عزما أكيدا على رفض العلائق مع قطاع الطرق إلى الله وهم من يسلكونها عوجاً ، أو يتخذونها صورة ومظهراً .

وأما اعتصام خاصة الخاصة : فبالاتصال وهو شهود حضرة الحق تفريداً أى توحيداً والتذلل له تعظيماً والاشتغال بأمره تقريباً ومراده بالاستحذاء وهو لغة الانكسار والخضوع إلى الله ( وفى بعض النسخ استحذاء ) فإن كان هذا مراده فهو يريد به المحاذاة وهى المواجهة أو مراقبة وجهه ( وفى مثل هذا المقام يحذ العبد أقرب الطرق إلى الله ، فيفنى فى محبته مملوء القلب بتعظيمه ، وذلك هو حقيقة الاعتصام بأعلى معانيه .

وأنشدوا : —

ما من بحبهم اعتصم	وبنور سرهم اتصل
بادر إليهم دائماً	واترك خمورك والكسل
والنفس فاترك حظها	ترضى الإله بهذا الأمل
موت النفوس حياتها	وحياتها موت العمل
فاخلع عذارك في الهوى	تقرب إلى النور الأجل
واخضع لسادات الهوى	تدرك بهم كل الأمل
وأرض بما حكموا هموا	واخضع وجانب من عزل
أهل الغرام تذللوا	لحببيهم ضمن العمل
ياحبذا لو أنه	لمحبة يوماً وصل
غيب قلبي نوره	نور الوجود به اكتمل
من لم يشاهده فلا	يدري الهوى مهما عمل
أن كنت من أحبابه	فالزم رضاه وامثل
متحلياً بشمائل	لحيب ربي في الأزل
المصطفى نور الهدى	من شرعه فاق الأول
نور الإله وسره	باب السعادة والأمل

### باب الفرار

قال الله تعالى « ففرروا إلى الله » الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعيًا ، ومن الكسل إلى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء ، وفرار الخاصة من الخير إلى الشر ودون الرسوم إلى الأصول ، ومن الخطوط إلى التجريد ، وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق . ثم الفرار من الفرار إلى الحق .



ففي قول الشيخ رضى الله عنه : الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل يريد الفرار من الأغيار وهي كل فان ليس له بقاء إلى الموجود الحق ، الذى كان ولم يزل وجوده الدائم الباقي، ثم قال وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقدا وسعيا الخ .

أما الفرار من الجهل إلى العلم فهو شيء معلوم ، ويريد الشيخ فوق هذا معنى أعمق من ذلك ، فهو يعد عدم العمل بالعلم جهلا وهذا صحيح وبعد أيضاً عدم العزيمة على استعمال العلم جهلا أيضاً وأيد ذلك بقوله ( ومن الكسل إلى التشمير جدا وعزما ) . والجد : قوة السعى وقوة السعى لا تحصل إلا بقوة العزم عليه تشميرا واجتهادا .

ثم قال : والفرار أيضاً من الضيق إلى السعة ثقة ورجاء .

والضيق هنا ما يحدث في النفس من هم الرزق وخوف الخلق أو الحزن على مفقود من مال او ولد فيفر من كل هذا إلى الله تعالى ثقة بالله ورجاء فيه .

ثم قال وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ومن الرسوم إلى الأصول ومن الحظوظ إلى التجريد .

فأما الفرار من الخبر إلى الشهود فيريد به الفرار في المعتقد من مجرد العلم به وهو علم اليقين إلى تذوقه . وهو عين اليقين وأن يكون اليقين له حالا ملازما وهو حق اليقين ، فيكون اعتقاده بالله وما إلى ذلك من عقيدة اعتقادا جازما يمازجه الذوق الذى يفضى به إلى الشهود شهود الحقيقة ، كأنه يعاينها مكاشفة وكذلك يفر من الرسوم إلى الأصول أى من رسوم العلم إلى أصوله وهي حقائقه المتضمنة في معانيه الباطنة الصحيحة ، فإذا كان يقينه كذلك يقتضى هذا اليقين الفرار من الحظوظ في الأغيار ، وأغلبها وهوم إلى التجريد أى تجريد الحقيقة فيجردها من كل وهوم الوجود عدى العين في جانب الوجود الحق .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق وجودا إلى الحق نفسه شهودا ، ثم الفرار من شهود ذلك الفرار إلى الحق ، لكي لا يرى في الوجود غير ذات الحق الواجب الوجود سبحانه وتعالى . وذلك بفناء شهود نفسه لكي لا يكون هناك شاهد ومشهود فيفنى الشاهد ويبقى المشهود .

وانشدوا :-

حب المهيمن باليقين أوانى	وإلى جلال شهوده أرجانى
أصبحت لألوى عنانى للورى	مادمت للبارى أمت عنانى
عجزى عن الإدراك إدراكى به	جل المقام فما يمين لسانى
شبحه وبسره وبصوره	روح اليقين أظنى وكسانى
أصهرو روحى فى حماه إليه وانتمى	فالمعشق تاجى واليقين عيانى

## باب الرياضة

قال الله تعالى ( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الرياضة : تمرين النفوس على قبول الصدق وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رياضة العامة : وهى تهذيب الأخلاق بالعلم وتصفية الأعمال بالإخلاص وتوفير الحقوق فى المعاملة . والدرجة الثانية : رياضة الخاصة وهى حسن التفرق وقطع الالتفات إلى المقام الذى جاوزه وإبقاء العلم يجرى مجراه والدرجة الثالثة : رياضة خاصة الخاصة . وهى تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ورفع المعارضات وقطع المعارضات .

أما قوله : تجريد النفس على قبول الصدق : يراد به تجريدها على قبول الصدق من الله وأن تكون صادقة في الله ، وذلك في سائر أقواله وأفعاله وإراداته فإذا عرض عليها الصدق من الله تعالى الذي لا شك فيه فملت صاغرة خاضعة ، وانقادت له مطيعة متبذلة ، وأذعنت له إذعان العبد المخلص لسيده الصادق .

ثم قال وهي على ثلاث درجات . أي تلك الرياضة وأولها رياضة العامة وهي كائنة في تهذيب الأخلاق بالعلم واتباع القيم الخلقية وتصفية الأعمال بالاخلاص فيها ، وبهذا تكون جميع حركات العبد باطنة وظاهرة جارية مجرى التتريع مجرى الخلق ، وتصفية الأعمال بالاخلاص واقعة في تجريدها عما يشوبها من العمل لغير وجه الله تعالى ، أو العمل بطريق معصيته . وأما توفير الحقوق في المعاملة فهو الاستعداد لأدائها كاملة ، سواء كانت من حقوق الله أو من حقوق عباده ، وهذا يشمل أيضاً النصيح في الأخذ والعطاء والبيع والشراء .

إذا ارتاض العبد على هذه الصفات أصبحت له خلقا مكتسبا ثابتاً .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : رياضة الخاصة حسم التمرق وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه وإبقاء العلم بجري مجراه ،

ويريد بحسم التفرق أى حسم تشويش الوقت الموجب للتفرقة الحاجة عن رؤية الحق وسلوك طريق الصواب .

وقوله وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه .

يريد بذلك : التفات سالك طريق الله ، ومعلوم أن الطريق مقامات كالصبر والرضى والتوكل .. الخ .

فإذا جاوز السالك مقاما إلى مقام أعلى منه يجب ألا يلتفت إلى المقام

الذى يرقى عنه ، ولا بد أن يكون فيه بقية منه تشبنا وانتباها للمقام الذى ترقى إليه لى ينمو فينتقل عنه إلى غيره .  
وقوله : « بقاء العلم بحرى مجراه » .

يريد به شيئين : أولاً : العلم بالسلوك وما فيه من مقامات وأحوال وثنائياً : علم الله به فيما يراد له من غاية فلا يعترض ولا يعارض . بل يسلم فى ترقيه تسليماً خالصاً بغية حسم الفرق من الجمعية على الله تعالى والإقبال عليه ، فلا يشتغل باستحسان مقام أو حال بل يعرض عن ذلك مقبلاً على مولاه طالباً للزيادة خشية أن يكون المقام الذى هو فيه حجاباً يعوقه برؤية نفسه فيه عن السير إلى ما أعد له من مقام أرقى ، فهمته منحصرة فى عدم تضيق وقته ، وكثير من سالكى طريق الحق إذا لاحت لهم بارقة أو غلبهم حال خرجوا عن حدود العلم بالطريق وشطحوا شطحاً قد يخرجهم عن المقام ، بل يعتبر ذلك عدم تأدب فيه . ولذا وجب عليهم أن يجعلوا العلم بالطريق دائماً رائدهم .

وأما قول الشيخ رضى الله عنه : « رياضة خاصة الخاصة : تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ورفض المعارضات وقطع المعاوضات . »

فأما قوله تجريد الشهود يريد به تجريد الشهود للحق من رؤية كل حادث ويريد بالصعود إلى الجمع الترقى إلى حال الجمعية على الله ورؤيته عين الحقيقة فى الأفعال والأقوال ، وأما قوله رفض المعارضات فمعناه ألا يعارض المرید فى أفعال الخير ولا يعترض عليها وقوله قطع المعاوضات يريد به عدم طلب العوض من الله تعالى من المكافآت على أعماله الصالحات فهو يعمل للمطاوعة والانقياد لا لطلب العوض من الأجر والثواب .

وفى مثل هذا المقام أشدت رابعة العدوية رضى الله عنها :  
أحلك حبين حب الهوى      وحب لأنك أهل لذاك

فأما الذى هو حب الهوى      فشغلى بذكرك عمن سواك  
وأما الذى أنت أهل له      فكشفك لى الحجب حتى أراك  
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى      ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

## باب السماع

قال الله سبحانه وتعالى ( لو علم الله فيهم خيرا لآسمعهم )

ويقول الشيخ رضى الله عنه : السماع : حقيقة الانتباه وهى على ثلاث درجات الدرجة الأولى : سماع العامة ، وهو ثلاثة أشياء : إجابة زجر الوعيد من الورع رغبة وإجابة دعوة الوعد جهدا وبلوغ مشاهدة المنة استفسارا .

الدرجة الثانية : سماع الخاصة وهو على ثلاثة أشياء . شهود المقصود فى كل رمز والوقوف على الغاية فى كل حسن ، والخلاص من التلذذ بالتفرق ، والدرجة الثالثة : سماع خاصة الخاصة : وهو سماع يغسل العلل عن الكشف ويصل الأبد إلى الأزل ويرد النهايات إلى الأول .

والسماع : اسم مصدر كالشبات والنبات وقد أثنى الله على أهله بقوله : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ، وحقيقة السماع تنبه القلب إلى معانى المسموع وأما المسموع فهو إما خير فيجب الإصغاء إليه والعمل به وإما شر فيجب الإغضاء عنه وصرف النفس عن التفكير فيه ، والمقصود هنا بالسماع حقيقة الفهم والتعقل ويفسره قول الله تعالى ( ولو علم الله فيهم خير لآسمعهم ) والمراد بالسماع عند القوم : سماع ما ينشدون أحيانا من أشعارهم وأشعار شيوخهم ، التى تحتوى على أدب السلوك وتدل على الحب : حب العبد للرب ، وهو أى السماع محرك يحرك العزم ويحض على الجد فى المقامات والأحوال ومعالى الدرجات .

وحكم السماع شرعا : يتبع ما تعلق به إن خيرا نفي وإن شرا فشر .  
فإن كان المقصود بالسماع حب الله تعالى والتبطل اليه والازدياد من الإيمان  
به والتحبب اليه ، فأنعم به من سماع .

وإن كان السماع مثيرا للهوى موقظاً لغرائز النفس ، ويراد به غير  
المقصود منه فهو في مثل هذا المقام فتنة ويحرم .

والسماع الجائز المطلوب مثل مسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند  
حفر الخندق من أنس وبعض الصحابة وهم يرتجزون بين يديه .

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً  
وماسمعه بين يديه من شعر عبد الله بن رواحه وقد حدا به عند انصرافه  
من خيبر فجعل يقول :

والله لو لا الله ما اهديننا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكة لنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
إن الذين بقوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا  
ونحن عن فضلك ما استغنيا

وأما قول الشيخ رضى الله عنه : السماع على ثلاث درجات : سماع  
العامة وهو ثلاثة أشياء : إجابة زجر الوعيد رغبة ، وإجابة دعوة الوعد  
جهداً وبلوغ مشاهدة المنة استفساراً .

والوعيد هو الأمر بترك كل محذور ، ومعنى إجابة داعيه : هو العمل  
بالنهي واستمرار سبيل الهداية ، وقوله : رغبة أى امتثالاً لما أمر الله به  
أو نهى عنه وأما إجابة الوعد جهداً فهي امتثال الأوامر الإلهية مع بذل  
الجد طلباً للوصول إلى رضا الحق بفضل ما يحبه . وأما بلوغ مشاهدة المنة  
استفساراً فهو التنبيه والاستفسار إلى معاني ماسمعه من الطالب الدافع بالمنفعة  
والمنفعة ذلك الذى يدل على عمل الخير واتباع الحق ، وكذلك يرى أن ماروى

عنه من الدنيا أو لحقه من أذى فيها فهو منة من الله أيضاً. وفي هذا المعنى يقول بعض السلف « يا بن آدم إنك لا تدري أى النعمتين عليك افضل ، نعمته فيما أعطاك أو نعمته فيما زوى عنك ، وقال عمر رضى الله عنه « لو كان الصبر والشكر بعيرين لما باليت أيها ركبت » .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : وسماع الخاصة ثلاثة أشياء : شهود المقصود فى كل رمز ، والوقوف على الغاية فى كل حين والخلاص من التلذذ بالتفرق .

والمقصود بكل رمز هو كل ما يرمز إلى الحقيقة وكل ما يتصل بها من سبب واضح أو خفى ، فكل ما يدل على عظم أسمائه وجليل صفاته وجميل أفعاله قد جاء مفصحا عنه أو مرموزا له فالعارف يشهد القصد فيه بنور بصيرته وغرضه من ذلك تحصيل مراد الله من المسموع .

وأما الوقوف على الغاية فى كل حين فهو الوقوف عند المطلوب وهو القرب فى كل حال ، وليس وراء ذلك المقام غاية ولا دونه مستقر . .

وأما الخلاص من التلذذ بالتفرق : فهو الخلاص من سماع ما يوجب تفرقة بينك وبين ربك فما لا يجوز سماعه لأمثالك ، لأنه يوجب التفرق ، وأنت تريد الجمع والوصول فسماع ما يصرفك عنه ليس من بغيتك ولا من حظك .

ثم قال الشيخ وسماع خاصة الخاصة سماع ينفى العلال عن الكشف ويصل الأبد إلى الأزل ويرد النهايات إلى الأول .

فالسماع هنا يأتى بعبارة أو آية أو عظة أو كل ما ينبه إلى حضرة الحبيب ويدل على معانى القرب .

وقد أجمع أهل طريق الله على أن تصحيح البدايات يدل على حسن النهايات وتصحيح البدايات تغسل العلال المؤخرة عن الكشف والمعطلة

للسلوك فالبقظة عن طريق السماع عن الحق من أى سبيل واستيعاب المسموع بعين البصيرة يصل البداية بالنهاية وهذا معنى قول الشيخ يصل الأبد إلى الأزل ويرد النهايات إلى الأول .

( هذا قسم البدايات وقد انتهى وأما قسم الأبواب وهو القسم الثانى فهو أيضاً عشرة أبواب ) .

وهى الحزن ، والخوف . والاشفاق ، والخشوع . والاختبات . والزهد والورع . والتبتل ، والرجاء ، والرغبة .

وفى هذا الباب أنشد السهرودى من قوله :

تضيق بنا الدنيا اذ غبتمو عنا	وتزهق بالأشواق أرواحنا منها
بعادكم موت وقربكم حيا	وإن غبتمو عنا ولو نفسا متنا
نموت إذا غبتم ونحيا بقربكم	وإن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا
نعيش بذكركم إذا لم نراكم	إلا أن تذكرا الأحبة ينعشنا
يحركنا ذكر الأحاديث عنكموا	لولا هواكم فى الحشا ما تحركنا
ولولا معانيكم تراها قلوبنا	إذ نحن أيقاظ وفى النوم أن غبنا
لمتنا أسى من بعدكم وصباة	ولكن فى المعنى معانيكمو معنا
فقل للذى ينهى عن الوجد أهله	إذ لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذ لم تذق ماذاقت الناس فى الهوى	فبالله يا خالى الحشا لا تعنفنا
وسلم لنا فيما ادعينا فإننا	إذا غلبت أشواقنا ربما صحننا
وتهتز عند الاستماع جسومنا	وأن لم نطق حمل التواجد نونحننا
أما تنظر الطير المقفص يافى	إذا ذكر الأوطان حن إلى المعنى
يفرج بالتفريد ما بفؤاده	فيطرب أرباب العقول إذا غنى
ويتهز فى الأقفاص من فرط حبه	وتطرب الأعضاء فى الحس والمعنى



كذلك أرواح المحبين يا فتى  
أنلزمها بالصبر وهي مشوقة  
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء  
فيا حادى العشاق قم واحداً قائماً  
وحين سرنا فى سكرنا عن حسودنا  
فإننا إذا طبعنا وطابت نفوسنا  
فلا تلم السكران فى حال سكره  
فيا عاذلى كرر على حديثهم

تهزها الأشواق للعالم الأسنى  
وكيف يطيق الصبر من شاهد المعنى  
نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى  
وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا  
وإن أبصرت عيناك شيئاً فساخنا  
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا  
فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا  
فأعيننا منهم وأعينهم منّا<sup>(١)</sup>

## باب الحزن

قال الله تعالى ( وتولوا وأعينهم نفيس من الدمع حزناً ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الحزن توجع لغائب أو تأسف على ممتنع  
وله ثلاث درجات : الدرجة الأولى : حزن العامة — وهو حزن على  
التفريط فى الخدمة وعلى الإفراط فى الجفاء . وعلى ضياع الأيام . والدرجة  
الثانية : حزن أهل الإرادة وهو حزن على تعلق القلب بالفرقة ، وعلى  
اشتغال النفس عن الشهود وعلى التسلى عن الحزن وليست الخاصة من مقام  
الحزن فى شيء ، ولكن الدرجة الثالثة من مقام الحزن للتحزن للمعارضات  
دون الخواطر ، ومعارضات المقصود والاعتراضات على الأحكام .

قال الشيخ رضى الله عنه : الحزن توجع لغائب من الأعمال الصالحات  
وهو أيضاً تأسف على ممتنع من الدرجات العالية التى لم يصل إليها السالك  
فهو راغب فى الوصول إليها .

(١) المراد بالعين هنا : النظرة فهو يريد أن يقول فظنرتنا إليهم متجبة ونظرتهم إلى

ثم قال : وله ثلاث درجات حزن العامة : وهو حزن على ما قد يكون قد وقع من تفريط في الخدمة أو تورط في الجفاء أى الالتفات عن التقدم في السير إلى طريق الحق . أو تضییع الأيام فيما ليس فيه تقدم إلى وجهته التي يقصدها ، وهى البلوغ إلى السكال ، والتفريط في الأفعال غير التفريط في العبودية والخدمة هى استمرار الاستقامة لأن الأفعال هى ما يوجب التقدم أو التأخر عنها وأكثر من في المقامات والأحوال موجب للاستقامة ثم قال : والدرجة الثانية هى حزن أهل الإرادة . وهو حزن على تعلق القلب بالنفركة وانشغال النفس عن الشهود . وعلى التسلى عن التحزن لذلك الخطب المعوق عن السكال من حيث المطلوب وهو الجمعية ، والحضور مع الله تعالى فى سائر الأنفاس واللحظات وهذا يعارضه تشتت الخواطر وانقسام الارادات — والتعلق بالرغبات .

ومن الأحوال الصارفة عن الشهود الانصراف عن الذكر أو ضعفه والذكر من دأبه التقريب إلى المذكور .

فالتسلى عن الحزن لكل ذلك دليل على أن الإرادة مدخولة ثم قال رضى الله عنه :

ولست الخاصة من مقام الحزن فى شيء « لأن الحزن فقد ، وهم أهل شهود ووجود .

ثم قال رضى الله عنه : والدرجة الثالثة : التحزن للمعارضات وهى الإرادات المصممة على ما يوجب النفركة والتمنيات الجاحمة دون الخواطر العارضة طبعاً لأن الخواطر عارضة تأتى وتزول . ثم الاعتراض على الأحكام مبعد . وقد يودى إلى الإفلاس كلية من الأحوال والمقامات . فالعزيمة المقربة مطلوبة . ومن شأن المريد الصادق التسليم للأقدار والخلو من المقاصد الخاصة التى تتمناها النفوس الغافلة ، والسلوك مبنى على الترقى ،

فيجب خلوه من كل ما يثبط أو يخالف علو الهمة والنهوض إلى الجدد  
فى السير .

وقد أشدوا فى هذا المعنى قول بعضهم :

على أبوابكم عبيد ذليل	كثير الشوق ناصره قليل
له أسف على ما كان فيه	وحزن من صدودكم طويل
يمد إليكمو كف افتقار	ودمع العين منهمل يسيل
يرى الأحباب قد وردوا جميعا	وليس له إلى ورد سبيل
اكون نزيلكم ويضام قلبى	وحاشا أن يضام لكم نزيل
فان يرضيكم طردى وبعدى	فصبرى فى محبتكم جميل
وحق ولائكم وشديد شوقى	سلوى عن هواكم مستحيل
قضيت بحبكم أيام عمرى	فلا أسلو وقد بقى التقليل
يحدثنى الصبا عنكم حديثا	يصح بنثره الجسم العليل
فأسكر من ثناها حين هبت	وانظر حيثما مالت أميل

## باب الخوف

قال الله تعالى ( يخافون ربهم من فوقهم ) ثم قال الشيخ رضى الله  
عنه : الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر وهو على  
ثلاث درجات الأولى : الخوف من العقوبة : وهو الخوف الذى  
يصح به الايمان ، وهو خوف العامة . ويتولد من تصديق الوعيد وتذكر  
الجنابة ومراقبة العاقبة .

والدرجة الثانية ، خوف المسكر من جريان الأنفاس المستغرقة  
فى اليقظة المشوبة بالخلاوة وليس فى مقام أهل الخصوص وحشة الخوف  
إلا هيبة الإجلال . وهى أقصى درجة ، يشار إليها فى غاية الخوف وهى

هيبة تعارض الكشف في أوقات المناجاة وتصون المشاهد في أحيان  
المسامرة وتصطدم المعان بصدمة الغرة .

الخوف من طمأنينة الأمن يكون بمطالعة الخبر — أى الخبر الإلهي  
المشتمل على الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب .

ثم قال وهو على ثلاث درجات : الخوف من العقوبة وهو الخوف  
الذى يكمل به الإيمان ، وهو بالطبع خوف العامة عامة السالكين وهو  
ينشأ عن تصديق الوعد والوعيد وتذكر الجناية حال ما سبق من العصيان  
ومراقبة العقوبة للطاعة والمعصية والقرب والبعد والحضور والغيبة والتصافي  
والجفاء .

ولابد في هذا من النظر بعين العلم ليقظة البصيرة في أحكام الشرع  
ثم قال والدرجة الثانية : « خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في  
اليقظة المشوبة بالحلاوة » . فيجب على السالك الخوف من مكر الله فقد  
يكون مستدرجا في حاله إذا ركن إلى حلاوة ذلك الحال وادعاه لنفسه  
فشغل به عن مطلوبه فكم من سالك مغتبط بحاله ، انعكس عليه الحال إذا  
رأى نفسه فيه ولم ير فضل الله عليه به .

ثم قال والدرجة الثالثة : درجة الخاصة وليس في مقام أهل الخصوص  
وحشة الخوف إلا هيبة الإجلال ، وذلك لأن أهل الخصوص في أنس  
بفضل الله عليهم وكرامته لهم فلا خوف عندهم ولا عليهم إلا هيبة للحق  
المتفضل وإجلالا لفضل الكريم المنعم وهذه أشرف وأعلى درجات  
الخوف ، لأنها خوف يصحبه التأدب في حضرة الحبيب ، وإجلالا لمقامه ،  
وهذه الحال أعلى طبعاً من خوف عامة السالكين لأنها خوف حب  
وتكريم متبادل إلا أنها لما فيها من تهيب قد تعارض حالة الكشف بالهيبة  
عند المناجاة ، وإن كانت تصون المسامر حين المسامرة والحضور وهي أيضاً

تصدم المعاین بصدمة الغرة عند الجرأة والمعاین هنا من يطمع فى معاينة الذات ذاتها فعلى هذا يجب أن يرجع إلى قول الله تعالى فى مثل هذا الشأن لموسى عليه السلام ( لن ترائى ولكن انظر إلى الجبل ) .

وأنشدوا فى مثل هذا المقام على لسان الحق :

أطع أمرنا زفع لأجلك حبنا	فانا منحنا بالرضى من أحبنا
ولد بحمانا واحتم بحنابنا	لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
وعش فى رضانا خاضعا	متذللأوأخلص لنا تللق المسرة والهنأ
وسلم إلينا الأمر فى كل ما أتى	فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
ولا تعترضنا فى الأمور فكل من	أردناه أحببناه حتى أحبنا
رفعنا له حجبا أبحناه نظرة	إلينا وأودعناه من سر سرنا
تمسك بأذيال المحبة واغتم	ليال بها تحظى بأوقات قربنا
وقم فى الدجى فالليل ميقات من يرد	وصال حبيب فاغتم فيه وصلنا
فما الليل الا للمحب مطية	وميدان سبق فاستبق نبلغ المنى
عن ذكرنا لا يشغلنك شاغل	ولا تنسنا واقصد بذكرك وجهنا
ولا تنس ميثاقا أخذناه أولا	عليك بأقرار كتبناه عندنا
ولا تنس إحسانا بسطناه عندما	جهلت فعرفناك حتى عرفتنا
أمرناك أن تاتى مطيعا لبائنا	فأبطأت خاطبتناك مع خير رسلنا
كفيناك أغنيناك عن سائر الورى	فلا تلتفت يوما إلى غير وجهنا
نسيت فذكرناك هل أنت ذا كر	لإحساننا أم أنت ناس لعهده
وجدناك مضطرا فقلنا لك ادعنا	نجيبك فهلا أنت حقا دعوتنا
أما أن أن تقلع عن الذنب راجعا	إلينا وتنظر ما به جاء وعدنا
فأحبائنا اختاروا المحبة مذهبا	وما خالفوا فى مذهب الحب شرعنا
فمن جاءنا طوعا رفعناه رتبة	وعنه كشفنا الهم والغم والعنى
ومن حاد عنا ضل سعيأ ومذهبا	وباء بحرمان ولم يبلغ المنى

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلنا  
فقال خواص العاشقين تذلا يلذ لنا في معرك الحب قتالنا  
ولادية نرضى بها غير نظرة إليك ولكن نظرة منك تكفنا  
إذا كنت عنا راضيا فهو قصدنا وكل يقول أنت في القصد حسبنا

## باب الإشفاق

يقول الشيخ رضى الله عنه : قال الله تعالى ( إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ) والاشفاق دوام الحذر مقرونا بالترحم وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : اشفاق على النفس أن تتجنى إلى العناد ، واشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع واشفاق على الخليفة لمعرفة معاذيرها ، والدرجة الثانية : اشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق ، وعلى القلب أن يزاحمه عارض وعلى اليقين أن يداخله سبب . والدرجة الثالثة : اشفاق يصون سعيه من العجب ويكف صاحبه عن مخاصمة الخلق ، ويحمل المرید على حفظ العهد .

أما قول الشيخ رضى الله عنه : الاشفاق دوام الحذر مقرونا بالترحم فمعناه الحذر من مخالفة الحبيب وليس الحذر منه ولذلك قال مقرونا بالترحم والترحم فيه الود . ثم قال وهو على ثلاث درجات : اشفاق على النفس أن تتجنى إلى العناد فتطيع الهوى وتصاحب العصيان ، وتعاند العبودية الخالصة ، ويفعل هذا المرید من ضروب الاشفاق خوفا واشفاقا على عمله من أن يسير إلى الضياع بسبب طاعة النفس والهوى فيعصى فيحبط عمله .

وهذا الخوف . وذلك الاشفاق على نفسه وعمله من الضياع يوجب ضرورة اشفاقه على عموم الخليفة لمعرفة معاذيرها وسر القدر فيها .

ثم قال والدرجة الثانية : اشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق أى حذر

على وقته من أن يخالطه ما يفارقه عن الحضور مع الله عز وجل واشفاق  
أيضاً على القلب أن يزاحمه عارض من الوهم أو من الرغبة يصرفه عن  
القصد المطلوب، واشفاق على اليقين أيضاً أن يداخله سبب من الرسوم أو  
الآغيار صارف عن حضرة الحق .

ثم قال والدرجة الثالثة : اشفاق يصون سعيه عن العجب ويكف صاحبه  
عن مخاصمة الخاق ويحمل المريد على حفظ العهد .

ويريد الشيخ رضى الله عنه . بهذا أن ينهى السالك لطريق الله عن أن  
يعجب بنفسه فإنه لو أعجب بنفسه لاستعلى على غيره ، وهذا الحال ، موجب  
لاستصغار شأن الخلق ومخاصمتهم ، معتبراً أنه أرفع منهم ويحذر الشيخ من  
كل ذلك لأن المريد يكون محجوباً عن فهم سر القدر وسريانه في الخليفة  
من جهة وترفعه وعجبه بنفسه موجب ضرورة لاسقاط درجته . وهذا  
يتنافى مع الأدب في حضرة الحق لا سيما وأن العجب مفسد للعمل وهو  
صنو الرياء .

وقد يريد الشيخ رضى الله عنه بهذا كله أن يحفظ المريد العهد ولا يخرج  
على الحد الذى يرسمه له السلوك الصادق النقي .

وأفشدوا فى مثل هذا المقام :

لى بالجمى قوم عرفت بصبرهم وإذا مرضت فصحتى فى طهم

قوم كرام هائمون برهم علموا بأن صادق فى حهم

وتحققوا صبرى الجميل فعذبوا

ياسعد خذ عنى الهوى وله فعى واعلم بأن القوم أهل المطلع

خطرات وجه غائب فى البرقع نزلوا بوادى المنحنى من أضلعى

وتمنعوا عن مقلتى وتحجبوا

هم عند قلبي بل وقلبي عندهم      وإذا بسست الوجد بسوا وعدهم  
ومعنى أراهم كى لا أفارق قصدهم      سعد حظوظى إذ رضونى عبدهم  
والفخر لى أنى إليهم أنسب

## باب الخشوع

قال الله تعالى ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل  
من الحق ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه بعد ذكر الآية : الخشوع خمود النفس  
وهمود الطباع لمتعاضم أو مفزع وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى :  
التذلل للأمر والاستسلام للحكم والاتضاع لنظر الحق ، والدرجة الثانية :  
ترقب آفات النفس ورؤية فضل كل ذى فضل عليك ، وتنسم نسيم الفناء .  
والدرجة الثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة وتصفية الوقت من مزايا  
الخلق ، وتجريد رؤية الفضل .

أما قوله رضى الله عنه : الخشوع خمود النفس أى انكسارها وخمود  
نزواتها عن المقاومة لمسالك الطاعة ثم قال ( وهمود الطباع لمتعاضم ) أى  
لأمر عظيم كأمر الله ونهيه أو مفزع كالخوف من عقابه .

ثم قال وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : التذلل للأمر أى  
الانكسار والخشوع لأمر الله تعالى والاستسلام للحكم أى التسليم الكامل  
لأحكام الله تعالى القدرية والتعبدية ثم الاتضاع بالنفس فى ذلك كله خضوعا  
لنظر الحق فيرى فى عبده مريدا صادقا وتقيا ورعا يقدر ما لله تعالى عليه  
من الفضل الباطنى ومن النعمة الظاهرة . وسبحانه الذى يقول ( هو الذى  
أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ) .



ثم قال والدرجة الثانية ترقب آفات النفس ، وللنفس بالطبع آفات صارفة عن حسن السلوك ، يجب عليه أن يترقبها . وأن يتقن بذلك الترقب خداعها في الأعمال والأقوال ، ثم رؤية فضل كل ذى فضل عليه والفضل الأعظم فضل الله على العبد ، ثم تليه أفضال كفضل المعلم وفضل المرشد ، وفضل الشيخ الدال على طريق الله تعالى .

ثم قال والدرجة الثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة : أى حفظ حرمة الحق فيما يتجلى به على قلبك من ضروب الكشف فلا تبج بالأسرار إلا لقلوب الأحرار ثم حافظ على تصفية الوقت من الشوائب الصارفة لاستمرار المكاشفة .

وأهم ما تصفى منه وقتك تعدد مزايا الخلق من الناس والأسباب ومنافعها لأنها صارفة عن شهود رؤية الفضل ، فضل الله عليك وعليهم .

وقل ما يقول الخاشعون :

فم فى الدجى يا أيها المتعبد	حتى متى فوق الأسرة ترقد
واستغفر الله العظيم بذلة	وأطلب رضاه فإنه لا يحقد
وأندم على مافات وانذب مامضى	بالأمس واذكر مايجى به الغد
واضرع وقل يارب عفوك إننى	من دون عفوك ليس لى ما يعضد

## باب الإخبات

قال الله عز وجل « وبشر الخبتين » ويقول الشيخ رضى الله عنه : إن الإخبات من أوائل مقامات الطمأنينة وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : أن تستغرق العصمة الشهوة وتستدرك الإرادة الغفلة . ويستهوى الطالب السلوى . والدرجة الثانية :

ألا ينقص إرادته سبب ولا يوحش قلبه عارض ولا يقطع الطريق عليه فتنة . الدرجة الثالثة : أن يستوى عنده المدح والذم . وأن تدوم لأمته لنفسه ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته .

( والاختيات الميل الشديد كل الميل أو الركون إلى الحق وهنا دوام النظر إلى الحق ودوام النظر أيضاً إلى الحقيقة والانتقطاع عن كل باطل . والرضوخ لموجبات ما من الله عليك به من تقريب ولذلك وصفه الشيخ بأنه من أوائل مقامات الطمأنينة التي توطن الأمن من خوف الرجوع . ومن التردد أيضاً . لأن السالك يكون قد اطمأن إلى صحة معتقده وسلامة يقينه ، وخلوص إيمانه ، وقد وصف الشيخ ذلك الأمن الوطيد فقال : الدرجة الأولى أن تستغرق العصمة الشهوة وتستدرك الإرادة الغفلة ويستوى الطالب السلو .

والعصمة هي الحماية والحفظ ومنها الاعتصام وهو الدخول في حدود تلك الحماية وذلك الحفظ . وبيان ذلك طبعاً الميل إلى مطالب النفس كالاهواء والشهوات . ( والاستغراق للشيء الاحاطة به ) وعلى هذا يجب أن يستغرق — الاعتصام الذي تليه العصمة استجابة من الله عز وجل للعبد في سائر السلو عن الميل والشهوات التي تتجنى إليها النفس ، فإن حدث ذلك استقامت حالة الاعتصام بالله تعالى وتوطدت مسالك العبد إليه بعد أن غلبت عصمته شهوته وقهرتها .

ثم قال وتستدرك إرادته غفلته : والإرادة عند أهل طريق الله تعالى أول منزلة من منازل طريق السلوك . ولا يسمى المرید مريداً حتى يخرج تدريجياً من طبعه وعاداته ويأخذ في السفر إلى الله تعالى مجدداً . فإذا حالفه الاختبات أحاطت إرادته بغفلته حتى تتحكم في مخالفة ميوله العارضة التي لا تتفق مع رتبة الإرادة .

وحينئذ يستمرىء السالك طعم العصمة فتستهويه السلوة من الشهوات .  
والنقائص الموبقة . وحينئذ يكون قد غلبت فطنته شهوته ، وتحكمت إرادته  
في سائر ميوله .

( ثم قال : والدرجة الثانية . ألا ينقض إرادته سبب : أى من  
الأسباب المغيرة العارضة على النفس فيثبت في طريقه ولا تطغى عليه غفلة  
أو تزيلة عن مسلكه فتنة فإذا تمكن السالك من ذلك الاخبات فارقته  
أمثال تلك الآفات ؛ لأن إرادته قد قويت وعزمه على الجد في السير  
قد تحقق .

والنقض هو الرجوع كنقض ما كان يريد . والانصرف عما كان عليه  
عاهد — فيضطرب مسلكه في سفره إلى الله أو يعدل عنه وقد قال أحد  
الأدباء رهو ابن المقفع في بعض رسائله :

( من كانت رغبته في طريق ، ومسلكه في طريق آخر فما أحقه بشدة  
التبين لأنه يكون قد طلب الذى منه هرب ، وألغى الذى إليه سعى »  
فالاشتغال بالسلوك وبالعوارض التى تعرض من الشوائغل القلبية والأهواء  
النفسية في وقت واحد ضرب من الضلال والعمى يحتاج فيه المرء لشدة  
التبين لطريقه الذى أراد سلوكه فقد يكون متجها إليه ظاهراً ومنصرفاً عنه  
باطناً وهى المننة الى تقطع عليه طريق الله تعالى ، فإذا صحح الإرادة  
وتمسك بالاخبات فمن المحال أن يقطع عليه طريق الله فاطع .

والطريق مبنى على العزم والصبر وشجاعة النفس والثبات ، فإن اعتلى  
السالك تلك الذروة وبلغ مثل هذا المقام العظيم ، وجب أن يعمل بشرط  
الشيخ الذى قال ( فيه أن تستوى عنده المدح والذم وأن تدوم لائمه  
لنفسه ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته ) وذلك هو مضمون  
الدرجة الثالثة .

وأنشدوا في ذلك قولهم :

لا أيها المحسوب في الحب حبنا	لك الفتح والبشرى مع العز والهناء
فلا تخش من ضيم فقد جئت للحمى	وأبشر بدفع السوء والهم والعناء
ومادمت في حى الأجابة بالوفاء	وقلبك يسمو في اليقين بحبنا
خلياً من الدعوى وبالله واثقا	فلا تنثنى عنا لرؤية غيرنا
فقد فزت بالاسعاد في كل حالة	وقد وافت بك الأفراح تهتف بالمنى
مرىدى افتخر تبها على كل مغرم	ولا تخش من عدل وجاهر بحبنا
وحاذر مريد أن تميل مع الهوى	فتصبح مقطوعاً وتمسى طريداً
وقل للذى أضحى سعيداً بحبنا	خلياً من الأغيار قد فزت بالمنا

## باب الزهد

قال الله تعالى : « بقية الله خير لكم » .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه « الزهد اسقاط الرغبة عن الشيء بالسكينة وهو للعامة قربة للمريد ضرورة وللخاصة خشية وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الزهد فى الشهوة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة والأنفة من المنقصة وكراهة مشاركة الفساق .

الدرجة الثانية : الزهد فى الفضول ومازاد على المسألة والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت وحسم الجاش والتحلى بحليه الانبياء والأولياء الصديقين .

والدرجة الثالثة : الزهد فى الزهد وذلك بثلاثة أشياء باستحقاق ما زهدت فيه واستواء الحالات عندك والذهاب عن شهود الاكتساب . ناظرا إلى وادى الحقائق .

ومعنى قوله : الزهد إسقاط الرغبة عن الشيء بالسكينة ويريد بالرغبة هنا الحب للشيء وليس مجرد الحاجة إليه فإن الاحتياج إلى مقومات الحياة ضرورة حيوية لا يجب أن تدخل في مفهوم الزهد المقصود ، لأن الزهد في الدنيا معناه عدم حبها لرغبة ذاتية منها وإن ملكها والحال أن مثالها جميعاً إلى العدم والتلاشي ولكن الانتفاع بها فيما يسد الخلة أمر مشروع تركه لا يسمى زهداً وإنما قد يسمى خروجاً على الشرع لقول الله تعالى .

( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق )

فالزهد في الضروري غير مباح ولا مشروع إنما المطلوب للشرع الزهد في الحرام أو فيما فيه شبهة ثم الزهد في البذخ والاحتكار للثروة أو للقوت أو حبس المنفعة كالبخل مثلاً :

ومن ثم يكون المقصود بالزهد ما جاء في قول الله تعالى « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » وقوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، والقرآن ملىء بمثل هذه المعاني الدالة على فناء الدنيا وانقطاعها .

وإذن فماذا عسى أن تكون حقيقة الزهد ؟ .

والجواب . تكون حقيقة الزهد بأن تكون الدنيا في اليد وليست في القلب وقد يكون زاهداً من يملك الدنيا جميعها وقلبه معلق بالله تعالى فهو غنى وقد يكون فقيراً من تعلق قلبه بالدنيا ملكها أو لم يملكها .

وعمر بن عبد العزيز مثلاً كان ملكاً وابن ملك وقد ورث من شئون الدنيا أعلاها نصيباً وأرحبها سعة ومع ذلك كان زاهداً في الدنيا .

وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو من بين من نعلم ثروته وتجارته من الصحابة وكذلك الزبير وعثمان رضى الله عنهما . أولئك كانوا من الزهاد مع ما كان لهم من ثراء ومتاع .

( م . هـ - التمسكين )

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه : من الزهاد وبلغ به زهده ان زهد في الملك حقنا لدماء المسلمين بالفتنة .

ومن كلام أئمة الصوفية «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحرام ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في الله تعالى أوثق منك بما في يدك» .

وتكون حقيقة الزهد بهذا النظر هي : الزهد في الزائد من المتاع الذي يحرص عليه محبو الدنيا ويتمنون الزيادة عليه ولو بحبسه عن الناس . وأما الزهد في الحرام فلا يجوز أن يسمى زهداً . لأن الحرام معصية . والحلال لا يجوز الزهد في الانتفاع بنصيبك منه لأنه مباح ويظل معنا مافيه شبهة ، فإن من الورع تركه وكل ما يشغل عن الله تعالى مما فيه حرمة ومن الزيادة فيما يباح فالزهد فيه مطلوب لسالك طريق الحق . ولذلك عرف الشيخ الزهد في أول كلامه : بأنه إسقاط الرغبة في الشيء وليس إسقاط الرغبة فيه عن القلب .

ثم قال وهو للعامة قرينة وهذا واضح والمريد ضرورة وهو واضح أيضاً وللخاصة خشية وذلك فيه نظر لأن الخاصة ارتفعوا عن زهد العامة وكانوا يريدون فارتفعوا عن رتبة الإرادة فزهدهم يكون مجرد خشية لله تعالى لأن نفوسهم تكون قد طبعت على العزوف عن الزائد من الخطام الفاني . فزهدهم يكون إمعاناً في الخشية من المسئولية امام بارئهم ومحبوبهم ومطلوبهم .

ولذلك يقول الشيخ رضي الله عنه : إن الزهد على ثلاث درجات الدرجة الأولى : الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعيبة والأثفة من المنقصة وكراهة مشاركة الفساق أي المارقين الذين فسقوا عن أمر الله تعالى والفسوق هو الابتعاد والخروج .

يقول الشيخ رضي الله عنه : الدرجة الثانية : الزهد في الفضول وهذا ما يؤيد قولنا السابق .

وأما قوله ما زاد على المسألة والبلاغ يريد ما زاد عن الحاجة والكفاية وجعل ذلك اغتناما أى مكسبا للتفرغ لعمارة الوقت بما يقرب إلى الله تعالى والدار الآخرة وللآخرة خير وأبقى ، ولذلك أضاف وحسم الجأش ، والجاش هو الترغيب والتشوف ( والحسم منعه ) فلا يثنى عزيمته عن الله تعالى مطلب من مطالب الدنيا وذلك يكون تشبها وتحليا بحلية الأنبياء والأولياء والصدّيقين .

ثم قال والدرجة الثالثة : والزهد فى الزهد أى فى أن تزهد فى رؤيتك أنك زاهد أتم قال وذلك بثلاثة أشياء : باستحقاق ما زهدت فيه واستواء الحالات عندك وهذا كله ظاهر إلا أنه قال والزهد عن شهود الاكتساب وقد يخال لقارىء كلامه أن هذا معناه الزهد فى الاكتساب ولكن هذا يكون خطأ فإن الشيخ يريد لا ترى لنفسك كسبا فيما امتلكت يداك وإنما هو منة من الله تعالى عليك فيجب أن تزهد فى أنك اكتسبت بحيلتك وجهك ، ولذلك قال الشيخ رضى الله عنه ناظراً إلى وادى الحقائق أى مرتفعاً عن هذا المعنى إلى ما هو أعمق وأشمل ألا هو فعل الله تعالى ومشيبته ومنته عليك وأنشدوا :

إن لله عبّاداً فطناً      طلقوا الدنيا وخافوا الفتناً  
نظروا فيها فلما علموا      أنها ليست وطناً  
جعلوها لجة واتخذوا      صالح الأعمال فيها سفناً

## باب الورع

قال الله تعالى « وثيابك فطهر » .

ويقول الشيخ رضى الله عنه : الورع توق مستقص على حذر .  
أو تخرج على تعظيم وهو آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للمريد

وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى تجنب القبائح بصون النفس وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان وهذه الصفات الثلاث في الدرجة الأولى وهو ورع المرید .

والدرجة الثانية : هي حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة والتوقى صعوداً عن الدناءة وتخلصاً من اقتحام الحدود .

الدرجة الثالثة : التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت والتعلق بالتفرق وعارض يعارض حال الجمع .

( يقول الشيخ رضى الله عنه : الورع : توق مستقص على حذر أو تخرج على تعظيم .

( ويقول الشبلى رضى الله عنه : « الورع أن تتورع عن أن يتشتت قلبك عن الله تعالى طرفة عين » ) .

والورع بهذه المثابة هو عدم الهبوط عن المقام لأنه ذخيرة السالك فإن هفا إلى الصغائر خرج عن الورع ووقع فى الشبهة .

وصورة الورع فى البدايات : تجنب القبائح ، وترك المكروهات فهو التوقى من الفضول الشاغلة عن المراقبة .

وهو أول الزهد وآخره وباب إلى التقوى فهو كما يقول الشيخ رضى الله عنه « تخرج على تعظيم ، أى تخرج عن النقص وتعظيم للخالق وهو كما يقول الشيخ آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للمريدين .

ثم قال : وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : تجنب القبائح بصون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان وهذه الصفات الثلاث فى الدرجة الأولى من ورع المرید .



وفي مثل هذا المقام يقول سيدنا عمر رضى الله عنه :

« لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزن الورع أن يذل لصاحب دنيا » .

فالورع دليل الخوف ، والخوف دليل المراقبة ، والمراقبة دليل المعرفة ،  
والمعرفة دليل القرب .

فالورع يصون النفس ويحفظها ويحميها مما يزرى بها عند الله تعالى  
فأما توفير الحسنات فهو عبارة عن الموازنة بين حسنات العبد وسيئاته ،  
لأن قليل السيئات قد يحبط الكثير من الحسنات ، فإذا كثرت السيئات  
استغرقت الحسنات بالكافة .

وأما قوله صيانة الإيمان : لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .  
وذلك ما قرره الشافعى عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم

والعبد كما جاء في الحديث « إذا أذنب نكثت في قلبه نكته سوداء فإذا  
استغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد فأذنب نكثت فيه نكته أخرى حتى  
تعلو قلبه ، وذلك معنى قوله تعالى « كلاب ران على قلوبهم ما كانوا  
يكسبون » .

وهذه الأمور الثلاثة فى رأى الشيخ رضى الله عنه ورأى جميع أهل  
طريق الله وهى صون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان هى أرفع  
درجات الورع ، وبين الشيخ رضى الله عنه أنها للبريد خاصة إلزامه  
فوق ذلك .

الدرجة الثانية . وهى حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة  
وصعودا عن الدناءة ، وتخلصا من اقتحام الحدود أى تجاوزها ، والحدود  
هنا حدود الشرع وحدود الطريق معا .

فالسالك الصادق يترك كثيراً من المباح إبقاء على صيانة الموجود من

الحسنات لاسيما ترك ما كان فيه شبهة فهو حينئذ يكون في درجة بين الحلال والحرام فإن تجاوز الحدود في طاعته إلى ما فيه شبهة فربما جره ذلك إلى ما فيه حرمة .

وجعل الشيخ رضى الله عنه لذلك ميزانا هو الصعود عن الدناءة لأن فيه التخلص من اقتحام الحدود ، ويقول الله تعالى « تلك حدود الله فلا تعتدوها » .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الدرجة الثالثة : وهى أرفع تلك الدرجات التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت أى التورع عن كل سبب يدعو إلى شتات وقت المريد لأنه حينئذ يكون سببا إلى التعلق بالتفرق أى داعية له ويكون أيضا عارضا فى الطريق يعارض حال الجمع على الله تعالى .

ولما كان الجمع على الله هو الغاية التى ليس بعدها مطلب فكل حال يتعلق به السالك يعارض تلك الجمعية يعتبر نقصا فاحشا . ويكون الورع هو الحارس الذى يحفظ الحال عن كل ما يزاحم مراد الله تعالى منك لأن كل ما يفسد الورع يحول بين المريد وبين القيام بالأمر فى الأعمال وكذلك يصرف القلب عن الشهود الخالص الذى هو مطلوبه وقالوا (لا شىء أسهل من ورع إذا رابك شىء فدع) وبهذا يسهل الورع .

وأنشدوا فى هذا المعنى أبياتا من تأمينة ابن الفارض الكبرى .

تقربت بالنفس احتسابا لها ولم أكن	راجيا منها ثوابا فادنت
وقدمت مالى فى مالى عاجلا	وما أن عساها أن تكون منيلتى
وخلفت خلنى رؤيتى ذاك مخلصا	ولست براض أن تكون مطيتى
ويمتها بالفقر لكن بوصفه	غنيت فألقيت افتقارى ورتوت
فأثنت لى اللقاء فقرى والغنى	فضيلة قصدى فاطرحت فضيلتى
فلاح فلاحى فى اطراحي فأصبحت	ثوابى لاشيئا سواها لطابتى

## باب التبتل

يقول الله تعالى « وتبتل إليه تبتيلاً » .

ويقول الشيخ رضى الله عنه : التبتل هو الانقطاع إليه بالسكينة وفسر ذلك بقوله تعالى « له دعوة الحق » أى التجريد المحض وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم خوفاً أو رجاء بحال ، فحسم الرجاء بالرضى وقطع الخوف بالتسليم ورفع المبالاة بشهود الحقيقة .

والدرجة الثانية : تجريد الانقطاع عن التعرّيج على النفس بمجانبة الهوى وتنسم روح الأنس وشيم برق السكشاف .

الدرجة الثالثة : تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة والاستغراق فى قصد الوصول ، والنظر إلى أوائل الجمع .

والغرض من التبتل عزوف النفس عن طلب العوض ، لأن هذا يكون من شأن الذى يعمل لأجل الثواب وليس لأجل وجه الله تعالى وهو خلاف العبد المتبتل الذى يخدم بمقتضى العبودية والحب .

وهذا هو معنى دعوة الحق أى الاستجابة إلى الحق لذات الحق لا لشيء زائد على ذلك وقد فسر المفسرون دعوة الحق بالتوحيد الخالص وبالاخلاص فى العمل .

وقال سيدنا على رضى الله عنه : « دعوة الحق هى التوحيد » وقال ابن عباس : ( شهادة أن لا إله إلا الله ) وقيل الدعاء الخالص لا يكون إلا لله أى مبنياً

على التجريد الخالص وهو تجريد العمل من الشوائب ليكون خالصا لوجه الله تعالى .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى . تجريد الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم أى انقطاع صاحب هذه الدرجة عن الحظوظ في غير الله تعالى واللحوظ إلى نافع أو ضار من أهل العالم . لأن النفع والضرر كله بيد الله تعالى ، فلا يخشى أو يرجو أو يبالي بما سوى الله من عمل أو شخص . ومعنى هذا لا يرى فعالا في الحقيقة غير الله تعالى وأن تقبل الأسباب واحترامها من حيث أنها مرصاة لسيده .

وفي هذا المعنى يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لأبي العباس المرسى رضى الله عنهما « إن رمت التى لا لجاج فيها فليكن الفرق على لسانك موجودا . والجمع فى جناتك مشهودا » ومعنى قوله رضى الله عنه أن يكون الجمع أى جمع الأسباب كلها من الله تعالى مشهودا لفؤادك . وإن كان اعتبار الأسباب واستعمالها منطوقا جاريا على لسانك ، فلا يغنيك الظاهر عن الباطن ولا يمنعك الباطن عن اعتبار الأسباب التى هى أفعال الله وجريان ذكرها على لسانك .

ومطلوب الشيخ رضى الله عنه مؤلف منازل السائرین من قارئه هو مطلق التفويض والتسليم لله تعالى فى سائر الشئون والحذر من أن تحذره مظاهرها أى مظاهر الكون .

ثم قال والدرجة الثانية : تجريد الانقطاع عن التصريح إلى النفس بمجانبة الهوى وتنسجم روح الأنس وشيم برق الكشف وفى الدرجة الأولى أراد الانقطاع عن رؤية الخلق فى جانب الحق . وفى هذه الدرجة أراد الانقطاع عن الركون إلى النفس نفسها وقد اعتبر المنجى أو السبب المنجى من هذا الركون ثلاثة أشياء .

« مجانبية الهوى لأن اتباعه يعارض التبتل ، ثم تنقسم روح الأنس بالله وهو سبب عظيم آخذ عن الركون إلى هوى النفس لأن السالك يغنيه الأنس بالله تعالى والشعور بامداده ويجد في ذلك روحاً أى ارتياحاً يغنيه عن كل تلذذ يحدث من اتباع هوى النفس . ثم شيم برق الكشف أى التطلع والترقب لنفحات الكشف الإلهى ، تلك النفحات التى تغنيه عن كل شئ سواها .

وهذا الكشف كما يؤنس بجمال الحق فإنه يظهر عيوب النفس ويشعر بظلمات غرائز الطبع ، .

وهذه الثلاثة : الخلق والنفس والحق هى كل محتوى طريق السلوك بنفحات عقبات تقدم ، وتأخر وعليه يدور كل شأن من شئون الأحوال والمقامات فالخلق من واجبه عدم رؤية أفعالهم مع أفعال الله تعالى مع التغاضى عن سيئاتهم وإساءاتهم والنفس فإنها العقبة الكثيرة ، فمن خلصه الله من عيوب نفسه فقد فتح فى وجهه أبواب الوصول إليه . ثم استشعار الأنس بالله توصلاً إلى حصول الكشف الذى يحدث عادة بعد فناء رؤية الخلق ورؤية النفس والتشبع من رؤية فضل الحق بالكشف وهو أقصى الدرجات وغاية الغايات .

أما الدرجة الثالثة وهى : تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة والاستغراق فى قصد الوصول . والنظر إلى أوائل الجمع فمعناها الانقطاع أى التخصص فى رغبة السبق إلى الحق بتصحيح الاستقامة وهى الصفة المرادة من هذا الباب كله ، لأن يتبعها الاستغراق أو الفناء فى التشبث بقصد الوصول إلى الحضرة الإلهية وتصويب النظر : نظر القلب دائماً إلى أوائل الجمع أى أوائل درجات الجمع على الله تعالى .

وأنشدوا لسيدى على وفا .

سكن القواد فعش هنيئاً يا جسد  
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن  
عش في أمان الله تحت لوائه  
لا تحش من فقر وعندك بيت من  
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن  
هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد  
جار الحبيب فعيشه عيش رغد  
لا خوف في هذا الجناب ولا نكد  
كل المنى من أياديه مدد  
هو في المحاسن كلها فرد أحد

## باب الرجاء

قال الله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

ويقول الشيخ رضى الله عنه : الرجاء أضعف منازل المرید لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة لولا ما فيه من فائدة واحدة ولهذا نطق باسمه التزيل والسنة ودخل في مسالك المحققين وتلك الفائدة أنه يفنى حرارة الخوف حتى لا يدعو إلى اليأس .

والرجاء على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رجاء يبعث العامل على الاجتهاد ويولد التلذذ بالخدمة ويوقظ سماحة الطباع بترك المنأى .

والدرجة الثانية رجاء أرباب الرياضات أن يبلغوا موقفا تصفو فيه همهم برفض الملذات ولزوم شروط العلم واستيفاء حدود الحمية .

والدرجة الثالثة : رجاء أرباب طيب القلوب وهو رجاء لقانون الحق تعالى الباعث على الاشتياق المنغص للعيش المزهد في الخلق .

بدأ الشيخ رضى الله عنه كعادته باب الرجاء بقوله الله تعالى : لقد كان

لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، والأسوة الحسنة هي التشبه بالاتباع والافتداء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الناس رجاء في الله وذلك هو الذي جعله يقول لعلمه حينما عرض عليه أن يقبل رجاء قومه وما عرضوه عليه من قولهم « إن أردت ملكا ملكناك أو مالا مولناك أو سيادة سودناك على أن تدع سب آل هنتا والإيذاء بمعتقداتنا فأجاب عمه بذلك القول العظيم الذي جب الباطل ونصر الحق . والله يا عماء لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقتة بالفتح ونصر الله أشد الخلق رجاء في الله تعالى .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : الرجاء أضعف منازل المرید لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه إلى أن قال لولا ما فيه من فائدة واحدة ولهذا نطق باسمه التنزيل والسنة ودخل في مسالك المحققين . وتلك الفائدة أنه يفنى حرارة الخوف حتى لا يدعو إلى اليأس .

والرجاء على ثلاث درجات . فأما ما قوله إن الرجاء معارضة من وجه واعتراض من وجه ، فقد أراد بذلك أن شأن القوم — أهل طريق الله مع مولاهم التسليم المطلق والتوكل المخض — ثم أثبت أن الرجاء فيه فائدة واحدة جعلته يدخل مسالك المحققين . وتلك الفائدة أنه يفنى حرارة الخوف وذلك لأن الخوف الزائد ربما دعا إلى اليأس ، والتباطؤ في السير ثم قال أن الرجاء على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : رجاء يبعث العامل على الاجتهاد ويولد التلذذ بالخدمة ويوقظ سماحة الطباع بترك النأي ، والنأي هو البعد بسبب اليأس . وقد قدمناه وأما قوله أن الرجاء يبعث العامل على الاجتهاد ويولد التلذذ بالخدمة ويدعو إلى سماحة الطباع فهو ظاهر لا يحتاج لشرح أو تأويل .

وأما قوله والدرجة الثانية : رجاء أرباب الرياضات أن يبلغوا موقفا

يُضَفُّوْهُ بِهِ هَمَمُهُمْ بِرَفْضِ الْمَلَذَاتِ فَإِنْ مِنْ رَجَا شَيْئًا تَرَكَ مَا يَتَعَارَضُ مَعَهُ فَمِنْ رَجَا الْخَيْرَ ابْتَعَدَ عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَلِزُومِ شُرُوطِ الْعِلْمِ أَى الْعِلْمِ بِمَوْجِبَاتِ الشَّرِّ وَالْعِلْمِ بِآدَابِ السُّلُوكِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَمَّا قَوْلُهُ وَاسْتِيفَاءُ حُدُودِ الْحِمَاةِ أَى مَا ظَلَّ يَحْتَمِي بِهِ السَّالِكُ مِنَ الْفَضَائِلِ الْمَوْجِبَةِ لِلْقُرْبِ .

ثُمَّ قَالَ وَالدرْجَةُ الثَّالِثَةُ : « رَجَاءُ أَرْبَابِ طَيْبِ الْقُلُوبِ وَهِيَ رَجَاءُ فِي لِقَاءِ الْحَقِّ تَعَالَى ذَلِكَ الْبَاعْثُ عَلَى الْإِشْتِيَاقِ الْمُنْتَغَصِ لِلْعَيْشِ الْمَزْهَدِ فِي الْخَلْقِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا صَفَا الْقَلْبُ وَطَابَ فَتَحَتْ عَلَيْهِ نَوَافِذُ الْقُرْبِ وَأَسْبَابُهُ ، فَأَصْبَحَ كَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ عَلَى الْبَقِينِ وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فِي صَفَاءِ سِرِّيَّتِهِ وَسَلَامَةِ صَدْرِهِ تَشَوَّقُ إِلَى زِيَادَةِ التَّقَرُّبِ ، فَإِذَا حَدَّثَتْ فِتْرَةٌ أَوْ حَصَلَ بَعْدَ تَنْغَصِ عَيْشِهِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُهُ ، وَكَذَلِكَ يَزْهَدُ فِي الْاجْتِمَاعِ بِالْخَلْقِ إِلَّا بِمَزِيدٍ لَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِلْمِ بِطَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَى حَضْرَتِهِ تَعَالَى .

وَأَنْشُدُوا فِي الدُّخُولِ مِنْ بَابِ الرِّجَاءِ :

أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ	بِإِفْلَاسِي وَذُلِّي وَانْفِرَادِي
وَهَآنَا وَقِفْ بِالْبَابِ أَبْكَى	زَمَانَا قَدْ بَلَغْتَ بِهِ مَرَادِي
عَسَى عَوْضِي يَبْلُغُنِي الْأَمَانِي	وَقَدْ بَعْدَ الطَّرِيقِ وَقَلَ زَادِي
وَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وَبِكَ انْتِصَارِي	عَلَيْكَ تَوَكَّلِي وَبِكَ اعْتِقَادِي
وَعَنْكَ إِشَارَتِي وَإِلَيْكَ قَصْدِي	وَمَنْكَ مَسْرَقِي وَلَكَ انْقِيَادِي
وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي	وَفِيكَ عَلَى الْمَدَى حَسَنَ اعْتِقَادِي
وَلَوْ أَقْصَيْتَنِي وَقَطَعْتَ حَبْلِي	وَحَقَّقْتَ لَا أَحْوَلَ عَنِ الْوُدَادِ
فَجِدْ بِالْعَفْوِ يَا مَوْلَايَ وَارْحَمْ	عَبْدًا ضَلَّ عَنْ سَنَنِ الرِّشَادِ
وَقَدْ وَافَى لِبَابِكَ مَسْتَجِيرَا	يَخَافُ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالْبِعَادِ
تَوَسَّلْ بِالنَّبِيِّ إِلَيْكَ لِشَفْعِ	شَفِيعِ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْبِعَادِ
عَلَيْهِ مِنَ الْمُهَيَّمِنِ كُلِّ وَقْتِ	صَلَاةٍ مَا حَادَا بِالرَّكْبِ حَادِي



## باب الرغبة

قال الله تعالى ( ويدعوننا رغبا ورهبا ) الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء وهى فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى التحقيق . والرغبة هى سلوك على التحقيق .

والرغبة على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رغبة أهل الخبر تتولد من العلم فتبعث على الاجتهاد وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص .

والدرجة الثانية : رغبة أرباب الحال وهى رغبة لا تبقى من المجهود إلا مبذولا ولا تدع للهمة ذبولا ولا تترك غير المقصود مأمولا .

الدرجة الثالثة : رغبة أهل الشهود وهى تشوق تصحبه تقية وتحمله همة نقية لا تبقى معه من التفريق بقية .

يقول الشيخ رضى الله عنه : الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء وهى فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى التحقيق والرغبة سلوك على التحقيق ، ومعنى قوله هذا رضى الله عنه . أن الرجاء أو الرغبة فى الشيء إن صحبه الجد والاجتهاد فى الطلب أصبح الرجاء رغبة لأنه بدأ فى سلوك الطريق إلى نيل ما كان يرجوه ، لذلك عد الشيخ الرغبة سلوكا ثم قال والرغبة على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رغبة أهل الخير وتتولد من العلم فتبعث على الاجتهاد ويقصد بالخير هنا الإيمان بالخبر الوارد عن الله بلسان رسول الله ، ويكون مضمونه : العلم بالشرعية وهى أقوال وأعمال وأحوال وبرجه آخر هى تشريع ومعاملة وتحقيق . ولذا تتولد من العلم فتبعث على الاجتهاد أى تبعث صاحبها بواسطة إيمانه المتين إلى الاجتهاد فى عمله الذى يريد به وجه الله تعالى وذلك يؤدى إلى المعرفة لأن الرغبة الصادقة تمنح صاحبها من الرجوع إلى

غناثة الرخص لاسيما وأن القوم بنوا أمرهم على العزائم وعلى الصدق في السلوك وسبب الرخص من الشرع لطف من الله بالضعفاء من عباده ، فأهل الجدل في السلوك لا يركنون إلى الرخص ويعتبرونها جنوحا إلى البطالة .

والرخص قسمان : قسم مباح بل مطلوب كفطر المريض والمسافر وقصر الصلاة في السفر وصلاة المريض قاعدا ، وفطر الحامل والمرضع إذا إذا خافتا على ولديهما .

وأما الرخص التي لا يركن إليها أهل طريق الله تعالى فهي :

الرخص الناشئة عن اجتهاد العلماء في مذاهبهم ، فبعضهم أباحها والبعض الآخر منعها فهو يرون في تلك الرخص غناثة فيرجعون منها إلى العزائم إذا حدثت لهم ظروفها .

ثم قال : والدرجة الثانية : رغبة أرباب الأحوال وهي رغبة لا تبقى من المجهود مبذولا ولا تدع من المهمة ذيولا ولا تدرك غير القصد مأمولا فرغبة أرباب الأحوال رغبة اضطرارية لتلبسهم بأحوال السلوك التي لا تبقى من الجهد مبذولا إلا وتبذله طلبا بلوغ الشهود فهي لا تدع بالهمة العلية ذيولا أو فضولا يرجع إليها لأنها لا تترك في مجال السلوك الصادق لغير القصد المأمول مأمولا آخر سواء وصاحب الحال لا يرده عن مقصده سوى حال أقوى منه ولا بد أن يكون حالا أرفع من الذي كان فيه فيرتقى إليه .

ثم قال والدرجة الثالثة : رغبة أهل الشهود وهي تشوف يصحبه تقية تحمله عليها همة نقية لا تبقى معه من التفرق بقية .

ومعنى قوله رغبة أهل الشهود أى أهل شهود الحق وأصحاب مقام الإحسان . هذه الرغبة تشوف أو استشراف . أى تطلع يصحبه تقية من

الوقاية والتوقى والتقى . وتلك التقية أى معه المانعة تحمل عليها وتدعو لها همة فى صاحب ذلك المقام تقية لأن مقام الإحسان كما ورد فى حديث جبريل عن عمر رضى الله عنه حينما سأل الرسول عليه السلام ما الإحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فالدرجة الأولى فى الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه وتلك مرتبة حق اليقين أى مرتبة الشهود الخالص حيث يعبد الله تعالى تماما كأنه يراه فإن لم يبلغ السالك هذه المرتبة فليعبد الله تعالى على شريطة أن الله تعالى يراه وهى مرتبة وإن كانت أقل من الأولى ففيها من الشرف العظيم شرف المراقبة والإخبات والتقوى حيث أن العبد يعبد ربه على بصيرة دائمة وهى العلم بأن الله يرى .

ومما يمت إلى مثل هذا المعنى بصلة ماروى عن بعض شيوخ الطريقة الذى كان له من التلاميذ عدد لا بأس به . ثم قرأ عليهم طالب جديد وكان من خلوص السريرة وسلامة القلب بمكان . فرقاه شيخه فى بضعة شهور إلى درجة حسده عليها إخوانه وألهم الله الشيخ بذلك ، فجمع تلاميذه وقال لهم ليأتنى كل واحد منكم بطائر من الطيور « فراخ أو حمام » أو غير ذلك ثم يذبح كل واحد منكم طيره فى مكان لا يراه فيه أحد فانطلقوا وما لبثوا أن جاءوا بعد ساعات معدودة وقد ذبح كل واحد منهم طيره إلا ذلك المريد الجديد فجاء بعد يوم أو يومين ومعه طائره لم يذبحه فقال له الشيخ لم يا بنى لم تذبح طيرك وقد ذبح كل من إخوانك طيره . فقال : يا مولاي قد أمرتنى بأن أذبحه فى مكان لا يرانى فيه أحد وكل مكان ذهبت إليه كنت أرى الله مشرفا على يرانى فيه فلم أخالف أمرك وجئت بالطير حيا لتأمر بما تريد فقال الشيخ للجميع يا أبنائى لهذا السبب « أى لكونه يعلم أن الله يراه فى كل مكان » ثم قال الشيخ مرة ثانية لهذا السبب قرب به الله تعالى إليه فرقاه وإن أنا سوى خادم مأمور .

والنتيجة أن الشيخ صاحب منازل السائرين رضى الله عنه يشير إلى أحد حالين . إما حال الفناء والمشاهدة وإما حال اليقظة والمراقبة وهذا نفسه مادعا إليه حديث الإحسان الصحيح حيث قال الرسول الكريم إلى جبريل عليه السلام في جوابه أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك أى فاعلم وتيقن بأن الله تعالى يراك .

وهذا الحال الذى أشار إليه الشيخ رضى الله عنه يجمع بين الشهود والتوقى والتقوى كما يشير إليها الحديث وفيه ضرب من الحذر للسالك المجد من الالتفات إلى كل ما سوى حضرة ربه حذرا تاما فيه تقيّة وهو ما يريده الشيخ رضى الله عنه من القول فى هذه الدرجة .

وأنشدوا فى هذا الباب قولهم :

سقانى ثم حيانى وبالتوحيد أحيانى  
وقال ألسنت قلت بلى مجيبا حين نادانى  
حبيبي واحد أحد وما فى ملكه تانى  
تجلى وأحي ذكر ربانى فلاطفنى وآنسنى  
وبالاحسان يبانى

فشوقى وقربنى وبعد البعد أدنانى  
فدع يا عاذلى عذلى فقلبى مغرم عانى  
وشوقى زاد من حرقى إلى من ليس ينسانى  
فكم لله من كرم ومن فضل وإحسان

### قسم المعاملات

وهى عشرة أبواب: الرعاية ، المراقبة، الحرمة ، الإخلاص ، والتهذيب والاستقامة ، والتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم .

## باب الرعاية

قال الله عز وجل : فمأرعوها حق رعايتها .

وقال الشيخ رضى الله عنه : الرعاية صون بالعناية وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رعاية الأعمال .

والدرجة الثانية : رعاية الأحوال .

والدرجة الثالثة : رعاية الأوقات .

فأما رعاية الأعمال فتوفيرها بتحقيقها والقيام بها من غير نظر إليها وإجراؤها مجرى العلم الأعلى للترين بها ، وأما رعاية الأحوال فهى أن يعد الاجتهاد مرأاة ، واليقين تشبها والحال دعوى . وأما رعاية الأوقات فهى بأن تقف مع كل خطوة ثم أن تغيب عن خطواتك بالصفاء من رسمه ثم إن تذهب عن شهود صفوه .

والرعاية رعايتان . رعاية العبد لأمر ربه ونهيه ورعاية الرب لعبده فى مقاماته وأحواله وحركاته وسكناته .

ثم إن رعاية العبد لأوامر ربه تكون بصون العمل عن الرياء وعن الفساد بالجهل وأول رعاية العبد رعايته بالعلم . وذلك بطلبه من مصادره الصحيحة وتطبيق قواعده بالعمل على مقتضى ما علم ، فيكون ما قدر له من العلم قد تم رواية ودراية والعارفون بالله تكون همهم معلقة برعاية العلم والعمل معاً لأن العلم والعمل وسيلتان لهم وهمة القوم تهفو دائماً إلى النتيجة السارة من العلم والعمل . تلك النتيجة المؤدية إلى رضا الحق ،

فالعلم ثم العمل موقوفة نتائجهما على وجود الإخلاص فيهما . ولذلك قال الشيخ رضى الله عنه : الرعاية صون بالعناية وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رعاية الأعمال .

والدرجة الثانية : رعاية الأحوال .

والدرجة الثالثة : رعاية الأوقات .

أما رعاية الأعمال فتكون بتصنيفها من الشوب كالرياء والنفاق ثم توفيرها بعدم رؤيتها والافتخار بقيمتها واجرؤها على مجرى الاخلاص وليس على مجرى التزين والتفاخر بها . وعرفان الزيادة والنقصان فيها وإيقاعها بشروطها على مقتضى العلم ثم استغلالها وتحجيرها بعد ذلك بالنسبة لعظمة خالقها الموجهة اليه . وقد قالوا من علامات رضا ربك عنك إعراضك عن رؤية نفسك ومن علامات قبول عملك استصغار شأنه عندك ومن شأن العارفين بالله أن يستغفروا الله عقيب الطاعة كما يستغفره غيرهم عقيب المعصية وهذه رعاية الأعمال .

وأما رعاية الأحوال فانها تكون مشبهة باليقين بعيدة عن الدعوى ثم فضلا عن أن السالك يتهم نفسه فيها منصرفا عن رأى الناس فيه وفى أحواله وإن كان رأيهم حسناً وهذا معنى قول الشيخ ( بالابتعاد عن مرآة اليقين تشبهاً والحال دعوى والتشبه هنا معناه الافتخار : افتخار الإنسان بما يملكه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ) المتشبه بما لم يعط كلابس ثوبى زور ) فالسالك الحق يعتقد أن ما حصل له من يقين أو حال أو مقام إنما هى منة من الله تعالى عليه فلا يتشبه أى لا يفتخر بها كأنها صادرة عن قدرته ، وإنما التشبه والافتخار يكون بما من الله به على عبده من منن موجبة للشكر عليها بدل الافتخار بها وقد خص الشيخ اليقين بالذكر لأنه روح الأعمال وسناد الأحوال .

وأما أعد السالك رؤية الأحوال دعوى فذلك يكون اتهاماً لنفسه وتطهيراً لها من رعونة الادعاء .

وأما رعاية الأوقات : فذلك يغيب عن رسمه وكونه فاعلاً فيقلل ذلك من شهود صفوه وفرجه بمواهب ربه سبحانه فيما تجلى عليه من أوقاته ويعتبر ذلك صيانة لها . بل ولا يجب أيضاً أن يقف عند هذا الصفاء لكيلا يعوق تقدمه بالوقوف معه فيغيب عن ذلك الصفو بمشاهدة المقصد الأعلى والغرض الأسمى ولكي يكون مع الله في كل وقت وفي كل حال .

وأنشدوا في النهي عن عدم الرعاية فقال قائلهم :

أتذكر اسمي باللسان تظاهراً	بحي ومنك القلب للغير يذكر
ألم تدر يا عبدى بأنى ناظر	إليك وأدرى ما بقلبك يخطر
لسانك يقول الله والقلب غافل	يقول مكون وهو فيه مصور
فلا تدعى حبي وقلبك مظلم	وحالك عن أمرى بعيد مكدر
وقلبك لم يشهد جلالى وعزتى	ألم تعتقد أنى عظيم وناظر
خلقتك يا عبدى بفضلى ورحمتى	وتعرض عنى هل لربك تهجر
وقلب به غيرى فى الحب شرق	وكل ذنوب ما خلا الشرك تغفر
فإن كنت تهوانى تجرد عن السوى	تفر برضوانى وحظك وافر

## باب المراقبة

قال الله تعالى « فارتقب إنهم مرتقبون » .

وقال الشيخ رضى الله عنه المراقبة دوام ملاحظة المقصود وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : مراقبة الحق تعالى فى السير إليه على الدوام بين تعظيم مذهل ومدانة حاملة وسرور باعث .

والدرجة الثانية : مراقبة نظر الحق اليك بفرض المعارضة وبالإعراض  
عن الاعتراض ونقض رعونة التعرض .

والدرجة الثالثة : مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالا لعلم  
التوحيد ومراقبة ظهور اشارات الأزل على أحيان الأبد . ومراقبة الخلاص  
من ورطة المراقبة .

أما قول الشيخ رضى الله عنه : المراقبة دوام ملاحظة المقصود وقدمنا  
فى باب الرغبة حديث الإحسان الذى مضمونه « أن تعبد الله كأنك تراه » .

فالمراقبة دوام رعاية العبد لعلم ربه وتيقنه باطلاعه على قلبه وعمله  
وقصده القلبى والنفسى بهذا العمل فهو سبحانه وتعالى مطلع على ظاهره  
وباطنه . فاستمرار هذه المراقبة به تنمو الاعمال وتصلح الأحوال وهى  
ثمرة العلم وتتمام قوام العمل ، والغفلة عن هذا الشأن أى عن المراقبة تفسد  
بدايات المربين وقد « قيل من صحت بدايته صحت نهايته » .

ويقول الحريرى « من لم يحكم ما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة  
لن يصل إلى الكشف والمشاهدة » .

وقال الجنيد « من تحقق فى المراقبة خاف على فوات لحظة من وقته  
لم يكن فيها مع ربه » وقال ذو النون المصرى « من علامات المراقبة إثبات  
ما أزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله ، وقيل المراقبة مراعاة  
القلب للملاحظة الحق مع كل خطوة وخطوة » .

وقال ابراهيم الخواص « المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل  
وقد أجمع أهل طريق الله تعالى على أن مراقبة الله تعالى فى الخواطر  
والسناجات من أقرب الطرق وعلو الدرجات » .

ولذا قال الشيخ رضى الله عنه فى الدرجة الأولى مراقبة الحق تعالى



فى السىر الىه على الدوام ين تعظيم مذهل ومدانة حاملة وسرور باعث  
فقوله : « تعظيم مذهب » معناه امتلاء القلب بتعظيم الله عز وجل . بحيث  
يذهله ذلك التعظيم عن تعظيم غيره . وأما قوله « ومدانة حاملة » فيريد به  
دنوا وقربا حاملان لصاحبهما على استقامة السلوك فى الطريق .

وأما قوله « سرور باعث » فهو الفرحه والتعظيم واللذة التى يجدها السالك  
فى قلبه بتعظيم الحق الموجب للقرب منه .

وأما قوله رضى الله عنه والدرجة الثانية ( مراقبة نظر الحق برفض  
المعارضة والاعتراض عن الاعتراض ونقض رعوثة التعرض ذلك لأن  
المراقبة تجمع بين الباطن والظاهر فحفظ الظاهر بحفظ الحركات العملية  
كالعادات وصيانة الباطن بحفظ الخواطر والإرادات فيخلو الباطن من  
التعرض للنقض بمعارضة إرادة الحق وهذا التجريد فى التوحيد تجريد  
أرباب العزائم عند المرادين المجدين والعارفين على السواء .

وقد جعل الشيخ رضى الله عنه : فى قوله بالاعراض عن الاعتراض  
« لأن الاعتراض فتنة يعصم الله السالكين المخلصين منها وذلك بالاعراض  
عن مسببات الاعتراض .

وأما نقض رعوثة التعرض فهو مكافحة أسباب الاعتراض وذلك  
بنقض الأسباب والحجاب وهى ما يلقيه الشيطان من وساوس وشبهات فى  
أنفس السالكين .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجة الثالثة . مراقبة الأزل بمطالعة  
عين السبق استقبالا لعلم التو-يد ومراقبة ظهور إشارات الأزل على  
أحايين الأبد ومراقبة الخلاص من ورطة المراقبة .

أما قوله مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق فهو شهود معنى الأزلية

والقدم الذى لا أول له بمطالعة عين السبق أى بشهود سبق الحق تعالى لكل ما سواه إذ هو الأول الذى ليس قبله شيء فمتى راقب السالك ذلك السبق عرف معنى الأزلية والأبدية فى مقابلها فيبدو له حينئذ علم التوحيد الصحيح وهو شهود أفراد الحق فى أزليته وفى أبديته وأنه كان ولم يكن معه شيء ويبقى بعد فناء كل شيء ويكون الأمر كما يقول الله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

وأما قوله رضى الله عنه : ومراقبة الخلاص من ورطة المراقبة ، فيريد بذلك غيبة المراقب عن شهود نفسه وعن أنه مراقب لربه إبعاداً للدعوى ومسيبات الافتخار والمقصود هنا هو الغيبة عن الدعوى بالفناء فى سعة الحق .

وأنشدوا فى هذا :

سبيت الورى طرا وأنت محجب	بفرط ظهور فى ظلام الدجنة
فهامت بك الأرواح من غير نظرة	فكيف بمن يهوا الكوزالت الحجب
وأصبحت معشوقاً للقلوب بأسرها	بلطف سرى فى الكل أظهره الحب
ومركز سر الأمر فى الشيء قلبه	ولا ذرة فى الكون إلا لها قلب
فان سكر العشاق كنت نديمهم	فشرب كنوس العلم فى خمرها القرب

## باب الحرمة

قال الله تعالى « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ويقول الشيخ رضى الله عنه : الحرمة هى التخرج من المخالفات والمجاسرات وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تعظيم الأمر والنهى لا خوفاً من العقوبة فيكون

خصوصية للنفس ولا طلبا للثبوت فيكون مستنزعا للآخرة ولا مشاهدة لأحد فيكون متدينا بالمرءاة فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس .

والدرجة الثانية : إجراء الخبر على ظاهره وهى أن يبقى أعلام توحيد العامة الخيرية على ظاهرها ولا يتحمل البحث عنها تعشقا ولا يتكلف لها تأويلا ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلا ولا يدعى عليها إدراكا أو توعما .

ثم قال والدرجة الثالثة : صيانة الانبساط عن أن يشوبه جرأة ، وصيانة السرور عن أن يداخله أمن ، وصيانة الشهود عن أن يعارضه سبب .

والحرمة هنا بمعنى الاحترام المانع للمخالفات وأما قول الشيخ والمجاسرات فمعناه كل ما يدعو إلى الجرأة وعدم صيانة الحرمة .

وأما قوله الدرجة الأولى : تعظيم الأمر والنهى لا خوفا من العقوبة وإنما حياء من الله وطاعة له فيبعد بذلك عن خصوصية النفس التى كانت طيعة فإذا فتح لها باب الجرأة خاصته بأمر الله وخاصمها وكما قال لا خوفا من العقوبة قال أيضاً ولا طمعاً فى المثوبة فيكون مستنزعا للآخرة أى طلب استحقاتها بعمله انزاعاً وأما قوله ولا مشاهدة لأحد فمعناه ألا يرى فى عبادته لله أحد سواه فيكون متدينا بالمرءاة أى يكون مرآيا فى عبادته وفى سلوكه للخلق ولذا قال رضى الله عنه فان هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس .

قال والدرجة الثانية إجراء الخبر على ظاهره أى بحسب بيان الكتاب والسنة اتباعاً لظاهر الشرع واحتراماً لعقيدة العامة بإجراء الخبر على ظاهره ولا يتحمل تبعة الجدل فيها تعشقا للمناظرة والبحث ولا تكلفا للتأويل والتفسير بل لا يتجاوز ظاهرها أى ظاهر هذه الأحكام كما جاءت فى الكتاب ونطقت به السنة ولا يدعى أنه يدرك منها ما لا يدركه غيره فان ذلك يكون ادعاء أو بذرا للوهم وداعية للشك .

ثم قال والدرجة الثالثة : صيانة الانبساط أى التبسيط فى حضرة الحق من أن تشوبه جرأة الدلال والعجب ثم قال وصيانة السرور عن أن يداخله أى يخالطه امن من مكر الله تعالى . وقال وصيانة الشهود أن يعارضه سبب ومعناه صيانة حال الشهود للحق من أن يبدو فيه اعتماد على سبب من الأسباب الزائلة الفانية فيبسط عن هذا الحال وعن السرور الذى صح له بذلك الشهود .

وأنشدوا فى هذا الباب قولهم :

أيا نفس فى المأثور من خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكى  
عساك إذا بالغت فى نشر دينه بما طلب من نشره أن تمسكى  
وخافى غدا يوم الحساب جهنما إذا لفحت نيرانها أن تمسكى

## باب الاخلاص

قال الله عز وجل ( ألا لله الدين الخالص ) .

وقال الشيخ رضى الله عنه : الإخلاص تصفية العمل من كل شوب ( والشوب ما يشوب صفاء الشيء من الكدر ) ثم قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : إخراج رؤية العمل من العمل والإخلاص من طلب العوض عن العمل والنزول عن الرضى بالعمل .

والدرجة الثانية : الخجل من العمل مع بذل المجهود وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ورؤية العمل من نور التوفيق من عين الجود .

الدرجة الثالثة : إخلاص العمل بالتخلص من رؤية العمل وأن تدعه يسير مسير العلم وتسير أنت مشاهدا للحكم حراً من رق الرسم .

وقدّمنا أن الشوب ما يشوب صفاء الشيء من كدر وذلك الكدر يتأتى من الجهل أو من أهواء النفس كطلب مدح الناس والهرب من ذمهم أو طلب تعظيمهم وغير ذلك . فتلك كلها من العلل والشوائب التي تشوب إخلاص السالك .

قال الشيخ والإخلاص على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : إخراج رؤية العمل عن العمل ومعناه أن السالك إذا رأى عمله آت من نفسه ولم ير أنه من منن الله عليه فقد شوب إخلاصه في عمله وكذلك يجب على السالك أن يتخلص من طلب العوض على عمله لأن طلب العوض على العمل يجعل رؤية العمل أنه صادر من العبد فيرضى عن عمله وينعم في نفسه أن عمله يستوجب أجراً محتوماً لا بد أن يناله .

ولذلك كانت هذه المحنة أشد ما يمتحن به السالكون لطريق الله تعالى والذي يخلصه من رؤية عمله ومن تجسيمه ومن طلب العوض عليه مشاهدة منة الله تعالى فيه وأنها سبب التوفيق في العمل والترويق كان من الله لا من نفسه لأن كل خير في العبد هو مجرد توفيق وإحسان من الله تعالى إليه يحتاج للشكر ولمضاعفة الإخلاص . فالذي يخلصه من هذه الورطة معرفته بربه وفضل بربه عليه ومعرفة نقصه واعوجاج نفسه فسوء ظن العبد بعمله ورؤية أنه موقوف على القبول يحول بينه وبين الرضى عن ذلك العمل .

فإن أراد الله أن يتولى عبده أنهضه للعمل وصغره في نفسه . وقال النهرجورى « من علامة من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في أفعاله واستدكاره والضعف في صدقه فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية له فيزداد بذلك فقرا إلى الله وانكسارا له وإن كثرت أعماله » .

فالمراد من العمل القيام برسم العبودية وتعظيم جانب الربوبية وليس المراد من الأعمال عند المخلصين طلب الأعواض والأجور أو الرغبة في الأحوال والمقامات فإن ذلك يكون قدحا في إخلاصهم .

ولذا قال بعض الصادقين ( اتقوا حلاوة الطاعة فإنها سحوم قاتلة لمن وقف معها ) .

والناس في عبادة الله باعتبار إخلاصهم على ثلاثة أقسام : فمنهم من يعبد الله خوفاً من عقوبته أو طمعاً في رحمته وهم عوام المسلمين . ومنهم من يعبد الله محبة لذاته وشوقاً إلى لقائه لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره وهم المحبون من السائرين إلى الله تعالى ، ومنهم يعبد الله قياماً بوظائف العبودية وأدبا مع عظمة الربوبية وهم المحبوبون المصنون .

وفي هذا المعنى تقول رابعة العدوية :

كلهم يعبدونك من خوف نار      ويرون النجاة حظاً جزيلاً  
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا      في رياض ويشربون سلسيلاً  
غير أنه ليس لي في سواك حظ      لا أرتجى غير من أحب بديلاً

\* \* \*

وعرف أبو طالب المسكي الإخلاص بأنه إخراج الخلق من معاملة الحق وإخراج النفس من رؤية تلك المعاملة .

ثم قال الشيخ صاحب منازل السائرين الدرجة الثانية هي الخجل من العمل مع بذل الجهود وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود .

ويريد رضى الله عنه بالخجل من العمل رؤية التقصير فيه وإن كان ذلك مع بذل الجهد في إكثاره .

وأما قوله وتوفير الجهد أى صيانة هذا الجهد بالاحتماء من شهوده أى شهود أنه عامل وأن له جهداً في العمل وذلك يتم بأن ينظر إلى عمله من زاوية واحدة هي نور التوفيق الواصل إليه من عين الجود الإلهي .

ويقول الله تعالى في هذا المعنى « والذين يؤتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » وفسر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله « هو أن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه » .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجة الثالثة : إخلاص العمل بالخلاص من العمل فتدعه يسير سير العلم وتسير أنت مشاهدا للحكم حرا من رق الرسم .

ومعنى قوله إخلاص العمل بالخلاص من العمل أى بالخلاص من رؤيته ورؤية أن لك عملا له قيمة ومن رأى الشيخ رضى الله عنه أن تدعه أى العمل يسير سير العلم أى سير العلم الظاهر فى أحكامه وتجويده والإتيان به على شرائط العلم بالشرع ثم تقف أنت مشاهدا للحكم الإلهى فيه من حيث أنه مقبول أو غير القبول — وتكون حرا من رق الرسم فى عملك أى خارجا عن أحكام الرسوم — والرسوم كل ماسوى الله تعالى من الفانيات ومن أمثال ذلك : قولك فى البيت ولم يبق إلا رسمه فالرسوم لها أحكام وأوهام تفضى إلى غير الحقيقة . ومن الرسوم رؤية الخلق ورؤية النفس فتخلص من كل ذلك هاربا إلى العبودية لله وحده فتكون مع القادر المريد . وليس مع آثار قدرته ومعالم إرادته فتكون مع الله فى كل حال لا مع عملك ولا مع نفسك ولا مع الأوهام التى هى عبودية لغير الله .

وأنشدوا فى ذلك :

الله ربى لا أريد سواه	هل فى الوجود الحق إلا الله
ذات إله الحق يا قوام ذواتنا	هل كان يوجد غيره لولاه
لا غرو فى أنا رأيناه به	فالنور يظهر ذاته فتراه

فالسالكون مشاهدون لصنعه      مستغرقون بفكرهم إياه  
والعارفون مشاهدون لذاته      حتى كأن قلوبهم مشواه  
يا غائبا والحق فيه حاضر      أتغيب عنه وما شهدت سواء  
من لم يشاهد بالبصيرة ذاته      فلقد أحاط به حجاب عماء  
من لا يرى في كل حال غيره      فمن المحال عليه أن ينسأ  
سبحان من ملأ الوجود أدلة      ليسلوح ما أخفى بما أبداه  
سبحان من لو لم تتع أنواره      لم تعرض الأضداد والأشياء  
مولاي أنت الواحد الصمد الذي      في حضرة الملكوت شاهدنا  
مولاي أنسك لم يدع لي وحشة      إلا محاذي ظلماتها بسناد  
مولاي عبدك لا يخاف تعطشا      يخافه والحق قد رواء  
مولاي لا آوى لغيرك إنه      قد حرم الهدى من لم تكن مؤواء  
أنت الذي خصصتنا بوجودنا      أنت الذي عرفتنا معناه  
لم أفش ما أودعته فيه فإنه      ما ذاق سر الحق من أفشاء  
كل من يعلم أنك الفرد الذي      به العقول فحسبه وكفاه

## باب التهذيب

قال الله تعالى « فلما أفل قال لا أحب الآفلين »

وقال الشيخ رضى الله عنه : التهذيب محنة أرباب البدايات وهو شريعة  
من شرائع الرياضات وهي على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : هذيب الخدمة بأن لا يخالطها جهالة ولا يشوبها عادة  
ولا تقف عندها هممة :

الدرجة الثانية : تهذيب الحال من أن يجنح الحال إلى علم ولا يخضع  
لرسم ولا يلتفت إلى حظ .



الدرجة الثالثة : تهذيب القصد وتصفيته من ذل الإكراه وحفظه من مرض الفتور ونصرتة على منازعات العلم .

أما قوله التهذيب محنة أرباب البدايات وهو شريعة من شرائع الرياضات فيريد بمحنة التهذيب ومعناه التلطيف والتنظيف وإزالة مايكدر الصفاء أن فيه محنة للعبد وبهذا الوصف يكون التهذيب محنة للمبتدئين يمتحنون بها لما فيها من الصعوبة التي يجب عليهم تذليلها وهو أيضا طريقه للمرتاضين الذين يمرنون أنفسهم عليها فتتقاد للحق وتستسلم لصواب التهذيب .

ثم قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تهذيب الخدمة من أن يخالطها جهالة أو تشوبها عادة أو تقف عندها همة ، فالمطلوب من السالك المجد تصفية خدمته من هذه الأنواع الثلاثة : مخالطة الجهالة ومعنى المخالطة المخالطة وشوب العادة ووقوف همة السالك عند رؤية الخدمة .

أما الجهالة : فانها إن خالطت العبودية أوردت العبد غير مواردها ووضعته في غير موضعه فقد تكون الأفعال أفعالا مفسدة للعبودية ، ويظن العبد لجهله صلاحها فيسكن في موضع التحرك ويتحرك في موضع السكون وقد يجمع في موضع الفرق ويفرق في موضع الجمع بالنسبة للعرفة .

فالخدمة الخالية من العلم بآدابها وحقوقها قد تبعد صاحبها بدلا من أن تقربه وإن كان مقصده بها القرب .

وأيضا يجب تخليص الخدمة من شوب العادة بأن يجعل السالك من عاداته محكا لعبوديته فيتحاكم إلى عوائده النفسية لا إلى العلم بآداب السلوك وواجباته فان النفس قد تتدخل بعاداتها ومألوفاتها في عبودية صاحبها لله فتركن إلى بساطط الأعمال ظنا منها أنها من كرائم الطاعات . أو أن النفس

تألف مافيه هوى من المألوفات صارفة النظر عما هو أكرم من نظر الشرع  
أو ما هو أقرب فى طريق الحقيقة .

ثم قال والدرجة الثانية : تهذيب الحال بالألا يمنح الحال إلى علم ولا  
يخضع لرسم ولا يلتفت إلى حظ . فان حكم السالك عليه الذى قد يكون  
مخدوعا بعلمه الناقص والحال فوق العلم وإن كان من الدرجات التى يوصل  
إليها بالعلم . وقد يوحى إليه علمه الناقص بكمال حاله وتعتبر الحقيقة إن  
حاله ناقص .

وقد قيل للجنيذ رضى الله عنه « إن أهل المعرفة قد يصلون إلى حال  
ترك فيه الحركات من باب البر والتقرب إلى الله » فقال الجنيذ ( كلا إنما هذا  
كلام قوم تكلموا باسقاط الأعمال عن الجوارح وهى عندى عظيمة والذى  
يزنى ويسرق أحسن من الذى يقول هذا . فان العارفين بالله أخذوا الأعمال  
عن الله وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرذرة  
إلا أن يحال بى دونها ) . ومعنى قوله والذى يزنى ويسرق الخ فان الإنسان  
قد يزنى ويسرق وهو يجهل وأما هذا فيشرع مع شرع الله افتئاتا على  
الشرع .

فالحال الصحيح روح العلم الخالص ، والعلم الخالص ينتج العمل المشمر  
فان أنتج الحال عملا غير مشمر عارض الحال حق العلم الصحيح وحق العمل  
الخالص بعلم ناقص فأفسد الحال والعلم والعمل جميعا .

وأما قوله « لا يخضع لرسم أى لا يخضع لقاعدة مرسومة تصدر من  
غير طاعة أهل طاعة الله ، فان صاحب الحال الجيد طالب للحقيقة وليس  
للرسوم .

وأما قوله ولا يلتفت لخط أى أن صاحب الحال الكامل لا يشتغل عن  
حاله لفرحه بحاله فان ذلك يكون من حظوظ النفس .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الدرجة الثالثة : تهذيب القصد وهو

تصفيته من ذل الإكراه وحفظه من مرض الفتور ونصرته على منازعات العلم .

فأما تهذيب القصد من ذل الإكراه فهو تصفيته من أن يكون صاحب العمل كالمكره عليه باعتبار أن الله قد أسره به فيعمله كالأجير المكره الذي أكرهته الحاجة على طلب العمل ومن شأن العمل لله أن يكون خالصا لوجه الله يحذوه الحب ويدفعه الإخلاص فهو عمل محب يصدر عن عامل محب لعمله وهذا يكون القصد في العمل خالصا لوجه الله .

ثم قوله وحفظه من مرض الفتور أى بصيانة حسن القصد في العمل مما قد يؤدي إلى الفتور ومن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ( أنه كان يصوم ويفطر وينام ويسهر ) .

وكل ما يؤدي إلى النشاط في العمل كالاستجهاج والترويح بين أوقات العمل يجعل العمل مرغوبا فيه وكل اقحام في العمل وإرهاق الطاقة مؤد إلى الفتور فيه .

والمراد تصفية العمل وتجريده عن الشوائب بخلوصه لله دون علة أو غرض فإن من عمل لأجل الأجر فقيمته أجره ومن أحبك لمنفعة أو فائدة فحبه مقصور عليها ومن أحبك لذاتك فهذا هو المحب الصادق الموجب لكرامتك وإحسانك .

وفرض الشيخ رضى الله عنه تهذيب قصد المرید وتصفية مسلكه وصدق عبوديته فتكون محبته لله خالصة دون علة من رهب أو رغب أو رؤية إرهاب .

وبهذا وذاك ينتصر السالك على منازعات العلم وذلك بمعنى الجدل فيما يستحق على عمله من ثواب وتقدير ذلك الثواب أو رؤية ما يفوته من ملذات الدنيا في سبيل حبه لله فذلك المنازعات والمجادلات التي قد يأتى بها العلم

المظنون ينتصر السالك عليها بصفاء حبه لله وخلوص مقاصده في الله تعالى وذلك هو الحال الجيد .

وأنشدوا في هذا الباب قولهم

وعقله بشراب الله سكران	طرف الذي طلب التحقيق سهران
حميدة وهو بالتوفيق ملآن	وقلبه فيه أخلاق مطهرة
فلتصغ منك لما أبدية آذان	إن رمت أخلاقه الحسنى تعددها
وشبه رحمة أيضا وإيمان	هي الوقار كذا التقصير في أمل
تصوف ثم إخلاص وإحسان	نصيحة غيره شكر مجاهدة
وذكر موت وتفويض وإيقان	خوف من الله مع صحو له أدب
شجاعة ثم تحقيق وإمعان	وعبطة في التقى رشدا مرابطة
أنس وشوق إلى المولى وأشجان	وكظم غيظ وعفو والخشوع كذا
رفض وصدق وما تبديه فتیان	والحب في الله ثم البغض فيه به
أمانة ثم تسليم وإذعان	وحسن ظن وزهد وعفة وحياء
قناعة وعلى الرحمن تكلان	صلاية الدين ثم الاستقامة مع
تحصيل علم لدى شيخ له شان	ورقة والثاني والتعلق في
فراصة وذكر أن الله منان	سلامة الصدر من حقد مراقبة
تفكير وحكمة تنمو وتردان	والمدح والذم فيهما الاستواء كذا
حب الخول فلا يدريه إنسان	مروءة واعتقاد والإنصياح به
محو حتى يأتي عنه رضوان	صبر وسعى وحلم توبة وترجع
عقاب نفس عتاب فيه تبيان	وفاء عهد وإنجاز لموعدة
حساب نفس له في العدل ميزان	تواضع ثم إثارة مشاركة
إرادة والسخا ما فيه نقصان	كذا عبودية لله وحرية كذا

وقصد طول حياة للثقى أبدا خير مبادرة إذ فيه إمكان  
نفذ حميدة أخلاق ثمانية وسبعين عقد فيه سرجان

## باب الاستقامة

قال تعالى الله « فاستقيموا إليه » .

وقال الشيخ رضى الله عنه قوله تعالى إليه إشارة إلى عين التفريد  
والاستقامة روح تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمال وهى برزخ  
بين وهاد التفرق ورواى الجمع وهى على ثلاث درجات .

ثم قال الدرجة الأولى : الاستقامة على الاجتهاد فى الاقتصاد لاعاديا  
رسم العلم ولا متجاوزا حد الإخلاص ولا مخالفا نهج السنة .

الدرجة الثانية : استقامة الأحوال وهى شهود الحقيقة لا كسبا ورفض  
الدعوى لا علما . والبقاء مع نور اليقظة لا تحفظا .

والدرجة الثالثة : الاستقامة بترك رؤية الاستقامة ، بالغيبة عن طلب  
الاستقامة بشهود إقامة الحق وتقويته عز وجل .

الاستقامة كلمة جامعة وهى الكون فى السير بين حدين : حد التفریط  
وحد الإفراط وتكون الاستقامة بمعنى أوسع هى طريق السداد فى  
السلوك : السداد فى النيات والسداد فى الأقوال والسداد فى الأعمال  
وصاحب الاستقامة الصادقة يكون بين يدى مولاه قائما بحقيقة الصدق  
والوفاء بالعهد ، ويقول بعض العارفين ولعله الشبلى « كن صاحب الاستقامة  
لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطالبك  
بالاستقامة » .

وأما قول الشيخ رضى الله عنه إشارة إلى عين التفريد فمعناه شهود تفريد الحق عز وجل فى الأمر والنهى والخلق والإرادة فلا يرى السالك غير فردانية الحق يستضىء بها فى سلوكه فقوله عن التفريد إشارة إلى هذا الجمع ، والجمع عكس الفرق فالفرق أن يرى الحادث والقديم والأسباب والمسبب فى حين واحد وأما الجمع فلا يرى فيه سوى الفاعل المختار وهو الله عز وجل فى سائر الأحوال ولذا قال الشيخ إن الاستقامة روح تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمال وهى برزخ بين وهاد التفريق وروابى الجمع ، والبرزخ هو الحاجز بين شيئين متغايرين والوهاد هى الأمكنة المنخفضة من الأرض وقد استعارها الشيخ رضى الله عنه لحالة الفرق لأن الفرق حجاب ، والسائر فى وهاد الفرق لا يرى أعلى من تلك الوهاد وليس الذى هو على الروابى وهو صاحب الجمع وإستعار له كلمة الروابى لأن السالك فى أعلى الروابى ينظر ما فى الوهاد وما فى غيرها فشهوده أرقى وأعلى ضرورة من صاحب الوهاد ، الذى يسير فى مسالك الفرق فإذا الخط السالك هذا المعنى علم أنه يكون فى أول سلوكه متفرقا فى وهاد الفرق وطالبا لروابى الجمع فيستقيم فى سيره بين التفريط الذى يسببه شهود الفرق وهو رؤية المظاهر المتعددة دون حقائقها فيختلط عليه الأمر ويدعوه إلى التفريط المغاير للاستقامة المؤدية به إلى الجمع الذى هو مقصوده ومطلوبه .

وأما الإفراط فهو الإفراط فى رؤية الجمع والمفرط فى جمعه لا يميز بين الأسباب والمسببات ولا بين الحقيقة ومظاهرها وهذا إفراط فى المعرفة قد يوقع فى الحلول أو الاتحاد فيكون كالذى قال شعرا :

أنا من أهوى      ومن أهوى أنا

ونحن روحان      حللنا بدنا

أو كالذى قال : —

فما صلى لى سوى ولم تكن صلاتى لغيرى فى إءا كل ركعة  
فالأول قال بالحلول والثانى قال بالائءاء .

والعارفون السكل يميزون بين الحقيقة ومظاهرها وبين الأسباب  
ومسببها مع تجردهم من إءعاء الأسباب ومن رؤية أنفسهم بشهود بارئهم  
المءعالى الأوءء ءون غيره والأبءى قبل خلقه .

ولأجل الاسءقامة بين التفريط والإفراط فى السلوك وفى الشهود  
قال شيخنا أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لتلميذه أبى العباس المرسى  
رضى الله عنهما ليدر به على المعرفة الحقة والجمع الصحيح على الله قال :  
ويا أبا العباس إن رمت اللى لاءجمة فيه أى الأمر الصواب الخالص الذى  
لا تردد فيه « لىكن الفرق فى لسانك موجودا والجمع فى جنائك مشهودا »  
معنى القول أن ترى الفرق والجمع بعين واحدة فى وقت واحد ثم تردد الفرق  
إلى الجمع والمظاهر إلى الحقيقة فترى الفءال المءوءء بفعله ظاهرا وفى  
الوقت نفسه ترى الأفعال اللى لامصدر لها سواء .

ولءا قال الشيخ صاحب منازل السائرين رضى الله عنه عءء التقسيم أن  
لءرءة الأولى فى الاسءقامة هى الاسءقامة على الاجءاء وفى الاقءصاء  
لأعاءيا رسم العلم ولا مءجاوزا ءء الإءلاص أى لا مءعءيا على رسوم  
الذى يفرق بين الأشياء لتقريرها . بأفكارها ولا مءجاوزا ءء الإءلاص  
للتوءىء بأفكار مقتضياته لأنك حينئء تكون مءعءيا ءءوء الشريعة  
ومقتضيات الحقيقة : ولءا قال فى آءر الجملة ولا مءالفا نهج السنة أى سنة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقرار التوءىء عاملا بقوله تعالى ( إياك  
نعبد ) وهو ءء الفرق ( وإياك نستعىن ) وهو عىن الجمع .

نن عءم الاقءصاء فى الإءءاء ءء يؤءى تكون النءىجه وة أو إلى إء

الفترة وهى الفتور نتيجة للمبالغة أو التقصير أو الإخلاص المقرون بالاتباع  
يؤدى بصاحبه إلى روائى المعرفة .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجه الثانية : استقامة الأحوال وهى  
شهود الحقيقة لا كسبا ورفض الدعوى لاعلماء والبقاء مع نور اليقظة  
لا تحفظا .

وقد منّا أن صاحب الجمع الصحيح يشهد الفرق فى الجمع والكثرة فى  
الوحدة فهو الموحّد المستقيم .

وقوله لا كسبا أى لا ترى لك كسبا فى ذلك الشهود جالته بعملك  
لأن الحقيقة أنه مئة من الله تعالى عليك والكسب من أعمال النفس .  
وما دامت النفس موجودة ترى نفسها فلا تشهد الفردانية فى الجمع لظلمة النفس  
ورؤية كسبها وهذا يكون أثينية لا تفريد يؤدى إلى جمع وشهود .

وأما قوله رفض الدعوى لاعلماء فالدعوى هى نسبة الحال إلى نفسك .  
والاستقامة لا تمسح إلا بترك رؤية النفس لأن رؤية النفس تغطى  
نور المعرفة .

هذا ولا يكون الحاصل لك على ترك الدعوى مجرد العلم فتكون قد  
تركت الدعوى ظاهرا لأنه منهى فى السلوك عنها بل يجب ترك الدعوى  
بالحال لا بالعلم ولا بالمقال .

وبهذا يترك السالك الدعوى حالا أى فى حال الشهود وحقيقة أى  
تجريدا خالصا للحقيقة .

وأما قوله البقاء مع نور اليقظة فمعناه أن هذه الاستقامة على الشروط  
التي قدمنا موجبة لليقظة ضرورة أى يقظة السالك فى سلوكه فيجب أن  
يتجرد من نسبة هذه اليقظة لنفسه لأنها مئة من الله عليه فإن رآها من



نفسه اطفأ تلك اليقظة بظلمة الغفلة لأن الذي جعل اليقظة وهى سبب الحفظ هو الله عز وجل فهو الموقظ. الحافظ .

ويشير الشيخ بذلك إلى أن هذه الحال إما هى من مواهب الله ولا تصلح فى حال رؤيته للاجتهاد لأن الاجتهاد ودواعيه من الاقتصاد وغيره من شئون البداية والسلوك للمقامات أما استقامة الأحوال فمواهب من مواهب التقريب فلا يصح فيها إدعاء لكسب وإلا هبط صاحب الحال من درجة الحال إلى شهود الاكتساب والعمل .

ولذلك قال الشيخ فى الدرجة الثالثة الاستقامة بترك رؤية الاستقامة والغيبة عن تطلب الاستقامة بشهود إقامة الحق وتقويمه أى السالك فى سلوكه لأن رؤية الاستقامة تحجبه عن شهود الحقيقة وقوفاً مع الاستقامة .

ولذا قال الشيخ الغيبة عن تطلب الاستقامة بشهود إقامة الحق للعبد وتقويمه إياه .

ويؤخذ من هذا الباب ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن يستقيم السالك لطريق الله غير مبالغ فى الأعمال ولا مقصر فيها .

الأمر الثانى : ألا يدعى لنفسه فى استقامته جهداً أو فعلاً لأن الذى هداه للاستقامة هو مولاه عز وجل استجابة لنيته فى ابتغاء الوصول إليه بسلوكه ويكون التحقيق أنه وإن كان هو السالك فإنه الله هو المسلك أى الميسر للسلوك على التحقيق .

الأمر الثالث : إذا من الله تعالى عليه نتيجة لاستقامته فى سلوكه بحال جليل فيجب أن يشهد ذلك ولا يرى لنفسه كسباً لهذا الحال بسلوكه فيحجب ويقع فى وهاد الاجتهاد ودركة الرسوم لأن الحال حينئذ لا يكون إلا منحة من المحول وهو الله سبحانه وتعالى .

وأنشدوا في ذلك قولهم :

قلبي بكم متصلب متسكن متقلب	وخيال جبكم أبدا يحى ويذهب
ما أنتم منى سوى	نفسى فأين المهرب
ألقيت نفسى فاغتمدت	فيما لكم تنقلب
وتركتنى فوجدتنى	لا أم لى ثم ولا أب
وجدت ما قبلى وما	بعدى ولا أترىب
ونفيت عنى الاختصاص	ص فوجهه أتقرب
أنا ذلك القدوس فى	قدس العلا متحجب
أنا ذلك الفرد الذى	فيه السكال الأعجب
وأنا العجيب ومن به	مما حوى ذا المعجب
لى فى العلا فوق المسكا	ن مكانة لا تقرب
فى كل منبت شعره	منى كمال معرب
وبكل صوت طائر	فى كل غصن يطرب
وبكل مرآى صورتنى	تبدو وقد تتحجب
حزت السكال بأسره	فلأجل ذا أتقلب
وأقول أنى خلقه	والحق ذاتى فاعجب
نفسى أنزه عن مقام	لة الى لا تكذب
الله أهلا للعلا	وبروق برقى طلب
أنا لم أكن هو لم يزل	الأى شىء أظن
ضع الكلام فلا كلا	م ولا سكوت معجب

\* \* \*

هذه الأرجوزة ولو بدا فيها التسامى والمبالغة فى العلو فلا تمنح نحو  
الحلول ولا نحو الاتحاد بدليل قول قائمها :

وأقول إني خلقه والحق ذاتي فأعجب  
إلى أن قال :

الله أهل للعلا وروق برقي طلب  
أنا لم أكن هو لم يزل فلاي شيء أطنب

ويريد بذلك التوسط وهو الاستقامة بين وهاد الرسوم والاغيار وروابي  
الجمع وشهود الحقيقة التي لا شاة غيرها .

## باب التوكل

قال الله تعالى ( وعلى الله فتوكوا إن كنتم مؤمنين ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه التوكل كلة الأمر كله إلى ماله والتعويل على  
وكالته وهو من أصعب منازل العامة عليهم وأوهى السبل عند الخاصة ،  
لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه وآيس العالم من تلك شاة منها وهو  
على ثلاث درجات كلها تسير مسير العامة :

قال الدرجة الأولى التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب على نية شغل  
النفس ونفع الخلق وترك الدعوى .

الدرجة الثانية التوكل مع إسقاط الطلب وغض الطرف عن  
السبب اجتهدا لتصحيح التوكل وقعا لشرف النفس وتفرغا لحفظ  
الواجبات .

الدرجة الثالثة : التوكل مع معرفة التوكل والمنازعة إلى الخلاص من  
علة التوكل وهو أن تعلم ملكة الحق تعالى للأشياء ملكة عزة لا يشاركه فيها  
مشارك فيكل شريكه إليه فإن من ضرورة العبودية ان يعلم العبد أن الحق  
تعالى هو مالك الأشياء وحده .

أما قوله رضى الله عنه التوكل كلة الأمر إلى ماله والتعويل على وكاله وهو من أصعب منازل العامة عليهم وأوهى السبل عند الخاصة .

ومعنى قوله رضى الله عنه : كلة الأمر إلى ماله فإن المالك الحقيقي لأفعالنا وأقوالنا وأحوالنا هو الله سبحانه وتعالى فكل ما يأتى به المتوكل عرف من تلك الحقيقة فيعول على المالك فيما يملك من الأسباب والمسببات .

ثم قال وهو من أصعب منازل العامة عليهم فإن العامة قد تشغلهم الأسباب المتعددة عن المسبب المتوحد، لذلك رد الأمر إلى صاحبه بالانكال عليه أمر صعب على العامة لتعلقهم بالأسباب وأما قوله وأوهى السبل عند الخاصة لعرفانهم بعلم اليقين بل بعين اليقين أن الأمر كله لله وليس للعبد من الأمر شيء فلا يكون تمة شيء يوكل مولاه فيه وإلا فكيف يوكلون المالك على ماله وهم يعلمون أنهم ملك لله دون غيره .

فالخاصة لما تحققوا من ذلك علموا حقيقة التوكل فى أعلى ذراه وهو تفويض الأمر إلى ماله . وذلك لأنه مادام الأمر كله لله عز وجل وليس للعبد منه شيء فيكون معنى توكلهم التسليم والتسليم أعلى درجة من التوكل لأن التوكل قد يكون فيه إيهام فى المعرفة ولكن التسليم واضح دون إيهام أو تفصيل من حيث أنه تسليم الأمر لماله الحقيقى ويكون المراد هنا اعتماد العبد على الله فى سائر أموره بخروجه عن رؤية التصرف بنفسه أو بجوله وقوته .

لذا يقول الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ويقول سبحانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) باعتبار أن الأمر جار عليهم ولكنهم منه وإليه .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات كلها تسير مسير العامة :

الدرجة الأولى : التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب على نية شغل النفس بالسبب مخافة ونفع الخلق وترك الدعوى فأما قوله في الدرجات الثلاث أنها تسير مسير العامة لانخلاع العارفين عن هذا التوكل بالتسليم وتفويض الأمر إلى ماله في كل كبيرة وصغيرة .

وكانت أول تلك الدرجات التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب وأن تعاطى الأسباب لا ينافي التوكل إذا رجع فيها المرء إلى المسبب . ومن فائدة التوكل مع تعاطى الأسباب شغل النفس عن البحث مخافة التهمة والشك وبالمخلط بين الأسباب والمسببات وكذلك من فوائد الاشتغال بالأسباب نفع الخلق وترك الدعوى في أنه متوكل وله وكيل فصاحب هذه الدرجة متوكل على الله لا يترك الأسباب بل بمعاطاتها بذية فعل الخير وشغل النفس والسعى على العيال ومعنى شغل النفس أن الإنسان إذا لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل ولا سيما إذا كان عاطلاً عن العمل ومن سمو المعتقد لدرجة التيقين وبتبع كل ذلك طبعاً ترك دعوى التوكل فلاشتغال بالأسباب من حق الله على عبده وهي الأعمال التي يترتب عليها الثواب والعقاب .

ثم قال والدرجة الثانية : التوكل مع إسقاط الطلب وغض الطرف عن السبب اجتهداً لتصحيح التوكل وقمعاً لشرف النفس وتفرغاً إلى حفظ الواجبات .

أما قوله مع إسقاط الطلب ليس قوله الطلب من الله وإنما المراد الطلب من الخلق أو من الأسباب نفسها يرتفع عن ذلك تصحيحاً لتوكله وقمعاً لشرف نفسه والشرف هنا إما من الاستشراف وهو تطلع النفس وهو أمر مذموم وإما أن يكون القصد من شرف النفس برفعها بالغنى أو بالمنصب أو بالعشيرة وهو أمر مذموم أيضاً يجب التخلص منه بتصحيح التوكل وتصحيحه إن السكل من الله وبالله وإلى الله وفي هذا راحة وفيه تفرغ لحفظ الواجبات الاعتقادية والعبادية .

ثم قال والدرجة الثالثة. التوكل مع معرفة التوكل والنزوع إلى الخلاص من علة التوكل ومعناه معرفة حقيقة التوكل والرضى بما يفعلُه الوكيل ليس اختيارا أو منازعة وذلك هو الخلاص من علة التوكل وهو أن تعلم أن ماله الحق تعالى للأشياء ماله عزة لا يشاركه فيها مشارك فلا تجعل لك اختيارا فتتوكل على الله فيما تحب وتكره . لذلك قال فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق تعالى هو مالك الأشياء وحده .

وأشدوا في ذلك المعنى قولهم .

توكل على الرحمن حق توكل	فليس لما في عليه من مبدل
ونحن ولا تعجب لفي غفلة	عما يراد بنا في عاجل أو مؤجل
فسير ولا ندرى كركب سفينة	وعمر الفتى كالقئ حم التمنقل

### باب التفويض

قال الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون (وأفوض أمري إلى الله).  
التفويض اللفظ إشارة وأوسع معنى من التوكل فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن يعلم أن العبد لا يملك قبل عمله استطاعة فلا يأمن من مكر ولا ييأس من معونة ولا يعول على نية .

الدرجة الثانية : معاناة الإصرار فلا يرى عملا منجيا ولا ذنبا مهلكا ولا سبيبا حاملا .

الدرجة الثالثة : شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط ومعرفة بتعريف التفرقة والجمع .

أما قول الشيخ رضى الله عنه إن التفويض أطف إشارة وأوسع معنى من التوكل فإن التوكل يحصل بعد وقرع السبب أى التعامل مع الأسباب .

والتفويض قبل وقوعه وبعده ولذلك قال وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه .

فإن المفوض يتبرأ كلية من الحول والقوة ويفوض الأمر إلى ماله من غير أن يقيمه وكيلا عنه فى مصالحه .

فالتفويض على هذا المعنى أعم من التوكل ويقول سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه : « العلم كله باب من العبد ، والتعبد كله باب من الورع ، والورع كله باب من الزهد ، والزهد كله باب من التوكل » .

فالتفويض يجمع كل ذلك مع التوكل وينفرد بانخلاع العبد من الحول والقوة قبل أن يستعمل الأسباب وبعد أن يستعملها . فلا يتخذ من الرب وكيلا وهذا يجعل من العبد مفوضا لكل الأمور إلى ماله والمنة هنا أى ميزة التفويض كما يقول الشيخ أن التوكل يقع بعد السبب ، والتفويض قبل وقوعه وبعده ويعنى طبعاً بالسبب الاكتساب والتعامل مع الأسباب ويؤيد ذلك قوله فى التفويض أنه عين الاستسلام والانقياد بالكلية إلى الحق سبحانه وتعالى فيما يريد سواء كان ما يريد الحق فى صالحه أو فى غير صالحه ثقة بعلم الله لما ينفعه وما يضره فهو لا يئأس من معونته لأنه فوض أمره إلى من بيده الخلق والأمر .

وأما قوله ولا يعول على نية أى لا يعتمد على نيته وعزمه إن تمسك بهما على أن نيته وعزمه أيضا بيد الله لا بيده يجريها الله على يديه مشيئة وتسبيا .

ثم قال والدرجة الثانية : معاينة الاضطرار فلا يرى عملا منجيا ولا ذنبا

مهلكا ولا سببا حاملا ، وذلك لمعاينة افتقاره وحاجته إلى الله في كل حال ولهذا لا يرى العبد أن عملا من أعماله منجيا . إلا ما شاء الله تعالى ولا ذنبا أيضا مهلكا ولا سببا حاملا فتفويضه إلى الله تفويض إلى علم الله القديم ومشيتته لا إلى علمه هو ولا إلى عمله وكذلك لا يرى ذنبا مهلكا لأن فضل الله وسعة رحمته ومغفرته مع فاقته إليه أوسع من أن يجعل الذنب مهلكا لرجائه في رحمة الله الواسعة بحيث لا يصر على الذنب قط . وذلك نفسه أى علمه باحاطة الله بكل أعماله يمنع من اقتحام الذنوب المهلكة من حيث أن هذا يجعله لا يصر على ذنب أبدا .

وأما قوله ولا سببا حاملا معناه أن السبب بيد المسبب لا بيده ولا بيد السبب نفسه فإنه هو وفعله والأسباب التي يقوم بها تجرى تحت مشيئة الله وحده .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجة الثالثة : شهود إنفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط لما تقدم من التوحيد للحق في الفعل والأمر وأما قوله ومعرفته بتصرف التفرقة والجمع فذلك بأن يشهد جمعا في فرق وفرقا في جمع بمعنى أنه يشهد الأسباب بتصرف المسبب . وهذا هو الفرق ثم أنها آيلة إليه جميعا وهذا معنى الجمع ومعنى ذلك أن يكون السالك مشاهدا لمواضع الفرق ومواطن الجمع وذلك بنسبة أفعال الخلق جميعا إلى مراد الحق فإنه موجودها ومسببها وهو المنفرد بها .

وأنشدوا في ذلك :

قل للحب إذا أنى لطريقنا	إن كنت تهوانا وتطلب قربنا
لا تلتفت بعد الوصول إلى الحمى	للغير تطرح في زوايا بعدنا
واطرح شكوك النفس لا تحفل بها	واملا فؤادك باليقين تفز بنا
وتعاین الأسرار يسطع نورها	وتشاهد المعنى بحضرة قدسنا



وسبيل قربي في اتباع المصطفى      فهو الصراط المستقيم لحينا  
فاسلك على آثاره متمسكا      بشمائل المختار تظفر بالمناسا  
والنفس فاحذر من هواها إنه      يلقىك في جب القطيعة والعنا  
وانهض إلى حب الحبيب مجاهدا      شهواتها بصفو الفؤاد بحينا  
وإرادتي سبقت فلا تك طامعا      في الخلق تجنى الذل واحذر مقمتنا

### باب الثقة بالله

قال الله تعالى ( فإن خفت عليه فألقيه في اليم ) قال الشيخ رضى الله عنه : الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : هى درجة الأياس وهو يأس العبد من مقاومة الأحكام ليقعد عن منازعة الأقسام وليتخلص من قحة الأقدام .  
والدرجة الثانية : درجة الأمن وهى أمن العبد من فوت المقدور وانتقاض المستور فيظفر بروح الرضى وإلا فباطل الصبر .

والدرجة الثالثة : معاينة أزيلية الحق ليخلص من محن القصود وتكاليف الحمايات والتعريج على مدارج الوسائل .

يقول الشيخ رضى الله عنه إن الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم ومراده رضى الله عنه أن الثقة خلاصة التوكل كما أن سواد العين أشرف ما فيها .

وأما قوله ونقطة دائرة التفويض فكما أن التفويض عليه مدار التوكل فيكون وجوده بالنسبة للتوكل كوجود النقطة بالنسبة للدائرة فالثقة بالله هى النقطة المركزية التى يدور عليها مدار التفويض وهى أيضا قوام التوكل

وكذلك كانت الثقة بالله أيضاً سويداء قلب التسليم والسويداء ( نقطة الشعور من القلب وهى المهجسة ) فلو كان التوكل محتاجا إلى التفويض والتفويض محتاجا إلى التسليم كانت الثقة بالله سويداء قلب هذا التسليم .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهى على ثلاث درجات أى أن الثقة بالله على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : درجة الأياس وهى أياس العبد من كل نافع أو ضار سوى الله . ويأسه أيضا من مقاومة الأحكام أى أحكام الله فيقعد بهذا وذلك عن منازعة الأقسام التى قسمها الله له ولغيره فيخلص بذلك من قحة الإقدام على المنازعة لعياد الله فى أنصبتهم من الله وذلك لأن الواثق بالله لا اعتقاده أن الله إذا قضى أمرا أو حكم حكما فلا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الدرجة الثانية درجة الأمن وهو أمن العبد من فوت المقدور أو انتقاض المستور فيظفر بروح الرضى وإلا فبعين اليقين وألا فباطط الصبر وذلك إنما حصل عنده ذلك الأياس مما دون الله للثقة بربه والتحقق بمعرفته علم أن ما قضاه ربه لا مرد له فأمن من فوت نصيبه من الدنيا أو الآخرة أو من القرب إلى الله فيظفر حينذاك بروح الرضى وبما فيه من لذة ونعيم .

ويروى عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله ( إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والفرح فى اليقين والرضى وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط ) فإن صاحب الثقة بالله أو صلته ثقة بربه إلى الرضى فيظفر بقوة الإيمان ودخل بإيمانه عين اليقين وعين اليقين هى مباشرة القلب للشيء كأنه واقع .

فإذا لم يصل السالك لهذه الدرجة وذاك المقام من الثقة والتفويض والنسليم فليعتصم بلفظ الصبر وما يؤدي إليه الصبر من حسن العواقب كما ورد في الحديث ( إن استطعت أن تعمل فله بالرضى مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره النفس خيراً كثيراً .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الدرجة الثالثة : معاينة أزلية الحق ليتخلص من محن القصود وتكاليف الحمايات والتعريح على مدار الوسائل .

ومعناه أن المشاهد لأزلية الحق وانفراده بالمشيئة والفعل منذ الأزل - فيتخلص حينذاك من محن القصود الشخصية التي تغاير مراد الحق وايضا يخلص من تكاليف الحمايات وهى أن يحتذى من فعل الله بأسباب يتوهمها فإن تنقى فؤاده من ذلك بواسطة الثقة بالله بعد عن الركون لمدارج الوسائل والمدرجة قد تكون مؤدية إلى النفع أو إلى الهلكة وهذا لا يعلمه سوى الله وحده .

وأنشدوا في حال الواثق المتثبت بفضل الله :

أنا في حالة النوى والندانى	لست ألوى عن الغرام عنانى
لا يروم السلو قلبى ولا يفر	ترعن ذكر من أحب لسانى
فاقترب الديار لفظ وقرب الـ	ود معنى فاسلك سبيل المعانى
يا خليلي خليلانى ووجدى	وامزجالى بذكره واسقيانى

## باب التسليم

قال الله تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : وفى التسليم والثقة والتفويض ما فى التوكل من علل وهو من أعلى درجات سبل العامة .  
وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب والاذعان لما يغالب القياس من سير الدول والقسم والإجابة لما يزع المرید عن ركوب الأحوال .

قال والدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال والقصد إلى الكشف والرسم إلى الحقيقة .

والدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق مع السلامة من رؤية التسليم بعناية تسليم الحق إياك إليه .

أما قوله رضى الله عنه وفى التسليم والثقة والتفويض ما فى التوكل من علل وهو من أعلى درجات سبل العامة فهو يريد بذلك ما فى التوكل من دعوى نسبة الشيء إلى نفسه وأنه وكل ربه فيه ثم توكل عليه وفى ذلك من الدعوى ما فيه لأن الأمر كله لله : العبد والأسباب والمسببات كلها آثار لأفعال الله . وهو يقضى فى خلقه بما يريد . وفى الثقة والتفويض أيضا الواثق والموثوق به والمفوض والمفوض إليه وكلها من علل الدعوى وإن كان ذلك من أعلى درجات سبل العامة الذين لم يبلغوا بعد إلى حقائق المعرفة .

والتسليم ليس فيه من تلك العلل إلا علة واحدة وهى ألا يكون

تسليمه صادرا عن محض الرضى والاختيار وذلك بما يشوبه من إكراه النفس عليه .

وأما التسليم عن طواعية ورضى وعند شهود للحقيقة فإن أعلى هذه المقامات كلها فعلى صاحب التسليم أن يتخلص حتى من رؤية التسليم لأن العارفين قد شغلهم الاستغراق فى رؤية الجمع عن رؤية النفس فضلا عن نسبة الفعل إليها .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تسليم ما يزاحم العقول مما سبق على الأوهام من الغيب والاذعان لما يغالب القياس من سير الدول القسم والإجابة لما يذع المرید وفى نسخة لما يفزع المرید من ركوب الأحوال .

والتسليم هو الخلوص من كل شبهة تعارض الخبر أو تعارض المشيئة ومعنى هذا أن ما جاء به الشرع عن الله ومعنى المشيئة الإرادة السكونية التى لا تأثير فيها إلا لله وحده فإذا تخلص العبد مما يعارض الشرع أو القدر كان هو صاحب القلب السليم المقصود بقول الله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فصاحب القلب السليم وبعبارة أخرى التسليم الخالص لله فإن صاحب هذا التسليم ينجو بفضل الله يوم القيامة لأنه قد نجى فى حياته من ضروب المنازعة وأسبابها ومن ذلك ترك الجدل فى الدين وشبهات المجادلين والمتكلمين والإيمان بإيماننا خالصا محضنا بذات الله وأسمائه وصفاته كلها تسليما لا تشوبه شبهة معارضة أو شهوة من الوهم عارضة فتعارض إرادة الرب بما يرى العبد وقد يسلم العبد مرغبا بإرادة الرب فالتخلص من تلك الشبهة ومن ذلك التسليم أيضا أقرب إلى سلامة الصدر وخلوص القلب الموصل لمعرفة حقوق الرب وشهود ذاته فى أسمائه وصفاته وأفعاله وعلى هذا يكون التسليم الخالص من أرفع مقامات ( ٨ م - التمكن )

العبودية بل هو المقام الموصل لمقام الصديقية ، وكل هذا معنى قول الشيخ ما يزاحم العقول مما سبق على الأوهام أو في الأفهام فالتسليم يقتضى ترك ما يزاحم به العقل أحيانا بتقديراته لأوامر القلب وفطرته فمثلا أن العقل قد يرى أن الأسباب هى كل شيء وبذا يسمو عن رؤية المسبب وبأنى القلب بفطرته لا الاعتماد على المسبب دون الأسباب فيصدق بقلب السالك معارضا لتوهم العقل لغير الحق الذى استقر فى القلب والتسليم الخالص ينفي التجرد من ذلك التوهم وفى قوله والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول أو القسم فالقياس فيما تجرى به الأقدار خلال الدهور على الدول والقسم ليس قياساً يصح دائماً فإن الله مقسم القسم ومدول الدول وقد يرى العقل وجود ملك باذخ وسلطان وطيد وفى علم الله سرعة زواله وقد يكون فيما يقسم الله للناس من فقر خيرا وقد يكون فيما يقسم من غنى شرا والله يعلم وأنتم لا تعلمون فالقياس هنا بعقلنا الضعيف قد يكون قياساً مع عظيم الفارق فلا يعترض الإنسان العارف على أفعال الله بما يقع فى الذهن من شبهات القياس .

قال الشيخ والإجابة لما يفزع المريد من ركوب الأحوال قد تكون صحتها لما يذع المريد عن ركوب الأهوال وبهذا يكون القول واضحاً لأن صاحب التسليم — لا يقتحم أهوال الوهم أو الفرض أو القياس فإن كان المراد ما يفزع المريد من ركوب الأحوال فيكون معناه أن المسلم لله الواثق به قد يركب ما يفزع غيره من المطالب العالية والأحوال الكريمة التى يجنب عند اقتحامها .

ثم قال والدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال والقصد إلى الكشف والرسم إلى الحقيقة .

وبعنى تسليم العلم إلى الحال عدم الوقوف عند ظواهر العلم والانصراف إلى حقائقه التى قد يتذوقها صاحب الحال الرفيع ثم ترك

التقليد في الخبر إلى اليقين الذي يشبه العيان فيقع العلم الصحيح مطابقا للحال الصحيح وسلطان الحال أقوى من سلطان مجرد العلم وأعظم استكشافا للحقيقة وأما قوله تسليم القصد إلى الكشف أى يجعل قصده دائما ما يبين الكشف الصحيح من معالم الطريق وبهذا يصح العلم ويصح السلوك ويصير القصد مطابقا لما يظهره الحال من الكشف للحق وبهذا وذاك يتم ترك الرسم إلى الحقيقة كما يقول الشيخ وهكذا يكون تسليم صاحب الفناء في الله التسليم الذي يقضى إلى شهود الحقيقة فيفنى الرسم بنور الحقيقة كما يفنى الظلام بالنور الطبيعي كنور الشمس .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الدرجة الثالثة تسليم ما دون الحق مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه وهذا شيء واضح بما قدمنا لأن تسليم ما دون الحق إلى الحق معناه الخلو من خلوص العبادة وخلوص المشاهدة لله وهذا نفسه يضمن السلامة من رؤية التسليم نفس التسليم وذلك بمعاينته أو مشاهدة تسليم الحق إياك إليه أى أنه هو الذى دعاك إليه وهو الذى جعلك تسلم له وهو الذى أوصلك إلى حضرته .

وأنشدوا خمسة الشيخ عlish رضى الله عنه .

إلزم باب ربك وأترك كل دون      وأسأله السلامة من دار الفتون  
لا يضيق صدرك فالحادث يهون      الله المقدر والعالم شتون  
لا تكثر لهمك ما قدر يكون

الذى لغيرك لا يصل إليك      والذى قسم لك حاصل لديك  
اشتغل بربك والذى عليك      من فرض الحقيقة والشرع المصون  
لا تكثر لهمك ما قدر يكون

نحن والخلائق كلنا عبيد      والإله فينا يفعل ما يريد

همك واهتمامك ويحك لا يفيد القضاء تحتم فالزم السكون

لا تسكثر لهمك ما قدر يكون

فكرك واختيارك دعمهما وراك والتدبير أيضا واشهد من يراك

مولاك المهيمن إنه يراك فوضله أمورك وأحسن الظنون

لا تسكثر لهمك ما قدر يكون

\*\*\*

## ( القسم الرابع وهو قسم الأخلاق )

وفيه عشرة أبواب

باب الصبر، وباب الرضى، وباب الشكر، وباب الحياء، وباب الصدق،  
وباب الآثار، وباب الخلق، وباب التواضع، وباب الفتوة، وباب الانبساط .

### باب الصبر

قال الله تعالى ( واصبر وما صبرك إلا بالله ) .

قال الشيخ رضى الله عنه : الصبر حبس النفس على جزع كامن من  
الشكوى وهو أيضا من أصعب المنازل على العامة وأوحشها فى طريق  
المحبة وأنكرها فى طريق التوحيد وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد ابقاء على الإيمان  
وحذرا من الحرام وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء .

الدرجة الثانية : الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواما وبرعايتها  
اخلاصا وبتحصينها علما .

الدرجة الثالثة الصبر فى البلاء بملاحظة حسن الجزاء وانتظار روح



الفرج وتهوين البلية بعد رؤية أيادى المنن وتذكر سوائف النعم وفى هذه الدرجات الثلاث نزل قول الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا ) يعنى فى البلاء ( وصابروا ) يعنى عن المعصية ( ورابطوا ) يعنى على الطاعة . وأضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريد وفوقهما الصبر على الله وهو صبر السالكين .

ويقول الشيخ رضى الله عنه فى الدرجة الأولى : الصبر حبس النفس على جزع كامن من الشكوى وهو أيضا من أصعب المنازل على العامة وأوحشها فى طريق المحبة وأنكرها فى طريق التوحيد .

أما معنى قوله الصبر حبس النفس على جزع لأن الصابر لا يخلو فى صبره من الألم ، ولكن إذا حبس النفس على ما تكره انتظارا للفرج أو انصافا بمكارم الأخلاق أو تقربا لله عز وجل هان ذلك الجزع ولمح الصابر فى صبره بريق الرضى وإن لم يكن من مقامه وحينئذ يكون صبره بالله وهذا معنى الآية التى صور بها الشيخ كلامه فى الصبر ( واصبر وما صبرك إلا بالله ) فبعد أن يتحامل الصابر على نفسه بالصبر والمصابرة يأخذ الله بعد لصدقه فيكون صبره بالله وهذا معنى الآية وهى مما خاطب به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولياء والصديقين وأكمل رسل الله أجمعين .

ووقف رجل على الشبلى رضى الله عنه : وسأله أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله قال السائل لا : قال الصبر لله ، قال السائل . لا قال الصبر مع الله قال السائل : لا . قال الشبلى : فأى صبر أشد قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت تزهق روحه مسلما بقول السائل وذلك لأن الصبر بالله والصبر فى الله كلها من مرضى الله إلا الصبر عن الله فماذا يكون بها إلا المروق من باب الله وهذا مستحيل أو من عين

الله وهو مستحيل أيضا ولا ثم إلا مفارقة مرضات الله وهذا أقصى الصبر وأشنعها ولذا صرخ الشبلي .

وقيل في قوله تعالى «اصبروا وصابروا ورابطوا» أنه انتقال وتدرج من الأدنى إلى الأعلى فالصبر باب لا يدوم إلا بالمصابرة فتكون المصابرة هي القاعدة وأما المراقبة فهي من الربط والشكر ولذا سمي المربط على الشغور مرابطا فتكون هي الحزم في الصبر وفي المصابرة أيضا .

وقيل اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله تعالى .

وقيل اصبروا على النعماء وصابروا في البأساء والضراء ورابطوا للأعداء ومن الأعداء أعداء ظاهرون وهم الأعداء في الله وأعداء مستبطنون وهم الهوى والنفس والشيطان .

ومن دأب الصابر الصادق إلا يظهر شكواه إلا إلى الله تعالى وقد رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فقال له يا هذا إنما تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد :

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم  
وإذا اشتكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

ولذا قال صاحب منازل السائرين رضى الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه وعقل اللسان من الشكوى وهو من أصعب المنازل على العامة وأوحشها في طريق المحبة وأنكرها في طريق التوحيد .

أما قوله إن الصبر من أصعب المنازل على العامة فذلك لأن عامة الناس

وأبهم الجزع لدى المحن حتى وأن علموا أنه لا يفيد شيئاً ويصعب عليهم احتمال الابتلاء وأن كانوا لا يعلمون أنه قد يكون حسن العاقبة .

وأما قوله وأوحشها أى أشدها وحشة في طريق المحبة لأن أهل المحبة لله يجدون أنساوالتذاذا في الصبر على مراده والجزع وحشة والوحشة تناقض الأنس وبالتالي فهي مناقضة للحب . وأما قوله وأنكرها في طريق التوحيد لأن الصابر يدعى الصبر بنفسه ومن نفسه حالة أن الصبر ما لم يكن بالله لا يكون صبرا صادقا والصابر الصادق يعلم أن لا حول ولا قوة له إلا بالله ولذا يكون ذلك منكرا في طريق التوحيد لأن التوحيد الخالص يكون في رد الأمور كلها إلى الله تعالى دون شريك فلو أن الصابر رأى صبره بنفسه يكون صبره مناقضا لتوحيده .

وأما من رأى صبره بالله تعالى أو في الله أو لله تعالى فهو مشاهد لوجود صبره بالله لا بنفسه .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهو على ثلاث درجات :

الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان وحذرا من الحرام وأحسن من ذلك الصبر عن المعصية حياء من الله ،

ويريد رضى الله عنه أن يقول : في الدرجة الأولى أنها الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد أى خوفا من الجزاء وذلك إبقاء على الإيمان وأيضا حذرا من الوقوع في الحرام .

ثم قال وأحسن من ذلك الصبر عن المعصية حياء و اراد بالصبر عن المعصية الخوف من وعيد الله المترتب على الوقوع فيها وخوفا على نقص الإيمان بها .

قال وأحسن من ذلك وأشرف الصبر حياء من الله عز وجل وذلك

من رتبة الإحسان فضلا عن صيانة الإيثار والخوف من الوقوع في المعاصي .

ولما كان الحياء من مقامات الصديقين كان أحسن حالا من الخوف والحذر .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجة الثانية الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواما وبرعايتها إخلاصا وتحسينها علما وذلك يكون بالمثابرة على الطاعة وبالإخلاص فيها وبايقاعها على مقتضيات العلم وهو معنى قوله وتحسينها علما .

ثم قال رضى الله عنه الدرجة الثالثة الصبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء وانتظار روح الفرج وتهوين البلية بعد أيادى المنن وذكر سوائف النعم .

ويريد الشيخ أن يقول مما يعين على الصبر ملاحظة عواقبه الجميلة وحسن الجزاء عليه وانتظار روح الفرج من الله مسبية ، وكذلك أن مما يهون البلية الفكرة فيما يسبقها من لواحق منن الله وسوائف نعمه .

وفي معاني الصبر كلها أنشد إبراهيم الخواص رضى الله عنه :

صبرت على بضر الأذى خوف كله	ودافعت عن نفسى لنفسى فغزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت	ولو لم أجرعها إذن لاشتمزت
إلا رب ذل ساق للنفس عزة	ويارب نفس بالتذل عزة
إذا ما مددت الكف أتمس الغنى	إلى غير من قال أسألوني فشلت
سأصبر جهدى أن فى الصبر عزة	وأرضى بدنياى وإن هى قلت

وبهذه الأبيات جعل الشيخ إبراهيم الخواص رضى الله عنه : الصبر مدرجة للرضى وباب له ولا بد أن يكون مقام الرضى من جزاء الصابرين .

وأنشدوا في ذلك :

يا من ألح عليه الهم والفكر      وغيرت حاله الأيام والغير  
أما سمعت بما قد قيل في مثل      عند الأياس فأين الله والقدر  
ثم للخطوب إذا أحداها طرقت      واصبر فقد فاز أقوام لها صبروا  
فكل ضيق له من بعده سعة      وكل فوت وشيكا بعد الغفرا  
وأنشدوا أيضا :

وإني لأدعو الله والأمر ضيق      على فما ينفك أن يتفرجا  
ورب فتى سدت عليه وجوهه      أصاب لها في دعوة الله مخرجا

\* \* \*

## باب الرضا

قال الله تعالى ( يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية ) .

قال الشيخ رضى الله عنه لم يدع في هذه الآية للمتسخط إليه سبيلا  
وشرط للقاصد الدخول في الرضا . والرضا اسم للوقوف الصادق حيث  
ما وقف العبد لا يلتبس متقدما ولا متأخرا ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل  
حالا وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص وأشقها على العامة وهو على  
ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : رضا العامة وهو الرضا بالله ربا وبسخط عبادة  
مادونه وهو قطب رضى الإسلام وهو مطهر من الشرك الأكبر وهو يصح  
بثلاث شرائط أن يكون الله تعالى أحب الأشياء إلى العبد وأولى الأشياء  
بالتعظيم وأحق الأشياء بالطاعة .

قال والدرجة الثانية : الرضا عن الله تعالى وبهذا الرضا نطق آيات التنزيل وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص ويصح بثلاث شرائط باستواء الحالات عند العبد وسقوط الخصومة مع الخلق وبالإخلاص في المسألة من الإلحاح .

والدرجة الثالثة الرضا برضا الله تعالى فلا يرى العبد لنفسه سخطا ولا رضاء فيبعثه أى ذلك على ترك التحكم وحسم الاختيار وإسقاط التميز ولو أدخل النار .

والرضا من جملة المقامات الكريمة بل هو أوسطها ودرة عقدها ، وحسبنا في هذا من ثناء الله على أهل الرضا أن قال ( رضى الله عنهم ورضوا عنه ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ( ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا ) فالرضا عن الله يدعو إلى محبته وخوفه ورجائه والإنابة إليه وذلك من أكمل الإيمان . وأما الرضا بالإسلام ديناً فحسب الإسلام أن يكون مشتقاً من السلم ومن السلام ومن المسالمة وأما الرضا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فيتضمن حسن الانقياد وكمالته إلى ما جاء به من عند الله فضلاً عن أن الرضا يتضمن الصبر والتسليم والتفويض جميعاً وأنه مقام الرضا ومن أعظم أسباب الرضا عند العبد أن يلتزم كل ما جعل الله مرضاة فيه من قول وعمل وفكر وإرادة واتجاه وغاية .

وسئل يحيى بن معاذ ( متى يبلغ العبد مقام الرضا ) فقال :

( إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه ) فيقول ربى إن أعطيتنى قبلت وإن منعتنى رضيت وإن تركتني عبدت وأن دعوتنى أجبت .

وقال أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه :

( الرضا سيكون القلب إلى سابق اختيار الله للعبد فيرى أنه ما اختار له إلا الأفضل الذي يوافقه فيرضى به ) . وثمرة الرضا السرور بقرب الرب سبحانه وتعالى .

ويقول الواسطي ( استعمل أنت الرضا ولا تدع الرضا يستعملك فتكون مجبوا بلذاته عن حقيقته ) .

وسأل الفضيل بن عياض بشرا الحافي ( الزهد أفضل أم الرضا ) فقال ( هذا شيء ظاهر — فالراضي لا يتمنى فوق منزلته ) .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه ( أما بعد فإن الخير كله في الرضى فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر ) .

وعند كلام الشيخ رضى الله عنه في باب الصبر وكونه آخره عن النوك والثقة والتسليم والتفويض مثلا ، وكان من حقه أن يقدم ولكن يظهر أن الشيخ رضى الله عنه جعل من مقام الصبر آخر معقل لهذه الصفات الكريمة وكأنه كان يقول كما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبي موسى الأشعري ( إن لم تستطع الرضا ففي الصبر خير كثير فاصبر ، لأن في الصبر خيرا كثيرا ، وكأن الشيخ رضى الله عنه جعل من مقام الصبر لمقام الرضا كحرس الحدود وموقفه الذي هو آخر ما يجب الدفاع عنه .

وأما قول الشيخ رضى الله عنه أن الرضا من مسالك الخصوص ومن أشقها على العامة فقد يكون فيه تأييدا لذلك أى لأن الصبر مقام وأن لم يكن في مقام الرضا فإنه بالأقل آخر معقل له .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رضا العامة وهو الرضا بالله ربا وبسخط عبادة مادونه وهو قطب رحى الإسلام وبما أن الدخول في الإسلام من شرطه

أن يرضى المسلم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا . فهذا شرط في الدرجة التي يصح بها كل مقام ، وهي الإسلام والإيمان وبدونها لا يصح لأحد مقام .

ولذلك اعتبره الشيخ من رضا العامة ولم يكن من رضا الخاصة أهل المقام نفسه ولذلك يعتبره أى رضا العامة بالدخول في الإسلام مطهراً من الشرك الأكبر والشرك الأصغر مفهوم لأهل الإسلام وأما الشرك الأصغر هنات قد يرتكبها المسلم تعتبر خروجاً عن شرائط الإسلام كالاستعانة بغير الله مثلاً وهو يعتقد أن من يعتمد عليه معين له ، على أن المعين الحق هو الله تعالى :

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : أن مقام الرضا يصح بثلاث شرائط أن يكون الله تعالى أحب الأشياء إلى العبد ، وأولى الأشياء بالتعظيم ، وأحق الأشياء بالطاعة وكلها أمور يأمر بها الإيمان الحاصل . على قلبه أو على كثرة بحسب معتقد الشخص المؤمن وهنا يريد الشيخ أن يكون من شرائط الرضا عن الله الرضى بالله تعالى وأن يكون أحب موجود إليه وأولى موجود بالتعظيم وأحقه بالطاعة .

فصاحب هذا المعتقد السليم يكون أول الدخول في معاني الرضا .

قال والدرجة الثانية : الرضا عن الله تعالى فاعلا مختاراً على حد قوله تعالى ( ما كان لهم الخيرة ) .

قال ( وبهذا الرضا نطق آيات التنزيل وهو الرضا في كل ما قضى وقدر وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص ) .

قال ويصح بثلاث شرائط : باستواء الحالات عند العبد ، ذلك لأن المشاهد لأفعال الحق أزلاً وحالاً تستوى عنده الحالات من غنى وفقر ونفع وضر لأنها كلها مرادة من الله له ومواجهة من الله إليه .

قال وبهذا الرضا نطق آيات التنزيل وذلك مثل قوله تعالى ( قل أغير



الله أبغى ربا وهو رب كل شيء) وفى قوله وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص وأن مسلك أهل الخصوص منحصر فى الخروج بالله عن النفس إلى مراد الله تعالى وبذلك يكون هذا المسلك من أوائل مسالك أهل الخصوص .

وأما قوله وأشققها على العامة فذلك لمشقة خروج العامة عن خطوطهم مهما ادعوا الرضا ولو ادعوا الرضا لرأوا أن الرضا منهم صادر منهم إلى مولاهم والحق أن الرضا سابق من الله إليهم .

وكثير من الناس يرضى بالله ربا ولكنه لا يرضى به وحده وليا ونصيرا والحق ألا يوالى السالك مع الله أحدا وإنما يوالى من والى الله مثله فيعينه على التوحيد من غير أن يتخذ من دون الله أولياء .

وقوله وهو قطب رضى الإسلام . ذلك لأنه لا يتم الإسلام والإيمان إلا به ومعنى ذلك بأن يكون الله وحده وهو المعظم المحبوب المطاع وهذه الدرجة من معاملات أهل القلوب وأهل الخصوصية الذى ارتفع بهم إسلامهم وإيمانهم لأن يسلكوا تلك المسالك العظيمة الباعثة على مقام الرضا والدالة على خروج العبد عن حظوظ نفسه وأوهامه ووقوفه مع مراد الله عز وجل .

والرضا بالله ربما يستلزم ضرورة الرضا عن الله فاعلا مختارا فيكون قد رضى الله عنه ورضى العبد عن ربه فيقال حينئذ ( يا أيها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية ) هذا ما يصف به الرب العبد فى طمأنينته برضاه عنه أى برضا العبد عن الله تعالى ( اطمأنت نفسه إليه ) .

وهذا الرضا وتلك الطمأنينة كان سابقا عليها رضا الله فى قوله ( رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ) ،

وللمفسرين رأى فى قوله تعالى للنفس المطمئنة : ( إرجعنى إلى ربك راضيه مرضية ) قال بعضهم عند الخروج من الدنيا وقال بعضهم بعد الموت والحساب وقال بعضهم يوم القيامة . إن الخطاب منصب على يوم القيامة وكل هذا ليس بمانع من أن يكون ذلك الرضا فى الدنيا وفى الآخرة وعند الموت وبعده وقبله لاسيما وأن القرآن إنما يخاطب الأحياء . وأهل طريق الله يؤمنون بذلك كله .

وتكون النتيجة أن الراضى عن الله تعالى تستوى عنده الحالات جميعها من النعم والمحن لفوائده فى رضاه بحسن اختيار الله له .

وبقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ( أصبحت ومالى شرور إلا فى موقع القدر ) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ( ما أبالى على أى أصبحت وأمسيت من شدة أورخاء ) .

وقال سفيان النورى يوما عند رابعة العدوية ( اللهم إرض عنا ) فقالت أما تستحى أن تسأله الرضا عنك وأنت غير راض عنه .

وقوله وسقوط الخصومة مع الخلق فهو أمر ظاهر لأن الراضى بأفعال الحق لا خصومه له مع الخلق فإنه دائما يعذرهم ويتسامح معهم وذلك لأن الأمور كلها بيد ربه وبهذا أيضا يخلص من المسألة للخلق فضلا عن الإلحاح فيها لأنه يسأل الرب دون الخلق فيسخر الله له الدنيا وأهلها وسكانها من الخلق وفى مثل هذا المقام يقول الشاعر الصوفى الذى حظى بمقام الرضا .

لا تسألن بنى آدم حاجة      وسل الذى أبوابه لا تحجب

فالله يغضب أن تركت سؤاله      وبني آدم حين يسأل يغضب

ولهذا قال الشيخ رضى الله عنه فى الدرجة الثالثة من الرضا ( الرضا

بما رضى الله تعالى فلا يرى العبد لنفسه سخطا ولا رضا فيبعثه أى ذلك  
على ترك التحكيم وحسم الاختيار واسقاط التمييز ولو أدخل النار . وذلك  
لفناؤه عن الكون بالكون وعن الخلق بالخالق وعن نفسه بمشئها فلا  
اختيار له مادام فى شهود حضرة الحق ، وعليه بأن أرحم الراحمين ولو  
أدخل النار .

وأنشدوا فى ذلك :

رضيت بما قسم الله لى      وفوضت أمرى إلى خالقى  
كما أحسن الله فيما مضى      كذلك يحسن فيما بقى  
وأنشدوا أيضا .

إن شئت أن تقضى بحياك طيبة      فاعط الرضا الذى رضى الله  
واختر إرادته فيما كرهت وما      أحببت فالخير فيما الله أولاه  
وأحسن ما قيل فى هذا المعنى ما أنشده الجيلانى رضى الله عنه

مرادى منك نسيان المراد      إذا رمت السبيل إلى الرشاد  
وأن تدع الوجود فلا تراه      وتصبح ما سكا حبل اعتمادى  
فهل رب سواى فترتجيه      غدا ينجيك من كرب شداد  
ووصف العجز عم الخلق طرا      فمفتقر بمفتقر ينادى  
أفى دارى وفى ملكى وملكى      توجه للسوى وجهه اعتمادى  
لقدق أعين الإيمان وأنظر      نرى الأكوان تؤدن بالنفاد  
فن عدم إلى عدم مصرر      وأنت إلى الفناء لا شك غادى  
فهاهى خلعى عليك فلا ترها      وحن وجه الرجاء عن العباد  
بيابى أوقف الأمال طرا      ولا تاتى الحضرتنا بزاد

ووصف فالزمه وكن ذليلا ترى منا المني طوع القياد  
وكن عبدا لنا والعبد يرضى بما تقضى الموالى من مراد  
أستر وصفك الأدنى بوصفى فتجزى ذاك جهلا بالضاد  
وهل شاركتنى فى الملك حتى غدوت منازعى والرشد بادی  
فإن رمت الوصول إلى جنابى فهذى النفس فأحذرهما وعادى  
ولا تستهذى يوما من سوانا فما أحد سوانا اليوم هادى

\* \* \*

## باب الشكر

قال الله عز وجل (وقليل من عبادى الشكور)

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الشكر اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ولهذا المعنى سمي الله تعالى الإسلام والإيمان فى القرآن شكرا ومعانى الشكر ثلاثة أشياء معرفة النعمة ثم قبول النعمة ثم الشاء بها وهو أيضا من سبيل العامة وهو ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الشكر على المحاب وهذا الشكر تشاركت فيه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس ومن سعة بر البارى أنه عده شكرا ووعد عليه الزيادة وأوجب فيه المثوبة .

والدرجة الثانية : الشكر فى المكاره وهذا ممن يستوى عنده الحالات إظهارا للرضى وممن يميز بين الأحوال ككظم الغيظ والشكوى ورعاية الأدب وسلوك مسلك العلم وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة .

الدرجة الثالثة : ألا يشهد العبد إلا بالمنعم فإذا شهد المنعم عبودة

استعظم منه النعمة فإذا شهد حياً استحلى منه الشدة فإذا شهد تفريدا لم يشهد منه نعمة ولا شدة .

أما قول الشيخ رضى الله عنه : الشكر اسم لمعرفة النعمة وأنها سبيل معرفة المنعم فهذا ظاهر واستشهد الشيخ على ذلك بقوله ولهذا المعنى سمي الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكراً وذلك في قوله تعالى ( يمنون عليك أن أسلبوا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ) فإقرارهم بمنة الله عليهم يعتبر شكراً لله على ما هداهم . لأن الإسلام والإيمان من أجل نعم الله على أهل القرآن والإسلام وقد عرفوا الله بهذه الرسالة بل قل بتلك النعمة ، فكانت النعمة : نعمة الإسلام والإيمان سبباً في معرفة المنعم .

ثم قال ومعاني الشكر ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ثم قبول النعمة ثم الثناء بها فبحصول النعمة يعرف المنعم ثم يحصل الثناء من المنعم عليه إلى المنعم .

والأصل في معنى كلمة الشكر لغة : الزيادة أو السمن ومنه قولهم ( شكرت الدابة ) سمنت والمعنى المقصود هنا ظهور نعمة الله على العبد ، فالثناء باللسان هو الحمد وإظهار نعمة الله بالعمل وبالحوارج وبالحال هو الشكر، والشكر أعم من الحمد والحمد تعبير عن الشكر فإذا تحدث العبد بنعم الله وأظهر بالعمل والحال فقد حمد الله وشكره ولذلك قال الله تعالى ( وقليل من عبادى الشكور ) .

وأما الحمد فالكل يحمدون المنعم ويشترك في ذلك المسلم وغير المسلم لأن النعم من الأمور المحموده ، ويكون الشكر وهو الأعم تحقيقاً لذلك بالفعل :

ولذا قال الشيخ أن معاني الشكر ثلاثة أشياء . معرفة النعمة لأنها ( م ٩ — التمكن )

سبيل إلى معرفة المنعم ثم قبولها ومعناه تقديرها ثم الثناء بها أى على المنعم  
ثم قال وهو أيضا من سبيل العامة أى داخل فيه العموم وإنما عبر الشيخ  
بقوله العامة يريد عامة الناس وبالأخص عامة المسلمين ولا يقع فى ظن  
القارىء أنه يريد بالعامة عوام الناس لأنه لم يخصص .

ثم قال وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : الشكر على المحاب وبهذا الشكر قد تشارك فيه جميع  
الناس من مسلمين وغير مسلمين لأن مجرد الميل إلى المحاب أى الأمور  
المحبوبة وتقديرها يعتبر ضربا من الشكر ، وهذا ما يشترك فيه جميع الناس  
ثم قال ومن سعة بر البارى : سعة فضله ورحمته وأنعامه أنه عده شكرا  
لأن التلذذ مثلا بطعم التفاحة فيه ضرب من الشكر لخالق التفاحة . ومن  
سعة فضل الله على الناس أن اعتبره شكرا ووعد عليه الزيادة وأوجب فيه  
المثوبة حتى لغير المسلم فإن قيل ثواب غير المسلم إنما يقع فى الدنيا بنعمها  
أو فى الآخرة فهذا شئ موكل أمره إلى الله تعالى :

ثم قال والدرجة الثانية : الشكر فى المكاره فإن كانت الدرجة التى  
تقدمت شكرا على المحاب فتلك الدرجة شكر على المكاره ، والمكاره  
غير المحاب ضرورة فهى درجة أعلى .

ووضح الشيخ رأيه بقوله وهذا مما يستوى عنده الحالات إظهارا  
للرضى ومما يميز تلك الحالات كظم الغيظ وكنم الشكوى مع إظهار الرضى  
ورعاية الأدب ، قال الشيخ وهذا سلوك مسلك العلم أى ما يأمر به العلم  
الشرعى الدينى والى العلم الباطنى العرفانى - ويكون من حازه أى شكر على  
النعمة والبلوى من أعظم الشاكرين . ولذلك كان فى رأى الشيخ أن هذا  
الشاكر أول من يدعى إلى الجنة .

ثم قال والدرجة الثالثة : ألا يشهد العبد إلا بالمنعم فإذا شهد المنعم

عبودة استعظم منه النعمة أى إذا شهد العبد أنه مجرد عبد للنعم ، إذ أن العبد الصادق لا يملك طلب الإلزام من سيده بل يترك له الأمر أنعم أو لم ينعم فهو راض بحكمه وفى ذلك كمال العبودية فإذا شهد حبا أى زاد العبد على عبوديته لسيده بأن كان يحبه استحلى منه الشدة فى رأى الشيخ وهو صادق لأن الشدة من المحبوب محبة ، وبهذا تكون برهانا على صدق الحب ، ثم قال الشيخ فإذا شهد تفريدا لم يشهد منه نعمة ولا شدة وهنا يتجرد العبد من كينونته فيفنى وجوده فى وجود سيده فيصير إلى مشاهدة التوحيد والتفريد فإذا شغلته تلك المشاهدة مرت عليه النعمة والشدة وهو مستغرق فى شهود مولاه عنها وهذا ذروة مقام الشكر .

وأنشدوا فى هذا المعنى قولهم :

يا منتهى الآمال أنت	كلفتنى وحفظتنى
وعدا الزمان على كى	يحتاجنى فمنعتنى
فانقاد لى متخشعا	لما رآك نصفتنى
وكسوتنى ثوب الغنى	ومن المطالب صنتنى
وإذا سئلت بدأتنى	وإذا سألت أجبتنى
وإذا شكرتك زدتنى	فمنحتنى وبرتنى
أو أن أجد بالمال فا	الأموال أنت أفدتنى

## باب الحياء

قال الله تعالى ( ألم يعلم بأن يرى )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الحياء من أول مدارج أهل الخصوص ويتولد من تعظيم منوط بود وهو على ثلاث درجات

الدرجة الأولى : حياء يتولد من علم التوحيد لنظر الحق فيجذبه إلى تحمل المجاهدة ويحمّله على استقباح الجناية ويسكته عن الشكوى .

الدرجة الثانية : حياء يتولد من النظر في علم القرب فيدعوه إلى ركوب المحبة ويربطه بروح الأنس ويكره إليه ملابسة الخلق .

الدرجة الثالثة : حياء يتولد من شهود الحضرة وهي التي لا يشويها هيبة ولا يقربها تفرقة ولا يوقف لها على غاية .

أما قول الشيخ رضى الله عنه : الحياء من أول مدارج أهل الخصوص لأن المستحى من الله حاضر معه فهو دلالة على القرب الذى يتولد من العظيم الذى يصحبه الأدب وهذا معنى قوله منوط بود والحياء لا يكون إلا فى حضور من يستحى منه والمستحى من الله بهذا المعنى يكون حاضرا معه وإذا كان الحياء أول شروط المودة فيكون هو نفسه أول درجات سلوك أهل الخصوص الذين يروا دائما أن الله حاضر معهم . وهذه المراقبة التي عبر عنها الشيخ بالتعظيم ووصفها بالحياء والحضور لاشك أن مثل هذه الحالة يتولد منها التعظيم المنوط بالود وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن معنى الود فأجاب :

( إنه مشاهدة النعم ورؤية التقصير ) .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه وتوحيد العبد إياه لأن العبد متى علم أن الرب ناظر إليه أورثه ذلك العلم الحياء منه ضرورة والرب لا يغيب عن عباده فى المعتقد ولكنه قد يغيب عن نظر القلب فى تلفته لسوى الحق فلو صحا القلب ونظر إلى الحقيقة لرأى أن الله معه حيثما كان والمعية قسمان : معية نظر وعلم وهي معية مطلقة ومعية قرب وشهود وهي معية خاصة بأهل مخافة الله مثل قول الله



الله تعالى ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) فهذه المعية تقتضى القرب ضرورة وبالتالي تقتضى الحفظ. والنصر .

وعن أبي موسى الأشعري قال : كننا مع النبي صل الله عليه وسلم في سفر وقد ارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال عليه الصلاة والسلام :

يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم أنكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً أن الذى تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته .

وكلما ازداد المرء لله حبا إزداد منه قربا . وهذا القرب موجب للأنس والتعظيم وإن كان مانعا للتكلف ولذلك يقول الشيخ فى الدرجة الثانية حبا يتولد منه النظر فى علم القرب ويربطه بروح الأنس ثم زاد على ذلك ويكره إليه ملابسه الخلق وذلك لأن القريب من الله المؤتلف بحبه وقربه يكره ملابسه الخلق ضرورة ويريد بالملازمة الدخول فى شؤونهم وهمومهم وأوهامهم تلك التى هى حجب عن الله فى الحقيقة فكيف يميل من أنس بقرب الحق إلى ملازمة الخلق فيما يحجبهم عن ربهم من شؤون .

ولما دخل الشيخ فى الدرجة الثالثة من درجات الحياء قال حياء يتولد من شهود الحضرة بالحالة التى لا يشوبها تهيب لأن الأفس والتهيب لا يجتمعان وهذا معنى قوله (لا يشوبها همية) ثم قال ولا يقاربها تفرقة وهذا أمر ظاهر ثم قال : ولا يوقف لما على غاية ، ذلك لأنه ليس لله غاية وكذلك محبته لا تنتهى إلى غاية إلا أن تكون الغاية هى الفناء فى حضرة الحق وحضرة الحق حضرة مطلقة .

وأنشدوا فى هذا المعنى :

يا من يشير إليهمو المتكلم وإليهمو يتوجه المتظم  
وعليهمو يحلو التأسف والأسف ويلذ لوعات الغرام المغرم

هذا الوجود وإن تعدد ظاهر      وحياتكم ما فيه إلا أنتم  
فشغلتموكملى بكم وجوارحى      وجواحى أبدا نحن اليكمو  
وإذا نظرت فلست أنظر غيركم      وإذا سمعت فمكمو أو عنكم  
وإذا نظقت فى صفات جمالكم      وإذا سألت الكائنات فعنكم  
وإذا سكرت فمن مدامة حبكم      وبذكرم فى سكرتى أترنم  
أنت حقيقة كل موجود بدا      ووجودهذى الكائنات توهم

## باب الصدق

قال الله تعالى ( فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم )  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه : ( الصدق اسم لحقيقة الشئ حصولا  
ووجودا ) وهو ثلاث درجات :

الدرجة الأولى . صدق القصد وبه يصح الدخول فى هذا الشأن ويتلافى  
به كل تفریط ويتدارك به كل فائت ويعمر به كل خراب وعلامة هـذا  
الصادق ألا يحتمل داعية إلى نقص عبد ولا يصبر على صجبة ضد ولا يقعد  
عن الجذب بحال .

والدرجة الثانية . ألا يتمنى الحياة إلا للحق ولا يشهر من نفسه الا اثر  
الانقصان ولا يلتفت إلى ترقية الرخص .

ثم قال والدرجة الثالثة . الصدق فى معرفة الصدق فان الصدق لا يستقيم  
فى علم أهل الخصوص إلا على حرف واحد وهو ان يتفق رضا الحق وعمل  
العبد فيكون راضيا مرضيا فأعماله إذن مرضية وأحواله صادقة وقصوده  
مستقيمة وان كان العبد قد كسى ثوبا معارا . فأحسن أعماله ذنب وأصدق  
أحواله زور وأصفى قصوده قعود .

أما قول الشيخ الصدق اسم لحقيقة الشيء حصولا ووجودا وذلك ليكون الصدق صدقا فإن لم يصاحبه الحصول أو الوجود فهو كذب أو تضليل أو تزييف وبهذا الاعتبار لا يكون صدقا والغرض من الصدق الدلالة على حقيقة الشيء أو وجود حقيقة الشيء في الإخبار عنه أو في التلبس به .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : صدق القصد أى صدق النية فإن النية أساس الأعمال وبغيرها لا يصح عمل ويدل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ) .

الصدق احتواء القلب على نفاذ القصد وبذا تكون النية روح الأعمال ثم قال الشيخ رضى الله عنه وبه أى بصدق القصد وتوجه النية يصح الدخول في هذا الشأن والشأن هنا شأن طريق الله والعزم على سلوكه . ثم قال ويتلافى به ( أى بالصدق ) التفريط فإن صدق العبد في عمله خرج ضرورة عن نطاق التفريط .

ثم قال يتدارك به كل فائت لأنه إذا اذهب التفريط تدارك المرء صلاح أمره ، وتلافى حصول التفريط بالاجتهاد فيما قصد إليه فإذا كان شأن النية كذلك لا تحمله داعية إلى نقص في نفسه أو في غيره فالصادق لا يلتفت لصدق الصادق لأنه مثله ولا لغير الصادق لأنه بعيد عن خلقه . فهو في الناحيتين من الصدق لا يحتمل النقص ولا يصير على صحبة الضد وطبعاً كما يقول الشيخ لا يقعد عن الجذب بحال .

ثم قال والدرجة الثانية : ألا يتمنى الحياة إلا للحق فإن السالك الجد لا يطلب الحياة إلا لطاعة الحق وحبه وشهوده وعند أهل طريق الله إن الحياة عبداً ذلك تكون أمراً باطلاً ولذلك يتورط أكثر أهلها في النقائص ولذا لا يشهد السالك من نفسه إلا من آثار النقائص المتخلفة فيها من بئسها وعاداته .

ثم إن السالك المجد كما يقول الشيخ لا يلتفت إلى ترقب الرخص لأنه والصدق شأنه لا يتطلب إلا العزائم والرخصة غالبا لا يلتفت إليها الصادقون ولو كانت الرخصة منصوصا عليها من كتاب أو من سنة لا يترقبها إلا الضعفاء .

ثم قال والدرجة الثالثة : الصدق في معرفة الصدق بمعنى أن يعرف الصادق حدود الصدق وحقائقه التي أشرنا إليها ، فإن لم يتحقق من حقيقة الصدق كيف نسميه صادقا ، ومن لا يعرف معنى النية كيف نتبين صحة نيته .

لذلك قال الشيخ رضى الله عنه إن الصدق لا يستقيم إلا بمعرفة الصدق ولا سيما في علم أهل الخصوص لأن أهل الخصوص لا يستقيم معهم الصدق بمعنى أن يكون صادقا خالصا إلا على حرف واحد أى إلا على أمر وشرط واحد .

قال وهو أن يتفق رضا الحق وعمل العبد فيكون العبد راضيا عن ربه ومرضيا عند ربه وإن كان السالك كذلك فأعماله إذن تكون مرضية وأحواله تصير صادقة وقصوده تصبح مستقيمة .

ثم قال وإن كان العبد قد « كسى ثوبا معارا » أى إذا كسى العبد نفسه من الصدق وتوجيه النية ثوبا معارا أى ليس صادقا حقيقيا وقال الشيخ فأحسن أعماله ذنب أى يكون ذنبا فاحشا وأصدق أحواله زورا أو رياء ويكون أصفى قصوده ، أى مقاصده ونواياه قعودا محققا عن السير فى الله وصحبة أهل الخصوص الذين جعل الشيخ الصدق شرطا للدخول فى شأنهم أى شأن الصادقين الذين جعلهم الشيخ من أهل الخصوص بجعله الصدق أول طريق أهل الخصوص .

وأنشدوا فى هذا المعنى الدقيق فقالوا :

كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الصادقة  
حتى تكون بعين من عنه العيون مغلفة  
تجرى عليك صروفه وهموم شرك مطرقة

ثم زدنا هذه الآيات ليتنا ليكمل المعنى فقلنا :

تسمى وتصبح عبده وتكون منه على ثقة

## باب الإيثار

قال الله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الإيثار تخصيص واختيار والأثرة تحسن طوعا وتصح كرها وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينيا ولا يقطع عليك طريقا ولا يفسد عليك وقتا ويستطاع هذا بثلاثة أشياء :  
بتعظيم الحقوق ومقت الشح والرغبة في مكارم الأخلاق .

ثم قال والدرجة الثانية إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت به المؤن وضعف عنه الطول والبدن ويستطاع بثلاثة أشياء  
بطلب العود ، وحسن الإسلام ، وقوة الصبر .

ثم قال والدرجة الثالثة : إيثار الله تعالى فإن الخوض في الإيثار دعوى في الملك ، ثم ترك شهور رؤيتك إيثار الله تعالى ثم غيبتك عن الترك .

الإيثار تخصيص واختيار ومعناه أن تخص غيرك بالإيثار عن نفسك فيما تملك من متاع .



ثم قال ويستطاع هذا بثلاثة أشياء : ويربد الإيثار بما لا يضر بثلاثة أشياء بتعظيم الحقوق أى حقوق الله ، وحقوق الخلق لأنها من حقوق الله ومقت الشح ، ولو لم يمقت العبد الشح لم يكن من أهل الإيثار وهذا مفهوم ضرورة .

ثم قال والرغبة فى مكارم الأخلاق . لأنه لا يسر بالإيثار إلا من أحب مكارم الأخلاق . والشح ليس من مكارم الأخلاق .  
ثم قال والدرجة الثانية : إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره .

ونعتقد أن هذا مفهوم وواضح فليس من الإيثار المحمود إيثار رضا الخلق على رضا الرب بل إيثار رضا الرب على رضا الخلق أولى . ولذا قال الشيخ وأن عظمت فيه المحن وثقلت به المؤن فإن من أثر رضا الله على رضا الخلق قد يصادف فى ذلك محنا قد تنقل عليه لأن الخلق فى غالب أمورهم يؤثرون الرضا من أنفسهم وأن تعارض ذلك مع إرضاء الله .

والمؤن هنا بمعنى المسئوليات وما يقتضى التحمل من تصرفات الخلق . وقوله وإن ضعف عنه الطول والطول بمعنى الطاقة فإن أمد الطول بالصبر والرضا انقلبت المحن إلى منن بأمر الله واتسع الطول واستراح البدن .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا الحق سبحانه وتعالى :  
( اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي إلى آخر الحديث ) .  
يفسر هذا المراد من قول الشيخ رضى الله عنه :

ثم قال ويستطاع بثلاثة أشياء : إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره بطلب العود ومعناه التعود لأن العادة ما يتعود عليه من فعل مرارا ثم قال وحسن الإسلام (ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) والمشغول بإرضاء الله لا يعنيه فى هذا السبيل إرضاء غيره من الخلق .

ثم قال وقوة الصبر : فبحسن الإسلام والعود للعود وقوه الصبر بأولئك يستعين الطالب لرضا الله على عدم رضا الخلق .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة . إشار الله تعالى على نفسه وعلى كل شيء . ثم قال فان الخوض في الآثار دعوى في الملك وإذن فمن واجب السالك لسبيل الحق ألا يرى نفسه من أهل الآثار لأن الإنسان لا يؤثر غيره على نفسه إلا بما يملك والله على التحقيق ملك السموات والأرض فهو وما يملك ملك لله تعالى فلا يخوض في دعوى الآثار أى يدعيه فيترك شهود أنه أثر الله تعالى فعلى العبد أن ينسى هذا الآثار وينسى ما أثر به لأنه لا يملك مع الله شيئاً على التحقيق فيؤثر به .

وأنشدوا في هذا الباب قولهم :

شفيت قلبي بمالكك فلا	ينفك طول الحياة عن فكر
آنستني منك بالوداد وقد	أوحشتني من جميع ذا البشر
ذكرك لى مؤنس يعارضنى	ويعدننى منك بالظفر
وحيثما كنت يامدى همى	فأنت منى بموضع النظر

### باب الخلق

قال الله تعالى ( وإنك لعلى خلق عظيم )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الخلق ما يرجع إليه المالك من نعمته واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد هو بذل المعروف وكف الأذى وإنما يدرك إمكان ذلك في ثلاثة أشياء : في العلم والجود والصبر وهو ثلاث درجات :



ثم قال الدرجة الأولى : أن يعرف مقام الخلق أنهم بأقدارهم مربوطون وفي طاعتهم محبوسون وعلى الحكيم موقوفون وتستفاد هذه المعرفة بثلاثة أشياء : أمن الخلق منك حتى السكب ومحبة الخلق إياك ونجاة الخلق بك .

والدرجة الثانية : تحسين ظنك مع الحق وتحسينه منك أن تعلم أن كل ما يأنى منك يوجب عذرا وأن كل ما يتأتى من الحق يوجب شكراً وألا ترى له من الوفاء بدا .

ثم قال الدرجة الثالثة التخلق بتصفية الخلق ثم الصعود عن تفرق التخلق ثم التخلق بمجازة التخلق .

أما قوله رضى الله عنه ، الخلق ما يرجع إليه المكلف من نعته أى ما يرجع إليه المكلف إن كان من ذوى الأخلاق من صفاته المكتسبة بهذا التخلق وهو معنى قوله من ( نعته ) ثم قال واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أى علم التصوف على أن التصوف هو الخلق أى التخلق بسائر الخلال الكريمة . ومن زاد عنك بالخلق زاد عنك فى التصوف .

ثم قال وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد وذلك القطب هو جماع الأخلاق أى الدرة الكريمة فى عقد التخلق ألا وهى ( بذل المعروف وكف الأذى ) فبذل المعروف يشمل نصف علم الأخلاق وإن شئت بعض الأمثال فقل . مثل الحلم والجود ، وكرم النفس ، وإسعاف الملهوف وهكذا وكف الأذى يحوى النصف الثانى من مكارم الأخلاق وضروب كف كثيرة ومعلومة فلا تحتاج إلى ضرب الأمثال .

ثم قال الشيخ وإنما يدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشياء . فى العلم والجود والصبر . أما العلم فإن خير ما فيه عرفان ما ينفع وعرفان ما يضر فبالعلم تنضح جميع أوجه الخير وأوجه الشر . والجود فمن لا يكون الجود من سجيته لا يقوى على التخلص ببذل المعروف .

ثم قال واصبر وحسبك أن الصبر نصف الإيمان كما في الحديث لأن الصبر يقيم العبد على الطاعة ويقوم طريقه إلى الله تعالى ويحسن تعامله مع الخلق .

ثم قال والدرجة الأولى : أن يعرف مقام الخلق منهم بأقذارهم مربوطون أى بأقذارهم المقدرة لهم من الله بها موثوقون هذا ناحية ومن الناحية الثانية هم في طاقاتهم محسوسون أى داخل طاقاتهم المحدودة وعلى حكم الله فيهم لا يستقدمون ولا يستأخرون .

ثم قال وتستفاد هذه المعرفة بثلاثة أشياء أولها أمن الخلق منك حتى الكلب ويعنى بهذا جميع المخلوقات من إنسان وحيوان .

ثم قال ومحبة الخلق إياك وفي هذه المحبة محبة الخلق لك دليل على حسن الخلق لاسيما وأن الكلام في الخلق .

ثم قال ونجاة الخلق بك ويريد أنك مادمت عالما تفرق بين الخير والشر والحق والباطل وأنت ذو خلق كريم يحوى بذل المعروف وكف الأذى كل هذا يوجب عليك العمل على نجاة الخلق بك .

ثم قال والدرجة الثانية : تحسين ظنك مع الحق أى حسن ظنك بالله في كل ما تحاول وتزاول وقد بين المعنى الذى يريده بقوله وتحسينه منك أن تعلم أن كل ما يأتى منك يوجب عنذرا لوجود نفسك وشيطانك وهواك فاجتهد حتى تتخلص من ذلك وأن كل ما يأتى من الحق يوجب شكرا لأنه لا يأتى منه إليك إلا الهداية والنعمة والعفو والمغفرة مما يجعلك لا ترى له من الوفاء بدا أى الوفاء بشكر الله فان عرفت شكر الشكر تكون قد عرفت معنى اسمه الشكور من ناحية ومن الناحية الأخرى تكون قد شكرت الله بحقيقة الشكر وقد قال نبي الله داود مخاطبا ربه ( يارب إني لا أدري كيف أشكرك . قال الآن قد شكرتني ) وهذا معنى وفاء الشكر الذى لا تجد منه بدا على رأى الشيخ .

ثم قال والدرجة الثالثة التخلق بتصفية الخلق أى من الشوائب ومما يظهر لك أنه من مكارم الأخلاق وهو ليس كذلك لما فيه من هوى النفس أو حصول الفخر - أو استجلاب الشكر من الناس .

ثم قال والصعود عن تفرق التخلق أى الاستعلاء على هذه العوامل كلها تصفية وتحسينا لأخلاقك ، وفوق هذا وذلك قال ثم التخلق بمجاوزة التخلق أى أن تتخلق بأن لا ترى أنك متخلق منعاً لرؤية النفس أو موجبات الفخر والنظام بحسن الخلق .

وأنشدوا فى هذا المعانى قولهم :

إن المكارم أخلاق مطهرة      وعصمة الذى فى النفس يحويها  
فالجود أولها والصدق ثانيها      والصبر ثالثها والعزم تاليها  
والعفو خامسها والحزم سادسها      والنفس تعلم أنى لا أصدقها  
ولست أرشد إلا حين أعصها

## باب التواضع

قال الله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه التواضع أن يتواضع العبد لصولة الحق .  
ومعناه أن يكون العبد عبدا صادقا تحت صولة سيده ومالك أمره وهو الحق سبحانه وتعالى :

وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : التواضع للدين وهو ألا يعارض بمعقول منقول ولا  
ولا يقيم على الدين دليلا ولا يرى إلى الخلاف سبيلا ولا يصح له ذلك  
إلا بأن يعلم أن النجاة فى النصرة والاستقامة بعد الثقة وأن البيئة  
وراء الحجة .

الدرجة الثانية : أن يرضى بن رضى الحق به لنفسه عبداً من المسلمين  
أخا ولا ترد على عدوك حقاً ولا تقبل من المعتذر معاذيره .

ثم قال الدرجة الثالثة : أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك في الخدمة  
ورؤية حقلك في الصحبة وعن رسمك في المشاهدة .

التواضع ضد التعالى والكبرياء وهو الخضوع لصولة الحق بأن يتلقى  
الحق بالخضوع له والانقياد بحيث أن الحق يعلو عليه ولا يعلو هو على الحق  
وبهذا يحصل خلق التواضع ضد العبد ولما كان للحق صولة وسلطان فإن  
النفوس المتكبرة تريد التعالى على هذا السلطان بصولة الكبرياء التى تحتوى  
عليها نفوسهم فتريد أن تحل صولة الكبرياء ويأطل الكبرياء محل صولة  
الحق والتواضع لا يتم إلا بخضوع العبد للحق وانقياده له ويكون من علامات  
التواضع رضوخ العبد وانقياده لصولة الحق .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى التواضع للدين وهو ألا يعارض بمعقوله منقولاً ولا يهتم  
للدين دليلاً ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً .

والتواضع للدين هو الانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من  
عند الله والإذعان والاستسلام له ثم قال ويتم ذلك بثلاثة أشياء . الأول :  
ألا يعارض شيئاً مما جاء به بشيء من المعقول أو القياس أو السياسة، والصفة  
الأولى ظهرت فى جماعة المتكلمين كالمعتزلة والشيعة وغيرهم من حيث إنهم  
قد عارضوا الرضى بآرائهم الشخصية أو بما ينقلوه عن غيرهم من المناطق  
أو الفلاسفة وقد ظهر ذلك التعارض نفسه فى بعض المنتسبين المذاهب  
الفقهية حيث يعارضون مذهب غيرهم لمجرد التحيز لمذهبهم وكذلك المعارضين  
للحق الشرعى من أهل المصالح السياسية فإذا تعارضت سياستهم مع الشريعة  
لم يلتفتوا إلى الشريعة تأييداً لسياستهم .

أما قوله ولا يهتم للدين دليلا بظنه فيتعارض ظنه مع الوحي وقد يكون ذلك من نقص الفهم فمن حدث له ذلك فليتهم فهمه هو بعدم وصوله إلى حكمة الشارع .

الواقع أنه ما اتهم امرؤ دليلا من أدلة الدين إلا لتعصبه أو نقص فهمه أو فساد ذهنه .

وقد قال الشافعي رضى الله عنه ( وقد أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل له أن يدعها لقول أحد من الناس بعد ذلك ) .

قال ولا يصح المعتقد السليم إلا بأن يعلم أن النجاة في البصيرة والاستقامة بعد الثقة وأن البينة وراء الحجة .

والبصيرة نور يجعله الله في القلب فيفرق به العبد بين الحق والباطل ونسبة هذا النور إلى القلب كنسبة ضوء العين إلى العين .

قال والثاني أى يعلم أن الاستقامة إنما تكون بعد الثقة ومعنى ذلك ألا يكون حصول الاستقامة في القول والعمل والحال إلا بعد الثقة بصحة مامعه من الحق وأن الشرع مقتبس من مشكاة نور النبوة ومن تعدى ذلك فلا تصح له استقامة لأنه يكون قد أضاع الأساس ،

أما قوله والثالث أن يعلم أن البينة وراء الحجة فمعناه أن استبانة الحق ووضوحه إنما يكون بعد الحجة ، والحجة تكون قد قامت على المسلم بعد إسلامه وإيمانه .

ثم قال والدرجة الثانية : أن رضى بمن رضى به الحق لنفسه عبدا من المسلمين أخا لقوله تعالى ( إنما المؤمنون أخوة ) وأما قوله ألا ترد على عدوك حقا أى لا تمنعك عداوة من عاديت من أن تقبل منه الحق إذا ظهر

عنده ومعناه ألا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب  
وممن تسكره .

وأما قوله وقبولك من المتعذر معاذيره أى فمن اعتذر إليك من باطله  
رجوعاً إلى الحق فاقبل منه عذره وكذلك من أساء إليه واعتذر من إساءته  
فإن التواضع يوجب عليك هذه وتلك .

ثم قال والدرجة الثالثة : أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك في عوائدك  
وعن رؤية ما تظن أنت أنه حق ظناً .

وأما قوله وعن رسمك في المشاهدة ومعنى الرسم هنا كل ماسوى الله  
من شيء أى أن تتضع عن رسمك في المشاهدة إذا بدت لك أنور الحق  
سبحانه وتعالى وتنفذ ما أمرك به وعلى مقتضى أمره وليس على مقتضى  
حالك أو ما تراه من رأيك فلا يكون باعثك على العبودية لله مجرد رأى  
أو هوى أو عادة وكذلك لا ترى لك حقاً على الله لأجل عملك فإن هذا  
مفسد لعبوديتك بل يجب أن تسير مع الله بمحض الإنكسار لحضرتة  
والخضوع لأمره عالماً أن كل حسنة تبدو منك فهي من بره ورحمته  
وإحسانه وهذا معنى قوله وتنزل عن رسمك في المشاهدة لأن الهداية منه  
إليك نازلة وليست منك إليه صاعدة وتكون النتيجة : أن التواضع للحق  
فناؤك عن نفسك وشهود فضله عليك .

وأنشدوا في معنى التواضع :

قف بالخضوع وفاد ربك ياهو	إن الكريم يجيب من ناداه
واطلب بطاعتك رضاه فلم يزل	بالجود يرضى طالبين رضاه
شملت لطائفه الخلائق كلها	ما للخلائق كاول إلا هو
فعزيزها وذليلها وغنيها	وفقيرها لا يرتجون سواه

ملك تدين له الملوك وترجى يوم القيامة فقرهم بغناه  
سبحان من عنيت الوجوه لوجهه وله سجدنا أظلة وجباه  
وإليه إذا رنت العقول فأمنت بالغيب تؤثر حبها إياه  
طوعا وكرها خاضعين لعزه وله عليها الطوع والإكراه

## باب الفتوة

قال الله تعالى (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الفتوة ألا تشهد لك فضلا ولا ترى لك  
حقا وهي على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى . ترك الخصومة والتغافل عن الذلة ونسيان الأذية  
والدرجة الثانية : أن تقرب من يعصيك وتكرم من يؤذيك وتعتذر إلى  
من يحنى عليك سماحا لا كظما وتوادا لا مصابرة .

ثم قال والدرجة الثالثة : أن لا تتعلق في السير بدليل ولا تشوب  
إجابتك بغرض ولا تقف في شهودك على رسم . واعلم أن من أحوج عدوه  
إلى شفاعته ولا ينجل من المعذرة إليه لم يشتم رائحة الفتوة ثم في علم أهل  
الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم تحل له دعوى  
الفتوة ابداً .

والفتوة هي التقى . والتقى هو التكرم على الإخوان بالإيثار وعلى الفضائل  
بالكتمان وألا ترى لك حقاً على الناس وثبت حقهم عليك ومن شأن أهل  
الفتوة كتمان السكال وإظهار النقص لينمو كمالهم في بواطنهم وكنا ضربنا  
لأهل الفتوة مثلاً بغير هذا الموضوع ( في كتاب جمهرة الأولياء ) ببائع

الورد الذى يظهر ما ذبل منه إلى الناس وما حسن بيطانه إلى حبيبه وبهذا المثل يظهر لك كيف يستر أهل الفتوة فضائلهم ويبدون للناس نقائصهم حفظاً على نمو تلك الفضائل (وجعلها محبوبهم) .

وهذه لمعة من تعريف أهل الفتوة من سالكى طريق التصوف وقد أطلق على جماعتهم لاسم الملامتية أو أهل الملامة للومهم دائماً لأنفسهم وكان منهم الصائم الذى دخل بلداً قبل الإفطار فانكب عليه الناس يعظّمونه ويقبلون يديه وكتفيه وكان هو يريد الخلوة مع الله فى آخر اليوم منهزماً فرصة صفاء النفس بالصوم فطلب من الله أن يخرجّه من هذا المأزق أى من تكريم الناس له واشتغالهم به واشتغاله بهم وهو يريد الخلوة مع الله . فطلب من الله أن يغير هذا الحال إذا شاء فألهمه الله أن يمد يده فى حبيبه فمدها فوجد ثمرة واحدة فأكلها وقلنا ( إن الوقت كان رمضان ) ولكن لا ندرى الرخصة الشرعية للصائم إذا سافر بالفطر لاسيما وأن أكثر الصوفية يكون أغلب وقتهم صوماً فلما أكل صاحبنا الثمرة انقضض عنه الناس وقالوا لقد أفطر الشيخ . ثم انصرفوا عنه وهو يقول فى نفسه أشكرك يارب على انصرفهم والحظوة بنورك .

ومن أهل الفتوة أيضاً لص الحمام، ولص الحمام هذا رجل كان قد شكّا لشيخه إقبال الناس عليه لأنهم يشغلونه عن الله فقال له الشيخ إذهب إلى الحمام وافعل ما يلهمك الله به هناك فذهب إلى الحمام وخلع ثيابه واستحم ثم عاد ليلبس ثيابه لكن لم يلهمه الله بعد بشيء فتلقت حوله فوجد ثياباً لشخص آخر ظاهرة البذخ والترف فى خامتها وفى ألوانها فألهمه الله أن يلبسها فوق ثيابه وكان صاحبها فى تلك اللحظة قد فرغ من استحمامه وعاد للبس ثيابه هو الآخر فبحث عن الثياب فلم يجدها فى وضعها ثم أجال بصره فى المكان باحثاً عنها فرآها على صاحبنا الصر فى الملامتى الذى لبسها فوق ثيابه ولم يتحرك .



فقال له صاحب الثياب تعال يا لص يا من سرقت ثيابي فأفادت به إلى باب الحمام وذهب الرجل وراه صائحا يقول تعال يا لص الحمام فسمعه الأطفال الذين هم في الشارع فصاروا يقولون (لص الحمام أهه) وكان صاحبنا الصوفي بنفسه يحدوهم قولوا لص الحمام أهه ثم خلع الثياب وتركها لصاحبها واعتذر إليه فأخذ الرجل ثيابه بعد أن تأسف الصوفي له ثم ذهب الصوفي إلى شيخه فرحاً مسروراً وهو يقول له لقد كسرت صولة النفس يا شيخى قال الشيخ نعم : وأنعم بك وأكرم . كواحد من أهل الفتوة يبطن لله أحسن ما عنده ويظهر للناس أردأ ما عنده ) .

وقد أوردنا هاتين الحكایتين أولاً لأن الباب الذى نحن بصدده باب الفتوة وثانياً لأنه مسبق بباب التواضع والحكایتان تؤيدان معنى التواضع ومعنى الفتوة فى وقت واحد وإذن فلنرجع إلى شرح كلام الشيخ صاحب منازل السائرین رضى الله عنه حيث قال وهى أى الفتوة على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى ترك الخصومة والتغافل عن الذلة ونسيان الأسمية وقد جعل الشيخ رضى الله عنه أولى خصائص الفتوة ترك الخصومة لأن من شأن الفتى الترقى بفتوته عن الخصومات وكذلك التغافل عن الذلات ولما كان الأذى أذى الخلق من دناءة النفس كان من دلائل الفتوة ترك الأذية .

ثم قال الدرجة الثانية : أن تقرب من يعصيك وتكرم من يؤذيك ومعناه أن تقرب من يعصيك ليطيعك بحسن أوبك وجهيل كرمك وأيضاً أن تكرم من يؤذيك بحلمك فتدفعه إلى رؤية نفسه فى فعله السيئ فيترفع عن الأذى متأثراً بأدبك . ناظراً فى حلمك وفى سوء عمله . وتعتذر لى من يحنى عليك سماحة لا كظماً وتوادداً لا مصابرة ، وهنا قد يستغرب كيف يتعذر الإنسان إلى من يحنى عليه . يعتذر له فى نفسه بالمقدور عليه من الله ولا ينسى

قول الشيخ في باب سبق (الناس بأقدارهم موثوقون) فالواحد من أهل الفتوة يكون من طبعه إعتذار الناس بالقدر وليس بمعنى الإعتذار الحقيقي إلى من جنى عليك .

وكان علي زين العابدين رضى الله عنه ( تصب عليه في وضوئه جارية فسقط. منها الإبريق فأحدث به جرحا فقالت الجارية حين رأت ذلك له والكاظمين الغيظ فقال رضى الله عنه وقد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال وقد عفوت عنك فأنت حرة لوجه الله تعالى ) . وهذه النكتة الظريفة من المكارم التي قد تظهر معنى الإعتذار لمن يجنى عليك وهي من أعلى ضروب الفتوة أى الاعتذار له بتقدير الله ويكون ذلك كرما لا كظما أى للغيظ وتوادا بفعل مكارم الأخلاق لا مصابرة من الصبر والمصابرة هي استمرار الصبر وتجديده على مضض من النفس .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجة الثالثة : ألا تتعلق في السير بدليل أى لا تحتاج في السير إلى الله إلى برهان أو دليل عقلى أو ظنى ولا تشوب إجابتك إلى الله بغرض أى بحاجة نفسية لك كزيادة الإنعام أو شهوة الوصول وألا يترتب شهودك للحقيقة إذا شاهدت على رسم أى لا تجعل في شهودك الحقيقة الحقائق وهي الألوهية وتأثيرها في الخلق إبداعا وفعلا لا تجعل شهودك هذا يتوقف على رسم أو سبب . والرسم ظلال الحقائق ، فالرسم لا يغنى عن الحقيقة .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعته ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشتم رائحة الفتوة وهذا من الشيخ تعقيب على ما سبق من باب الفتوة وقد سبق شرح ذلك، ومعناه أن الفتوة مجموعة مكارم وترفع عن الزلات بالأعذار جميعا .

ثم قال الشيخ وعلى الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم تحل له دعوى الفتوة أبدا وهذا أيضا تعقيب على قوله لا تشوب إجابتك بغرض ولا تقف في شهودك على رسم لأن من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال بالفعل أو بالظن . لا تجوز له دعوى الفتوة أبدا لا سيما وأن الفتوة أساسها اليقين في عمله أو عينه أو حقه واليقين يبدأ بالعلم فيسمى علم اليقين أى أن يكون في عالم اليقين فإذا باشر اليقين قلبه صار في عين اليقين فإذا شاهد الحقيقة بميقينه الخالص صار في رتبة حق اليقين .

وأنشدوا في هذا المعنى من شعر ضياء الدين على بن محمد الغرناطى  
السكندرى :

هى المنازل فانزل بمنته العلم	ودع سؤالك عن سلمى وذى سلم
وإن انخت بوادى السرحتين فغيب	عن الخيام تشاهد صاحب الخيم
مى بادلك فى المصنوع صانعه	فقد تجلت لك الأنوار فى الظلم
وان اشافك ريح بالعذيب فقل	ثكلت قلبى إن أرى حقا لغيرهم
فكل من صقلت مرآة باطنة	أرته شمس الهدى من مطالع الحكم
فغابت عن رؤية الأكوان واتصلت	أوصافه بصفات الواله الفهم
فذاك الذى سرحت فى العز همته	وأن يأتى فى الأغيار فى حرم
سما عن الوجد لما لاح موجد	فالذات منبته والابن فى عدم
قد نال منها خليل الله مرتبة	نجته من لفحات النار حين رمى
إذ قال جبريل فى أفق الهواء له	لعل حاجة لك والنيران فى ضم
فقال من وقته أما إليك فلا	فقال سل ، قال حسبي عليه ألى

## باب الانبساط

قال الله تعالى ( حاكيا عن موسى ) ( أقهلسكنا بما فعل السفهاء منا ان  
هى إلا فتفتك تضل بها من تشاء وتهدى بها من تشاء ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الانبساط إرسال السجية والتعاشى عن  
وحده الحشمة وهو السير مع الجلبة وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الانبساط مع الخلق وهو ألا تعتز لهم ضنا على نفسك  
أو شحا على حظك وتسترسل لهم من فضلك وتسعهم بخاقلك وتدعم بطئونك  
والعلم قائم وشهودك للعنى دائم .

الدرجة الثانية: الانبساط مع الحق وهو ألا يحبسك خوف ولا يحجبك  
رجاء ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء ثم قال الدرجة الثالثة الانبساط  
فى الانطواء عن الانبساط وهو رحب الهمة لإنطواء انبساط العبد فى  
بسط الحق عز وجل .

والبسط. حال من أحوال السالكين ويفسر بسلامة القلب وهو الاسترسال  
مع سجية الفطرة وأما التعاشى من وحشة الحشمة فمعناه التكلف لأن  
التعاشى تكليف السجية وحكمها بأمر زائد عليها .

وقالوا إن السجية معناها الطبع لغة ولكن المعنى عند الصوفية أعمق  
من هذا بكثير لأنهم يردون الطبع إلى النفس بالتطبيع ، ويفسرون السجية  
بالسليقة أو بالفطرة الأصلية التى جعل عليها القلب السليم لا سيما إذا دخل  
فى حال الانبساط ويكون إرسال السجية معناه تركها تجرى فى مجراها  
وهو مجرى الفطرة الذى فطرت عليه .

ويفسر هذا المعنى بوضوح قول الله تعالى ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا  
من أتى الله بقلب سليم ) .

ثم قال وهو على ثلاث درجات : أى البسط أو الانبساط البعيد عن الوحشة والاحتشام والتكلف فإن من بسطه الحق فقدم إليه بساطا من رحته يرتقى به إلى هذا الحال فتنبسط إلى مولاك مع الإجلال وليس مع الوحشة ومع الحشمة وهذا نفسه ما يوجب الانبساط مع الخلق وعدم اعتزالهم ضنا على نفسك أى ضنا بنفسك عن تفهم وليس هذا فقط. بل وتسترسل لهم فى فضلك أى يسعهم فضلك وأنت مسترسل فى توسيعه وذلك بما مر فى المتن مما ذكره الشيخ فى أبواب التواضع والخلق والفتوة وما إلى ذلك فوجب أن يأخذ البسط. خطة من تلك النعوت .

وأما قوله وتدعهم يطئونك لا يريد المباشرة وإنما يريد المجاز ومعناه أن تدعهم يطئون بساطك هذا المتسع الذى بسطه الله لك وأوجب عليك به الانبساط إليهم بالفضل والمنفعة والمعرفة ، وما كان من حق الشيخ أن يلجأ هنا إلى الكناية والاستعارة ليصعب درك المعنى على القارئ فينصب الوطاء على الإنسان نفسه بمثل تلك الطريقة وهذا ليس من غرضه طبعاً .

واعلم أن الله ما بسطك بحال البسط إلا لتفرغ نفحات هذا البسط على عباده وما وهبك الفضل إلا لتسعهم به فتكون قد أظهرت من خصائص الله ومكارمه أنوارها على عباده فلا يحملك الشح بذلك طلب حظك من الله بالخلو وقد نذبتك إلى أن تشاركهم فيما أنت فيه من بسط وفضل فتسكرم عليهم بحظك من عزلتك إيثارا منك لتفهمهم . وبهذا يتضح قول الشيخ وتسترسل لهم فى فضلك وتسعهم بخلقك أى — باحتمال ما يبدو منهم من مغارة ، وبهذا وذلك تكون قد أفسحت لهم فى بسطك فيطئون به بفضل الله لا بفضلك .

الدرجة الثانية : الانبساط مع الحق وهو ألا يحبسك فيه خوف ولا يحجبك رجاء ( أى عنه ) ولا يحول بينك وبينه آدم ولا حواء .

والشيخ يريد أن يقول ويجب أن يكون انبساطك مع الحق بطريقة لا يحبسك فيها خوف ذلك لأن الخوف والقبض أيضا من الأمور المباشرة للانبساط .

وأما قوله ولا يحجبك رجاء أى لا يشغلك الرجاء فى حاله أعلى من البسط إذ البسط وهو السرور والانبساط فالرجاء فى هذه الحالة يخرج صاحب حال البسط من الانبساط .

وأما قوله لا يحول بينك وبينه آدم ولا حواء فهو استعارة يريد بها مطلق الجنسين من بنى آدم ومعناه ألا يحول بينك وبين الله تعالى فيما أمدك به من حال قرابة ولا رحم فلا توسط للخلق بينك وبين الحق .

ثم قال والدرجة الثالثة : الانطواء عن الانبساط أى الانطواء عن أن ترى البسط وسعة الفضل من نفسك للناس لأن الله هو الباسط وأنت المنبسط بما أنك لست صاحب هذا الفضل العظيم أو إنه منسوب إلى نفسك فتنتطوى فى نفسك عن أن ترى الانبساط منك إليهم بل إنه لك ولهم من الحق عز وجل وبهذا تتمكن من حال الانبساط فيثبت ظل هذا الحال عليك وعلى الناس من الله فضلا ونعمة . والحال ما سمي حالا ألا لكونه قد يحول أو قد يثبت ليحول بحال أرفع منه وهكذا، فمثلا نرى حال البسط يسلم لحال الأانس ولحال الأانس وشيعة قوية بحال الحب والحب داع إلى حال الفناء وفناء الثانى فى الباقى هو غاية الوصول . والبقاء معا ، وكلامنا هنا ينصب على السالكين أو الراسخين من جهة المقامات والأحوال وليس على المبتدئين من المريدين والتائبين ونرى القلم قد شطط هنا إلى مقامات وأحوال سيتكلم فيها الشيخ وسنشرحها بإذن الله تعالى .

وأنشدوا في معاني البسط والانبساط من قول ابن بنث الميليقي المغربي  
حيث يقول :

من ذاك طعم شراب القوم يدرية	ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعوض أرواحنا وجاد بها	في كل طرفة عين لا يساويه
فقطرة منه تكفي الخلق لو طعموا	فيشطجون على الأكوان بالتيه
وذو الصبابة لو يسقي عدد الأ	نفاس والأكوان كأس ليس يرويه
يروي ويظماً لا ينفك شاربه	يصحو ويسكر والمحبوب يسقيه
في ريه ظماً والصحو يسكره	والوجد يظهره طوراً ويخفيه
يبدو له السر من أفق وجهته	وليس الإله ما كان يبيديه
له الشهادة غيب والغيوب له	شهادة والفناء المحض يبقيه
له لدى الجمع فرق يستضيء به	كالجمع في فرقه ما زال يبقيه
يدنو ويعلو ويرنو وهم مصطلم	في الحالتين بتميز وتولييه
له الوجودات أضحت طوع قدرته	وما شاء من الأوطار يقضيه
للقوم سر مع المحبوب ليس له	حد وليس سوى المحبوب يحصيه
به تصرفهم في السكائنات فما	شاء شاءوا وما شاءوا يقضيه
أن كنت تعجب من هذا فلا عجب	لله في الكون أسرار ترى فيه
لا شيء في الكون إلا هو وذو أثر	فما المؤثر غير الله قاضيه
ليس التضاد مناعاً لقدرته	من حيث قدرته يأتي تعاليه
والفقير وجوه ليس يحصرها	عد وكل وجود فهو واديه
لو كنت تدري وجود العبد كنت ترى	فيه الكمال كما النقصان ينفيه

والعبد هذا هو الحر الذي حصلت له الخلافة جل الله معطيته  
أوصافه ظهور من وصف مبدعه وكل مظهر يبدى تجليته  
إذا روى ذكر المولى برؤيته وفاز بالسعد والتقريب رائيه  
عبد عليه سمات العز لائحة وخلفه العز والتحكيم عاليه  
إن كنت تقصد أن تحظى بصحبته فاسلك على سيد طابت مساعيه  
أخلص ودادك صدقا في محبته وحصل الدر والياقوت من فيه  
واستغرق العمر في أدب بصحبته وحصل الدر والياقوت من فيه  
وابذل قواك وبادر في أوامره تر الوفاق وبالغ في مرضيه  
واحذر بجمده أن تأتى ولو غلطا ما لا يحب وباعد عن مناهيه  
وكن محب محبيه وناصرهم والزم عداوة من أضخى يعاديه  
واعلم يقينا بأن الله ناصره إن لم تكن ناصرا فالاله يكفيه  
وأنزل الشيخ في أعلى منازلهم واجعله قبلة تعظيم وتنزيه  
ولست تفعل هذا إن ظننت به نقصا ولا خللا فيما يعاينه  
وفي هذا القصيد فضلا عن بيان معاني البسط بيان صحبة أهل الله ومحبيه.

## القسم الخامس وهو قسم الأصول

وفيه عشرة أبواب

وهي : القصد ، والعزم ، والإرادة ، والأدب ، واليقين ، والأنس ،  
والذكر ، والفقر ، والعنى ، ومقام المراد .



## باب القصد

قال الله تعالى ( ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ).

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : القصد : الإجماع على التجرد للطاعة وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : قصد يبعث على الارتياض ويخلص من التردد ويدعو إلى مجانية الأغراض .

الدرجة الثانية : قصد لا يلقى سببا إلا قطعه ولا يدع حائلا إلا منعه ولا تحاملا إلا سهله .

والدرجة الثالثة : قصد الاستسلام لتهديب العلم وقصد الإجابة لدواعي الحكم وقصد الاقتحام في بحر الفناء .

يقول الشيخ رضى الله عنه . القصد هو الإجماع وعندنا الإجماع أول القصد والقصد غاية الإجماع من حيث أن الأجماع جمع النية على قصد الفعل ويكون القصد بالتجرد للطاعة كما يقول الشيخ .

ولذلك استدل الشيخ على قوله بقول الله الذى صدر به باب القصد ( ومن يخرج من بيته مهاجرا ) أى مزعما الهجرة قبل فعلها وقاصدا بالفعل فهنا لومات وقع أجره على الله تعالى لتوفر الإجماع وهو جمع النية والتوجه بالقصد المصمم إلى الهجرة فى سبيل الله بأى نوع من أنواع المهاجرة الشرعية للحج أو لغيره من ضروب الجهاد لأن المقصود من الآية بذل الجهد بالإجماع ثم النية ثم القصد لذلك يقع أجره على الله إذا انقطع عمله بالموت أو بغيره .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات :

قال الدرجة الأولى : قصد يبعث على الارتياض وهو الدخول في الأمر نية وسلوكا وتحصيلا : ويخلص من التردد وذلك بالأسباب المذكورة التي ذكرت ويدعو إلى مجانية الأعراض ولعل الشيخ يريد الأغراض وعلى كلا الوجهين تكون الأغراض النفسية الشخصية داعية إلى الإعراض عما أزمع وقصد إليه السالك .

قال والدرجة الثانية : قصد لا يلقي سببا إلا قطعه أى سببا مانعا عن القصد في السير والغاية في الوجهة إلا قطعه أى أبعد وأزاله وقال (ولا يدع حائلا إلا منعه) والغرض من هذا الترادف تأكيد المعنى ولذا قال أيضا (ولا تحاملا إلا سهله) ويريد بالتحامل هنا أن يكتمل الشخص القاصد المجد على نفسه بالمجد ليسهل ذلك التحامل برده إلى الغاية التي إليها يقصد ولها يسير ويسلك .

قال والدرجة الثالثة : قصد الاستسلام تهذيب العلم ويريد الشيخ والله تعالى أعلم ألا يترك السالك في قصده اصطحاب العلم لما فيه من تهذيب وتنوير يبعث على التثبيت بالغاية وفي مثل هذا المعنى يكون قد أجاد من يقول بهذا الصدد :

فأحبيتهم والشيخ ما لم ينتفع بالعلم غر

ثم قال الشيخ وقصد ولعلها يقصد إجابة دواعي الحكم وقصد اقتحام بحر الفناء .

ويريد أن يقول إذا استصحب السالك في طريقة العلم دائما لما فيه من تهذيب وإرشاد فعل ذلك استجابة لدواعي الحكم الشرعي والخالق وهو معنى قوله (إجابة دواعي الحكم) .

ثم قال وقصد اقتحام بحر الفناء أى وذلك أيضا رغبة في تصفية السلوك

وأحكامه لاقتحام بحر الفناء ومعنى الاقتحام هنا إعداد العدة بالعزيمة والقصد والسير لخوض بحر الفناء وهو الغاية التي لا مطلب وراءها ولا رجوع من ربوعها .

وأنشدوا في معنى هذا الباب قولهم :

لقد وضع الطريق إليك قصدا      فما أحد أرادك يستدل  
فإن ورد الشناء ففبك صيفا      وإن ورد المصيف فأنت ظل  
وأنشدوا أيضا :

ولما أدعيت الحب قالت كذبتني      فما لي أرى الأعضاء منك كواسي  
فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا      وتذبل حتى لا تجيب المنادي  
وتنحل حتى لا يبق لك الهوى      سوى مقمله تبكي بها وتناجيا  
هذا وفي الآيات الأخيرة مجاز هو كناية عن الفناء أى فناء الرسوم والأغيار في القصد إلى الله وليس المراد الضعف والنحول والذبول للجسم وما إلى ذلك .

## باب العزم

قال الله تعالى ( فاذا عزمتم فتوكل على الله ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : العزم الحقيقي القصد طوعا وكرها وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : إباء الحال على العلم لشيم برق الكشف واستدامة نور الأنس والإجابة لأمانة الهوى .

الدرجة الثانية : الاستغراق في لوائح المشاهدة واستنارة ضياء الطريق واستجماع قوى الاستقامة .

الدرجة الثالثة : معرفة علة العزم ثم عزم التخلص من العزم ثم الخلاص

من تكاليف ترك العزم فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم .

وقد عرف الشيخ رضى الله عنه فى أول كلامه العزم الحقيقى بأنه العزم طوعاً وكرهاً أى طوعاً بالرغبة والإرادة أو رضوخاً لأحكام الشريعة وآداب الطريقة وهدى الحقيقة .

ونحن كنا نرى أن باب العزم يجب أن يكون قبل باب القصد ودليل ذلك نفس الآية التى استشهد بها من قول الله تعالى ( فإذا عزمتم فتوكل على الله ) المراد منها والله أعلم فإذا نويت وكملت النية فكانت عزمًا فتوكل على الله واقصد وسر فيما تقصد إليه لأن القصد توجه ، والعزم صدق النية فى هذا التوجه . ولكن الشيخ فى باب العزم الذى جعله بعد باب القصد قد أراد أن يقول إن القصد الثابت المصمم لا يكون إلا باستصحاب العزم فى سائر خطوات القصد سواء كان القصد طواعية وإلزاماً بحكم من الشرع أو من موجبات الحقيقة ولعله لهذا السبب قدم القصد على العزم . وما الشرع فى الرفع إلا ظاهر الحقيقة وما الحقيقة إلا باطن الشرع فهما يلتقيان ويتوحدان ضرورة ، وتعال معنى لنرى ( البطيخة ) مثلاً هل هى خضراء كما فى ظاهرها أم هى حمراء كما يتضمن باطنها ؟ والجواب على ذلك يكون : إن البطيخة خضراء وحمراء فى وقت واحد باعتبارها كلا ، فهى خضراء باعتبار ظاهرها وحمراء باعتبار باطنها لأنها فى ذاتها شئ متوحد . وقد ضربنا هذا المثل التوضيحي البسيط لتوضيح ما بين الشريعة والحقيقة من صلة فهما شئ واحد لا يتعدد فى حقيقته وأن تثنى بالتعبير عنهم .

والشيخ جعل القصد قبل العزم لأنه فى رأيه المركز الذى ينطلق إليه العزم وأن القصد لا يتم إلا باستصحاب العزم فهو لذلك عقب على القصد بالعزم كما تريد أن تعبر عن باطن الشئ وظاهره والشئ واحد فالعزم رغبة الدخول فى القصد : والقصد السير مع اصطحاب العزم وهما بالنسبة للغاية

أمر واحد له ظاهر وباطن فظاهره العزم وباطنه القصد وسواء في الشيء المتوحد أن تقدم أحد شطريه على الآخر أو تأخر . وهذا يقوم منا عذرا للشيخ رضى الله عنه ولفسر فيما قصدنا إليه من شرح العزم حيث يقول وهو على ثلاث درجات :

فالدرجة الأولى : إباء الحال على العلم لشيم برق الكشف واستدامة نور الأنس ويريد به الحال وأن كان مستفادا من العلم فإن العلم لا يقاوم الحال كمن يصف بعلم ظل شجرة فهو عليم بذلك ومن جلس تحتها بالفعل وتذوق معنى ذلك الظل وأنه مستظل به لا بد أن يكون حال المستظل أقوى تأثيرا وتأثرا من العائم به بمجرد العلم ، لذلك علل الشيخ رضى الله عنه إباء الحال على العلم أى استعصاء كنهه لوقوعه بالفعل والتذوق وجعل الشيخ سببه شيم أى لحظ برق الكشف المتأني عن الحال . فالحال هنا غالب على العلم لوقوع صاحب الحال فيه بالفعل ولذلك عقب بقوله تأييدا لرأيه واستدامة نور الأنس لأن صاحب الحال مأنوس بحاله وهو غير العليم به ثم قال والإجابة لأمانة الهوى فتمكن صاحب الحال في حالة يكون أبعد من الاستجابة إلى الهوى هوى النفس من صاحب مجرد العلم بالحال فإنه أقرب للانخداع بالهوى وذلك لعدم كمال التذوق .

ثم قال الدرجة الثانية : الاستغراق في لوائح المشاهدة فإن الأول صاحب شيم برق المشاهدة كان لا يملك منها إلا اللحظ وهو الشيم ولكن صاحب الدرجة الثانية استغرق في لوائح المشاهدة واللائح ما يلوح ويبدو بالفعل وهو غير من لحظ أو شام ثم قال واستنار بضياء الطريق لأنه أكثر تمكنا في الطريق من المبتدئ . لاحظ أى الذى ليس عنده إلا مجرد اللحظ والشيم .

وبهذا وذلك يكون الأمر كما يتناول الشيخ من أن صاحب الدرجة الثانية أكثر استجماعا ولطرافق الاستقامة وهو مأخوذ من قوله ( استجماع قوى الاستقامة ) .

ثم قال والدرجة الثالثة : معرفه علة العزم ، ذلك لأن العزم وأن كان به قيام استمرار القصد له علل ومن علله رؤية العازم والقاصد دون أن يفكر في أن عزمه وقصده هداية ومنته من الله عليه وتلك علة من علل العزم ويقاربها غيرها طبعاً ولذا قال الشيخ ثم العزم على التخلص من العزم أى من رؤية هذا العزم ومن نسبتهك لنفسك وقال الشيخ ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم أى تكاليف فكرة الرجوع عن القصد بترك العزم ولذا قال فإن العزائم تورث أربابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم وذلك لأن المتجرد من رؤية نفسه في العزم والقصد أيضاً قد خلاص من الإدعاء وهو أكبر العلل فيكون المتخلص من الدعوى دعوى العزم والقصد قد تخلص من تكاليف أثرهم ومقتضيات التفكير في الرجوع عن العزم وهذا معنى قول الشيخ الخلاص من تكاليف ترك العزم وحققاً أن العزائم لم تورث أربابها أفضل ولا أكرم من عرفان علل العزائم خالصة لوجه الله من كل شوب ومن كل دعوى .

وأنشدوا في معنى القصد والعزم :

هم بالذى أودع الاحشاشا محبته      واحفظ حقوق الهوى ولا تخش من عار  
واسهد إذا لاح للأرواح طالعه      أنوار حسن تبديت دون أستار  
واطو ادعاءك في مجلى مظالعه      واسهدك سرا بدا من نوره الوارى  
واح الوجود جميعاً عند رؤيته      واعرفه في كل إقبال وإدبار

## باب الإرادة

قال الله تعالى ( قل كل يعمل على شاكلته )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبيته وهو الإجابة لدواعى الحقيقة طوعاً وهو على ثلاث درجات :  
الدرجة الأولى : ذهاب عن العادات بصحبة العلم والتعلق بأنفاس السالكين مع صدق القصد وخلع كل شاغل من الإخوان ومشغلات عن الأوطان .

قال والدرجة الثانية : تقطع بصحبة الحال وترويح الأنس والسير بين القبض والبسط .

والدرجة الثالثة : ذهول مع صحة الاستقامة وملازمة رعاية الأدب .

ومعنى تصدير الشيخ باب الإرادة بقوله تعالى ( قل كل يعمل على شاكلته ) أن المرید تصبّح له شاكلة غير شاكلته غيره من الناس فكل إنسان يعمل على ما يناسبه ويليق بشقواه والمرید يعمل على مشا كل تلك الإرادة ومعنى كلمة ( المرید ) أنه أراد الحد في السير والسلوك إلى الله تعالى فيكون قد أراد عكس ما كان يريد قبل إرادة السلوك .

فالمرید الصادق يطلب دائماً من العمل ما يليق ويناسب مقام الإرادة وهو لأجل ذلك قد خلع إرادة السوا وإرادة الدنيا وطلب إرادة الآخرة بل قل إرادة وجه الله تعالى وبذا يكون قد عمل على ما يناسب مقامه ويليق وهو مقام الإرادة .

فإن المرید الصادق المجد يعمل على ما يناسب مقامه ويليق به دون مبالغة أو قصور ثم قال الشيخ والإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته وهي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعاً أو كرها ويريد رضى الله عنه أن يقول إن المرید أراد السلوك طوعاً ولكن للسلوك عند القوم قوانين وقواعد مرسومه هو قواعد السلوك ومقاماته وأحواله وهذا معنى قوله من قوانين هذا العلم ويريد بالعلم ( علم التصوف ) وقوله وجوامع أبنيته يريد قواعد المرسومة والموصلة بحسب ما يقتضيه العلم أى العلم الخاص بأهل التصوف والذي تجمع مبادئه ونهاياته بين أحكام الشريعة وأصول الطريقة وأحوال الحقيقة ويحضر المرید على اتباع تلك القواعد بقوله وهي الإجابة ويريد الاستجابة لدواعي الحقيقة أى الحقيقة المذكورة طوعاً لأنه يريد أو كرها لأنه ملزم لما أراده من سلوك الطريق باتباع ما لها من قواعد وقوانين هو ملزم باتباعها ولما كانت الإرادة انبعثت من القلب بنور وجهه الله إليه

من طريق الإلهام ولما كانت حركات القلب وما يجري فيه من نور أو إلهام أو بصيرة أمراً باغنياً سمي علم القوم علم الباطن وفي مقابلة العلم بالشرع أى الفقه فيه وهو علم الظاهر الذى يتعلق بتوضيح أحكام الجوارح واسمه علم أظهار ، وبهذا وذاك يكون قد اجتمع للبريد قواعد العلم التفصيلي للحقيقة الواحدة وهو العلم بالشرعية ثم العلم بالطريقة ثم العلم بالحقيقة وهو علم المعرفة .

وقالوا فى تعريف ذلك : الشريعة ، أن تعبد ، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهد — وذلك كله مستمد من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وفعله . من حيث أن الشريعة أقواله والطريقة أفعاله والحقيقة مواجبهه التى عرفها أكمل التعريف بقوله ( لى وقت مع الله لا يسعنى فيه أحد غيره من إنس أو جن أو ملك ) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وهذا كله موضح تمام التوضيح فى حديث جبريل الذى رواه عمر ابن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث الإحسان الذى قال فيه جبريل سائل الرسول صلى الله عليه وسلم ما الإسلام فأجابه وما الإيمان ؟ فأجابه وما الإحسان فقال ( أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ) وهذا الحديث سياتى تفصيله بباب الإحسان إن شاء الله تعالى .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهو على ثلاث درجات ( أى باب الإرادة ) على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : ( ذهاب عن العادات بصحبة العلم ) أى العلم بالشرعية وبالطريقة وبالحقيقة كما قدمنا والتعلق بأنفس السالكين أى بالشرب من مشربهم وبسلوك مسلكهم وبالعامل على ما يشاكل طريقتهم ثم قال ( مع صدق القصد ) وهو واضح وخلع كل شاغل من الإخوان أو خلع كل مالا يتناسب مع تلك الشاكلة من الإخوان مطلقاً ويستثنى منهم ضرورة



الاخوان في الله تعالى لأنهم على تلك الشاكلة نفسها فكل ما يشغل عن الله من إخوان يجب الابتعاد عنه إذا كان السالك صادقاً في الذهاب عن العادات إلى كان عليها وفي التعلق بأنفس السالكين مع صدق القصد فقد وجب خلع كل شاغل عن الله تعالى وكذلك كل مشتت عنه من الأوطان ويريد بالوطن مقاصد كثيرة منها الطينة والجملة والعادات والوطن المسكون بما فيه من أهل ومال، كل أولئك لو شتتوا السالك عن تركيز إرادته في طريق الله يجب تفاديهم بنصحهم أو بالحلم عليها أو بالابتعاد عنهم. ثم قال رضى الله عنه والدرجة الثانية (تقطع بصحبة الحال وترويح النفس والسير بين القبض والبسط) ويريد بالتقطع التنقل بشرط أن يصحبه ما هو فيه من حال قد ثبت، وهذا التنقل يكون بين ترويح الأنس والسير بين القبض والبسط أى أنه لو غلب عليه الخوف الميثوس روحه بالأنس المرجى وذلك بالسير بين القبض والبسط أى أنه يستعين على حال القبض بحال البسط ويستعين على حال البسط بحال القبض الذى هو نتيجة الهيبة والخافة، والبسط حال يحصل التوازن وقد مر الكلام عن القبض والبسط فيما شرحناه.

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة (ذهول مع صحة الاستقامة وملازمة رعاية الأدب) ويريد بالذهول غير المعنى المفهوم بادية الأمر وإنما يريد ما يعبر عنه بالانخطاف الروحى أو انشغال القلب بما هو الأهم مع صحة الاستقامة وملازمة رعاية الأدب فمن صحة الاستقامة ملازمة رعاية الأدب دون إفراط أو تفريط. وليس المراد بالذهول الشطح الصوفى الذى يظهر من ضعفاء أهل التصوف وإنما المراد به شغل القلب بالله مع صحة الاستقامة أى بالشرعية (وملازمة رعاية الأدب) أى مع الله باتباع علمى الطريقة والحقيقة.

وأنشدوا فى معنى صحة الإرادة عند المريد الصادق قول عمر بن الفارض رضى الله عنه :

أَنتُمْ فَرُوضِي وَنَفْسِي	أَنتُمْ حَدِيثِي وَشَغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي	إِذَا وَقَفْتُ أَصْلِي
جَمَالِكُمْ نَصَبَ عَيْنِي	إِلَيْكَ وَجْهَتُ كُلِّي
وَسِرْكَمُ فِي ضَمِيرِي	وَالْقَلْبُ طُورَ التَّجَرُّعِي
أَنْسَتُ فِي الْحَيِّ نَارَا	لَيْلًا فَبَشَرْتُ أَهْلِي
قُلْتُ أَمْكُثُوا فَلَعَلِّي	أَجِدُ هَدًى لَعَلِّي
وَدَنُوتُ مِنْهَا فَكَانَتْ	نَارُ الْمُسْكَمِ قَبْلِي
نَادَيْتُ مِنْهَا كَفَاحَا	رَدُّوا لِيَالِي وَصَلِي
حَتَّى إِذَا مَا تَدَانِي إِلَا	مِيقَاتُ فِي جَمْعِ شَمْلِي
صَارَتْ جِبَالِي دَكَا	مِنْ هَيْمَةِ الْمُتَجَلِّي
وَلَا حَ سِرِّ خَفِي	يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي
فَصَرْتُ مُوسَى زَمَانِي	مَنْ صَارَ بَعْضِي كُلِّي
فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي	وَفِي حَيَاتِي قَتْلِي
أَنَا الْفَقِيرُ الْمَعْنَى	رَقُّوا لِحَالِي وَذُلِّي

## باب الأدب

قال الله تعالى ( والحافظون لحدود الله ) :

وقال الشيخ رضي الله عنه : الأدب حفظ الحديدين الغلو والجفاء ومعرفة ضرر العدوان وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : منع الخوف أن يتعدى إلى الأيأس وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن وضبط السرور أن يضاهي الجراءة .

ثم قال والدرجة الثانية : الخروج من الخوف إلى ميدان القبض والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط ثم الترقى عن السرور إلى ميدان المشاهدة .

ثم قال والدرجة الثالثة : معرفة الأدب ثم الغنى عن التأديب بتأديب الحق لك ثم الخلاص من شهود أعباء الأدب .

أما قوله رضى الله عنه (الأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء) فيريد به حفظ الحد . بين المغالاة التى تخرج عن المقام أو الحال بالشطح والتقصير الموجب للجفاء ويريد بالجفاء طبعاً ما يدعو إليه التقصير ثم قال ( بمعرفة ضرر العدوان ) أى وهو متحقق من معرفة أن المبالغة والمغالاة تخرج عن الحد المطلوب وكذلك التقصير الداعى إلى الجفاء .

ثم قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : ( منع الخوف أن يتعدى إلى الأياس وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن وضبط السرور أن يضاهى الجرأة ) .

فمعناه : حفظ الحد الوسط بالحد من أن يتعدى حال الخوف إلى حال اليأس وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن معناه حفظ الحد الوسط فى الرجاء فلا يدع الرجاء يتخطى حده فيخرج إلى الأمن من مكر الله وفى هذا المحنة والبلاء ثم ضبط السرور الناشئ عن الرجاء والبسط أن يضاهى الجرأة على الله بالخروج عن حد السرور والبسط اللائقين بسالك طريق الله وذلك باتباع الأدب .

ثم قال والدرجة الثانية : الخروج من الخوف إلى ميدان القبض والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط ثم الترقى عن السرور إلى ميدان المشاهدة .

وهنا وفى الدرجة الثانية أراد الشيخ رضى الله عنه أن يصف الوسيلة إلى لزوم الحد المانع للإفراط أو التفريط وذلك بقوله ( فى الدرجة الثانية الخروج من الخوف إلى ميدان القبض ) ويعنى أنه إذا زاد الخوف رده إلى

حال القبض واكتفى به منعاً من أن يؤدي خوفه إلى الأيأس وهو اليأس  
فيعالجه بالاكتفاء بالقبض المشعر بحال الخوف والخوف أما أن يكون  
إخلاصاً لله أو خوفاً من ذنب قد سبق فالقبض يشعره بما يجب أن يحل  
بحال الخوف .

ثم قال ( وصعود عين الرجاء أيضاً إلى ميدان البسط ) ويريد هنا  
بالصعود ليس الارتفاع وإنما التجويم لأجل لزوم الحد . ثم ( الترقى من  
السرور إلى ميدان المشاهدة ) ويريد الشيخ رضى الله عنه أن يقول إذا تم  
المريد حبس الرجاء وضبط الخوف فجعل الخوف قبضاً والرجاء سروراً  
ترقى بذلك لأنه الحد المطلوب إلى ميدان المشاهدة وهو سرور لا خائف  
ولا راج .

ثم قال رضى الله عنه ( والدرجة الثالثة : معرفة الأدب ثم الغنى عن  
التأديب بتأديب الحق ثم الخلاص من شهود أعباء الأدب ) .

ويريد الشيخ رضى الله عنه أن يقول في الدرجة الثالثة : إذا عرف  
المريد مقتضيات ما في الدرجة الثانية من لزوم الحد بالتورط المانع للأفراط  
أو المبالغة أو التفريط الداعى إلى الجفاء عرف الأدب الواجب عليه اتباعه  
فإذا عرف الأدب واستعمله حتى يترقى به استغنى عن التأديب وذلك بتأديب  
الله له فإن صح له ذلك تخلص من شهود أعباء الأدب من حيث علمه وعرفانه  
إذا ترقى إلى التأديب بتأديب الله ومعاينة أن الأدب المطلوب ليس صادراً  
عن نفسه وإنما هو صادر عن تأديب الله له إذا بلغ ذلك تخلص من شهود  
أعباء الأدب ومن حمل تلك الأعباء أيضاً .

وأشددوا في باب التأديب بالمربي من حيث أنهم قالوا ( لولا المربي  
ما عرفت ربى ) .

إذا المرء ربى نفسه بمراده لقد شاده بذنانا على أسه

ومن لم تربه الرجال وتسقه  
فذاك اللقيط ماله نسبة الولا  
إذا المرء لم يرتد رداء من التقى  
يربه رهونات النفوس وكيدھا  
ولم يك مجذوبا على يد قدوة  
ويبدوله المسكنون من سر كونه  
ويحسن منه الخلق للخلق بالحجا  
فذاك لعمري ناقص الخطعاجز  
وإن ريب القوم لم يك هكذا  
لبانا لهم قد ضر من ثنى قدسه  
ولن يتعدى طور أبناء جذه  
على يد أستاذ خبير بنفسه  
ويشده المحجوب عنه بحسه  
لتحفظه الألفاف من غبن لبسه  
وتجلى له الكسرات في شرب أنسه  
ويسمر مغناه بأيناع غرسه  
يريد سبيلا وهو يأتي بعكسه  
ومن جاء بالبهتان راح يبخسه

### باب اليقين

قال الله عز وجل ( وفي الأرض آيات للموقنين ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : اليقين مركب الآخذ في الطريق وهو غاية درجات العامة وقيل أول خطوات الخاصة وهو على ثلاث درجات .  
الدرجة الأولى : علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق .

والدرجة الثانية : عين اليقين وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وخرق الشهود لحجاب العلم .

والدرجة الثالثة : حق اليقين وهو أسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين .

يقول الشيخ رضى الله عنه في الدرجة الأولى من درجات اليقين :  
اليقين مركب الآخذ في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وقيل أول خطوات الخاصة .

وصدق الشيخ فنعم المركب في طريق الله وفي طريق معرفة اليقين ولا شك .

قال وهو غاية درجات العامة وقيل أول خطوات الخاصة وهذا أيضا صحيح أما من جهة كونه غاية درجات العامة وقدما أنه يريد بالعامّة عامة الناس وليس عوامهم فإن سلوكهم في المقامات والأحوال يبدأ بالتوبة ثم الاخلاص فيها ثم الصبر على طاعة الله وعن معصيته ثم الرضى بأحكامه تعالى والتسليم فيما يريد وبهذا وذاك — يحصل اليقين ويعتبر أول خطوات الخاصة .

ثم قال وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق :

وهذا معناه قبول ما ظهر من الحق القرآن ثم التشريع ثم جمعهما بالتسليم إلى ما جاء من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون السالك قد حكم الله ورسوله بقبول ما جاء عنهما من الحق كتابا وسنة . وأما قوله وقبول ما غاب للحق ويريد بذلك الإيمان بالغيب تحقيقا لقول الله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناههم ينفقون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) المفلحون بالفعل إيماننا ويقيننا .

وسمى الشيخ رضى الله عنه الحصول على ذلك اليقين بعلم اليقين لأنه مؤسس على السماع للمشروع كتابا وسنة فإذا أيقن به العبد أى بما جاء من عند الله وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حصل من ذلك العلم باليقين .

وأما قوله ما ظهر من الحق أى ما ظهر بالدلائل الكونية والقرآنية

من الحق الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل عنده ذلك المقام وتحقق به ، (مقام علم اليقين) .

وأما قوله ما غاب للحق فقد تقدم وهو الإيمان بالغيب وأما قوله والوقوف على ما قام بالحق من وجود الذات والأسماء والصفات والأفعال وما لزم عن ذلك من وجود الكائنات فسلوكها قائمة بالحق .

ثم قال والدرجة الثانية عين اليقين وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وخرق الشهود لحجاب العلم وقوله الغنى بالاستدراك عن الاستدلال يريد به المدارك الفعلية أو القلبية لأن للقلب عينا وللعقل عينا تدركان ما لا تدركه عين الحس ، والاستدلال إنما يقوم على المشاهدة الحسية بمساعدة القرائن المعقولة وذلك ما يؤدي إليه العلم بالكائنات وهو العلم الطبيعي القائم على الإدراكين : الحسى والعقلى . والشيخ يريد ما وراء كل ذلك ، ولذلك قال في هذه الدرجة الثانية : وخرق الشهود لحجاب العلم فجعل الشهود خروجاً من حجاب العلم لأن العلم لو وقف عند الظواهر : ظواهر الكائنات واكتفى بها صار حجاباً عن حقائقها فالشيخ يوصى السالك بأن يجعل الشهود مفتاحاً يخرق به ما قد يقع بسبب العلم من احتجاب عن الحقائق ، فإذا غلب السالك لطريق الله الشهود على العلم باشر بعقله وقلبه وحتى يحواسه عين اليقين وهي درجة أعلى من علم اليقين طبعاً .

ثم قال والدرجة الثالثة حق اليقين وهو أسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين ويريد بهذا أن يكون إذا بلغ السالك درجة الكشف وهي مشاهدة حق اليقين التي هي درجة الإحسان ( أن تعبد الله كأنك تراه ) ولذلك قال ( فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) . رجوعاً إلى عين اليقين ، فالأولى توجب المكاشفة والشهود وهي حق اليقين والثانية توجب المراقبة والخشية وهي عين اليقين وأما علم اليقين ، فهو ما جاء عن حصول اليقين علماً ولذا سمي علم اليقين .

والفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين يظهر في المثل الآتى :-  
 ( رجل بيده تفاحة أشتم رائحتها ورأى لونها وحجمها وسر بذلك فهو عليم  
 بظواهر التفاحة ( علم اليقين ) ثم أكل منها وتذوقها فإن أضاف التذوق إلى  
 ما كان من العلم قرب إلى ( عين اليقين فى التفاحة ) فإن انقلب التذوق  
 واللذة وتقدير ما فى ذلك من جمال أو قل قيمة معنوية ذاتية انتهى بالشهود  
 العضوى وهو بالنسبة للتفاحة فى درجة ( حق اليقين ) وقد سبق له علم اليقين  
 بها وعين اليقين بتذوقها ولما انقلب الأمر فصار شهودا ذوقيا باطنيا بما فيه  
 ذلك كله من جمال فقد صار فى خبرته بالتفاحة فى مقام ( حق اليقين ) قس  
 على ذلك المثل سائر الحقائق الوجودية فى الإحاطة بها بالنسبة للإنسان  
 فإن كانت علما بالظواهر والقوانين حصل له من ذلك ( علم اليقين ) فإن بلغ  
 درجة التذوق العقلى والقلبى لما وراء الظواهر من حقائق فقد بلغ درجة  
 ( عين اليقين ) فإن شاهد بقلبه وروحه الحقيقة المطلقة الكلية وفعلها  
 المسبطر على ذلك كله من أكوان وقوانين وحقائق فقد دخل إلى مقام  
 حق اليقين .

ولنا فى باب اليقين شعر :

زعم العواذل أن حبك متلفى      وشديد شوق والتجافى مهلكى  
 على أن مقدورا بيا بك موثقى      ومن العجائب أن قلبى يشتكى  
 شوقا إليك وأنت فيه مقيم  
 بأمن لرحمته تطاولت المنى      وعميم فضل فى الشدائد ماونى  
 من نرسوا لكى الحساب مطمئنا      قسما بلطفك ما تغير عمـدنا  
 فالحب باق والوداد قديم



## باب الأنس

قال الله تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداعى  
إذا دعان) .

ثم قال الشيخ رضى عنه أن فى ذلك إشارة إلى روح القرب وهو على  
ثلاث درجات :

الدرجة الأولى الأنس بالشواهد وهو استحلاء الذكر والتغذى بالسماع  
والوقوف على الإشارات .

ثم قال والدرجة الثانية : الأنس بنور الكشف وهو أنس شاحص عن  
الأنس الأول تشوبه صولة الهممان ويضربه موج الفناء وهو الذى غلب  
قوما على عقولهم وسلب قوما طاقة اضطبارهم وحل عنهم قيود العلم، وفى هذا  
ورد الخبر بهذا الدعاء ( أسألك شـوقا إلى لقائك من غير ضراء مضره  
ولا فتنة مضلة ) .

ثم قال والدرجة الثالثة اضمحلال فى شهود الحضرة لا يعبر عن عينه  
ولا يشار إلى حده ولا يوقف على كنهه .

فأما قوله رضى الله عنه إن الأنس روح القرب فإن الأنس ثمرة الطاعة  
واليقين والتسليم والحب فهو مؤد إلى الفناء فى الحقيقة لولا هيبة الحب  
ولولا أن الحب يقتضى وجود محب ومحبوب وهو فرق لولاه لفتى الرسم  
فى الحقيقة وفى وجود المخلوق فى وجود الخالق .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات : الأولى الأنس بالشواهد وهو  
استحلاء الذكر والتغذى بالسماع والوقوف على الإشارات ومعنى الأنس  
بالشواهد أى شواهد الحق فى الخلق وما يقوم فى القلب من تعظيم للمبدع

عند شهود الإبداع وحسن الصنع والاحسان إلى المصنوع من الصانع. وأما قوله واستجلاء الذكر فإن وراء الشواهد دائماً ذكر المتفضل يجرى على اللسان والقلب وأقل ما في الذكر أنه ضرب من ضروب القرب ولذلك نوه الحق في كتابه العزيز بأنه إذا سألك عبادى عنى فانى قريب أى إذا ذكرنى فأكون قريباً لهم لأننى على التحقيق قريب وهم البعداء فإن ذكرنى تقربوا إلى فأكون قريباً بالنسبة لهم وإلا فانى دائم الحضور ثم قال الشيخ والتغذى بالسمع والسمع على أنواع : سماع عن الله بالخاطر والهاتف الذى بمر بالخيال ويستقر فى القلب فهو خطاب من الله ( بالفطرة ) وهو نوع من السماع ثم سماع للقرآن كلام الله وكلم هيم ذلك السماع من ولى أو ذكى أو متفقه فى كلام الله وثالث أنواع السماع لأقوال القوم فى قصائدهم التى ينبض فيها حناهم إلى الحقيقة أو قصائدهم فى السلوك التى يوجهون فيها نصحهم للمساكين فينشدونها ويتغنون بها وحكم الشرع فى هذا السماع بحسب النية فإن كان المقصود بسماع تلك الأشعار وجه الله لحكمها الجواز. وإن كان غير ذلك أى إن كان المقصود بها تخيل الصور الجميلة وتغذية نزوات النفس لحكمها التحريم طبعاً لأنها تكون لهوا .

هذا وأما قول الشيخ والوقوف على الاشارات : أى الإشارات الإلهية التى تبدو فى هذا السماع أو تظهر خلال الكائنات فتدل على الله أو تقرب إليه فالشيخ يوصى بالوقوف على تلك الاشارات وفقها وفى فقه إشارات الحق وتقلب العبد خير كثير لمن يفقهه .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية الأانس بنور الكشف وهو أنس شاخص على الأانس الأول تشوبه صولة الهيمان ويضربه موج الفناء وهو الذى غلب قوما على عقوهم وسلب منهم قوة طاقة الاضطبار وحل عنهم قيود العلم قال وفى هذا ورد الخبر بهذا الدعاء ( أسألك شوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ) .

وأما قوله الأناشيد نور الكشف أى الأناشيد الحاصل بسبب نور الكشف راجع إلى المعرفة والأناشيد راجع إلى القرب والأناشيد والقرب إذا اجتمعا تحقق السالك بشهود حضرة الحق .

وأما قوله وهو أناشيد شاخص عن الأناشيد الأول مشوب بصولة الهيمان والهيمان هو الحركة الناشئة عن الحيرة أو الدهشة فأول الأناشيد الاستئناس بقرب الله فإذا زاد القرب زاد الأناشيد بالضرورة وهذه الزيادة تدعو إلى صولة الهيمان ضرورة والهيمان من هام يهيم أى هام على وجهه فى ضرب من الذهول وذلك أن السالك فى مثل هذه الدرجة يغيب عن نفسه وعن الخلق وهذا معنى قوله وبضربه موج الفناء فيصير مغلوبا على أمره وطالبا فناء الرسم وتحقيق الحقيقة وهذا الحال كما بين الشيخ قد غلب قوما على عقولهم أى قوما من السالكين وسلب قوما آخرين طاقة الاضطراب وحل عنهم قيود العلم بالشطح والخروج عن النوسط الذى يفرضه طلب الكمال ولذلك قال قوم من أهل الشطح والخروج هو القول بوحدة الوجود أو بالحلول أو التفريط فى بعض أوامر الشرع إستعلاء على مقتضيات العلم والعلم كما لا يخفى لجام كايح عن الشطح والمراد به علم الشرع .

هذا وأما الذين حفظهم الله من طلاب القرب والتكفين فى كمال السلوك لا يرون فى موج الفناء الذى يرون فى موج الفناء الذى يصرف المتطرفين والخارجين عن النهج لا يرى فيه أولئك الكمال أو الطالبون للكمال سوى ( وحدة الشهود وليس الحلول أو وحدة الوجود ) الأمر الذى يفقد التمييز بين العبد والرب والخالق والمخلوق والفانى والباقي وهكذا .

لذلك قال الشيخ فى نوع هذا الأناشيد أنه شاخص عن الأناشيد الأول الذى تشوبه صولة الهيمان والذهول الذى قد يكون فيه الهدى أو يكون فيه الضلال . ولذلك استشهد الشيخ رضى الله عنه بالأثر المتقدم الذى قال فيه من غير مضرة ولا فتنة مضلة .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : أنس اضمحلال شهود الحضرة لا يعبر عن عينه ولا يشار إلى حده ولا يوقف على كنهه .

ومعناه أنه إذا صلح حال صاحب الأنس واستقام أمره اضمحل عنه ذلك الشهود المتقدم الذى تشوبه صولة الذهول والهيان أى فناؤه عن أنه هو مشاهد وأن هناك شهودا للحضرة يعبر عن المشاهد عن عينه أو يشير إلى حده وتلك كلها حدود أو على الأقل تشوبها الاثنينية أو الجمع الذى لا يفرق بين الحق والخلق ذلك لأن تلك الحقيقة لا يوقف لها على كنهه وحظ المشاهد منها أن يوحد ذلك الشهود فيغيب الشاهد فى المشهود ويفنى ما يزول ويظل البقاء لما يدوم والبقاء والدوام لله تعالى وحده والألفاظ : الفاظ اللغة أضيق على كل حال من أن تسع التعبير الوافى الذى يطابق الحقيقة ومهما عبر اللسان تظل التبعية الأكثر مما عبر عنه بكثير مطوية فى الجنان .

وأنشدوا فى معنى الأنس قولهم :

يامونس الأبرار فى خلواتها      ياخير من حطت به الزلال  
من ذاق حبك لم يزل متلهفا      أنت الحبيب وما سواك محال  
انشأتنى ورحمتى وشرفتنى      أحسن فأنت المحسن المفضل  
مالى سواك وأنت غاية مقصدى      والكل أنت وما عداك ضلال

## باب الذكر

قال الله تعالى ( واذكرك ربك إذا نسيت )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه أنسىت خيرد ونسىت نفسك فى ذكرى  
ثم نسيت ذكرك فى ذكره ثم أنساك ذكر الحق إياك كل ذكر : والذكر  
هو التخلص من الغفلة والذيان وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء أو رعاية .

والدرجة الثانية : الذكر الخفي وهو الخلاص من القيود والبقاء مع الشهود ولزوم المسامرة :

والدرجة الثالثة : الذكر الحقيقى وهو شهود ذكر الحق إياك والتخلص من شهود ذكره ومعرفة افتراء الذاكر فى بقاءه مع الذكر .

قال الشيخ رضى الله عنه تفسيراً للآية ( واذكر ربك إذا نسيت ) يعنى أنسيت غيره ونسيت نفسك فى ذكرك ثم نسيت ذكرك فى ذكره ثم أنساك ذكر الحق إياك كل ذكر ، والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان ويريد أن يفسر الآية بقوله إنك إذا تخلصت من ذكر سواء فاذكره ومعنى ذلك أن الذاكر يجب أن يتجرد فى نفسه عن ذكر ما سوى الله استعداداً لذكر الله ويكون المعنى إذا أردت أن تذكر الله فانس كل ما سواء وقد حمل الشيخ الآية على هذا المحمل وهو جميل وإن كان أكثر المفسرين لا سيما ابن عباس قال : إذا نسيت أن تذكر الله فى أى فعل تريده فتقول إن شاء الله إذا نسيت ذلك فاذكره ولو فى غير وقته ومثال ذلك أن تقول سأفعل ذلك غدا فإذا نسيت اليوم أن تقول إن شاء الله فقلها فى الغد وهذا وجه جميل أيضا بالنسبة للتشريع ، وإنما الشيخ يريد بهذا الوجه من التفسير للآية أن الذاكر يجب أن يستعد لذكر الله بالتجرد عن ذكر ما سواه وليس هذا فقط بل ويريد أن تنسى نفسك أيضا فى ذكرك أى تنسى أنك أنت الذاكر وأن الذكر صادر عن نفسك وبهذا تنسى ذكر نفسك أيضا فى ذكره فالأولى تفرض فيها أنك نسيت ذكر ما سوى الله حينما أردت أن تذكره ولكن تظل فيك بقية هى نفسك فانسها أيضا وقد وضع الشيخ غرضه بقوله أنك إذا نسيت بذكر الله الحق الخلق ونفسك ينسبك ذكر الحق إياك كل ذكر لسواء ، وذلك هو التخلص من الغفلة والنسيان ولأجل ( ١٢م - التمكن )

هذا التخلص يجب أن تغيب في الذكر عن كل ما سوى الله فينسيك ذكر الحق إياك كل ذكر تفعل ذلك تخلصا من الغفلة ومن النسيان .

قال وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء أو رعاية وأولئك إذا كروا بهذه المثابة هم المفردون كما في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يسير في طريق مكة فر على جبال يقال لها حمدان ( جبل على مسيرة يوم من المدينة ) فقال عليه الصلاة والسلام (سيروا هذا حمدان سبق المفردون) قالوا وما المفردون يا رسول الله : قال إذا كروا الله كثيرا (والذكرات ) وسماهم المفردين لأفرادهم ألسنتهم وقلوبهم بذكر الله تعالى دون سواء من خلق أو نفس .

ويكفي لي شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله كما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على خلقه من أصحابه فقال ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على أن هدانا للإسلام ومن علينا به قال الله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا الله ما أجلسنا إلا ذلك قال أما اني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ) .

وأما قوله من ثناء أى تمجيد أو تحميد كسبحان الله والحمد لله وأما الدعاء كقولك اللهم اكفنى شر نفسى أو اغنى عن خلقك ، والرعاية كقولك اللهم وجه قلبى وجهة ترضيك .

ثم قال فى الدرجة الثانية الذكر الخفى وهو الخلاص من القيود والبقاء مع الشهود ولزوم المسامرة .

ومعناه أن الذكر الخفى ما كان بالقلب والروح دون الجوارح . قال وهو الخلاص من القيود لأن الذكر بغير القلب أولا يحتاج لأداة كاللسان .

وثانياً يحتاج المرء فيه للتخلص من الشواغل ومن نفسه ولكن الذكر الخفي بالقلب والروح استغراق في ذكر الله وتخلص من مثل هذه القيود لأنه دخول في الشهود وهذا معنى قوله (البقاء مع الشهود) ولزوم المسامرة والمسامرة هي الأنس الذي يتفضل به المذكور على الذاكر فيحدث الذكر حينئذ نوعاً من المؤانسة ، والمؤانسة لا تتيسر إلا بالشهود (شهود الحق دون سواه) .

ثم قال والدرجة الثالثة : الذكر الحقيقي وهو شهود ذكر الحق إياك وهنا ينقلب الأمر من عبد ذاكر لربه إلى شآن عبد ذاكر لذكر ربه إياه لأنه لو لم يذكره بالخير لما ألهمه الذكر قال والتخلص من شهود ذكرك أى وبهذا تتخلص من شهود أنك ذاكر وتعلم اقتراء الذاكر في بقاءه مع الذكر أى ويتضح لك أنك حينما كنت تذكر الله تعالى نفسك وتحتاج إلى التخلص من ذكر الخلق ومن ذكر نفسك كان في ذلك وجه من الاقتراء على الحقيقة لبقاء الذاكر مع الذكر وليس مع المذكور والمطلوب ، لأنك إذا ذكرت الله يجب أن تكون مع الله تعالى ولا ترى هذه التفرقة التي هي محض اقتراء أنك تجردت من رؤية الخلق استعداداً للذكر وتجردت أيضاً من رؤية نفسك كأنك أنت الفاعل ، والحقيقة أن الله ذكرك لتذكره وذكرته بذكرك فهو الذاكر الحقيقي (فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون) فالشكر مضاف للذكر أو قل الذكر مضاف للشكر وهو تمام الإقرار بنعمة الله في ذلك الذكر وتفصيل المسألة أن الله أولاً قد ذكرك أى رأى فيك خيراً فألهمك أن تذكره ليذكرك بأنك عبد ذاكر وشاكر .

وأنشدوا في معنى هذا الباب ما قاله أحمد بن عطاء الله السكندري في حضرة شيخه أبي العباسي المرسى :

خذ من كلامي ما يلد جناء      وينم كالمسك العبيق شذاه

ذكر الإله الزم هديت لذكره      فيه القلوب تطيب والأفواه  
 واجعل حلاك تقاه إن أخا الحجا      يا صاح من كانت حلاه تقاه  
 ولتعمل الأفسكار في ملكوته      مستغرفا في الكشف عن معناه  
 ولتخلع النملين خلع محقق      خلوا من الكونين في مسراه  
 ولتفن حتى عن فنائك إنه      عين البقاء فعند ذاك تراه  
 وإذا بدا فاعلم بأنك لست هو      كلا ولا أيضا تكون سواه  
 سيان ما اتحدا ولكن ها هنا      سرب يضيق نطاقنا عما هو  
 يا سامعا ما قد أشرت إليه ألا      قلب يفكر ما وعت أذنائه  
 أزل الحجاب حجاب حسك يتكشف      لك سر ما قد غاب عنك ثنائه  
 أنى يغيب وليس يوجد غيره      لكن شديد ظهوره أخفاه

### باب الفقر

قال الله تعالى (يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله) ، ثم قال الشيخ رضى  
 الله عنه الفقر اسم للبراءة من رؤية المملكة وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : فكر الزهاد وهو قبض اليد عن الدنيا ضبطا أو  
 طلبا واسكات اللسان عنها دما أو مدحا والسلامة منها طلبا أو تركا وهو  
 الفقر الذى تسلموا فى شرفه .

ثم قال والدرجة الثانية الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل وهو يورث  
 الخلاص من رؤية الأعمال ويقطع شهود الأحوال ويمحص من أدناس  
 مطالعة المقامات .

ثم قال والدرجة الثالثة : صحة الاضطراب والوقوع فى يد المنقطع  
 الوجدانى فى بيداء التجريد وهذا فقر الصوفية .



فأما قوله البراءة من رؤية المملكة فمعناه البراءة من رؤية أنك تملك شيئاً مع الله لأنه هو المالك الحقيقي لسائر أمورك ظاهراً وباطناً .

وأما قوله في الدرجة الأولى . إنها فقر الزهاد وهي قبض اليد عن الدنيا ضبطاً أو طلباً واسكات اللسان عنها ذماً أو مدحاً والسلامة طلباً أو تركاً قال وهو هذا الفقر الذي تكلموا في شرفه ) .

ومعنى قوله فقر الزهاد أى المتجربين الذى قبضوا يدهم عن الدنيا ضبطاً لأحوالهم أو طلباً أو لم يتح لهم طلبها بوسيلة من الوسائل كاشتغالهم بالجهاد وغيره كأهل الصفة مثلاً المرابطين فى سبيل الله وأما قوله واسكات اللسان عنها ذماً أو مدحاً والسلامة منها طلباً أو تركاً فذلك لأن من اشتغل بمدح شيء أو ذمه كان اشتغاله هذا دليلاً على التعلق به ، وكذلك الحيرة بين طلب الدنيا أو تركها مع العلم أن الزهد ليس متعلقاً بأن يترك الزاهد الدنيا أو أن يطلبها وإنما المقصود بالزهد أن يفرغ الزاهد قلبه من الدنيا مملكتها أو تركها وذلك لأن الزهد فى القلب وليس فى البدن وفى اللسان ويستوى عند الزاهد الحقيقي المملكة وعدمها وذلك هو الزهد الصحيح الذى تكلم أهل التصوف الحق فى شرفه والصوفى غير الزاهد من وجه وهو زاهد أيضاً من وجه آخر وأما الزاهد فقد يكون زاهداً وليس صوفياً والفرق بينهما ما ذكر معناه بمعنى أن الزاهد أساسه فناء التملك والصوفى أساسه انخلاع القلب عن الدنيا وهذا فرق عظيم .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والدرجة الثانية وهى أرقى من زهد الزهاد والمتعلق بقبض اليد عن الدنيا أو ضبط طلبها ثم قال هى الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل أى الرجوع لسبق الحق بفضله وليس بالقيمة الدنيوية ثم قال وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال وهذا سبب الافتقار الحقيقي لأن المراد بالفقر عند أهل التصوف الحق ليس التجرد من الأسباب ولا من التملك .

وإنما يريدون به الافتقار الصحيح إلى الله لأنك لو كنت صوفيا صادقا لرأيت افتقارك إلى الله ولو كنت أغنى الأغنياء أو كنت أفقر الفقراء سيان والافتقار إلى الله تعالى باب الرضى إذا تمكن السالك من باب الصبر الذى يسلمه لمقام الرضى فإذا رجع السالك إلى رؤية فعل الله أورثه ذلك الخلاص من رؤية الأعمال وذلك هو حقيقة الافتقار وليس هذا فقط بل ويقطع عن نفس السالك شهود الأحوال لأن شهود الأحوال يعتبر غنى من حيث أن العبد يملك حالا جميلا أو جليلا وليس هذا فقط وإنما الافتقار إلى الله يحصه كما يقول الشيخ من أوناس مطالعة المقامات والأوناس هى شوب الشئ الخالص بالمغاير له وليس من مراد الشيخ أن المقامات فيها أوناس تلك التى تلحق بها كرويتها ومن الافتخار بها وهكذا .

ثم قال الدرجة الثالثة : صحة الاضطراب وهى تأكيد لما تقدم فى الدرجة الثانية من معنى الافتقار إلى الله تعالى والوقوع فى يد المنقطع ويريد بذلك الغربة عما فيه أكثر الخلق من باطل فيكون كما واقع فى يد واد متسع منقطع وحدانى أى متفرد فى ببداء التجريد الذهنى وأن كان شائعا فى الخلق وهذا تأكيد للمعنى الأول يعنى يكون كالغريب المتجرد فى ببداء جرداء لا يعتمد فيها على ما سوى خالقه ومبدعه ورازقه واللطف والخير به .

وحقيقة الأمر أنك على ماترى فى الكون من أسباب ومسببات ومن أمور موجبة وأخرى سالبة ومن فاعل ومنفعل إلى آخره كل هذا وهم على التحقيق أو قل مجرد أثر لفعل فاعل حقيقى من حيث أن الفاعل الحقيقى هو الله والمسبب الحقيقى هو الله تعالى الذى إن أراد بالماء ( الماء الذى منه كل شئ حى ) أن ينفصل ما فيه من إيدروجين عما فيه من أوكسجين لئصار الماء بلاء ومصدرا للتسمم أو الحريق لأنه يؤخذ منه ما يعبر عنه العلم ( بالماء الثقيل ) أو ( القنبلة الهيدروجينية ) وهكذا الهواء لو زادت نسبة

الأوكسجين فيه لأصبح كائننا محرقا ولكن ضابط النفع والضرر شيء واحد .  
وشيء واحد فقط وهو المشيئة الإلهية مشيئة الذى بيده النفع والضرر .

وأنشدوا فى معنى هذا الباب لأبى مدين الغوث رضى الله عنه :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا      هم السلاطين والسادات والأمراء  
فأصبحهم وتادب فى مجالسهم      وخل حظك مهما قدموك ورا  
واستعن من الوقت واحضر دائما معهم      واعلم بأن الرضى يخص من حضرا  
ولا زل الصمت إلا أن سئلت فقل      لا علم عندى وقم بالجهل مستترا  
ولا ترى العيب إلا فىك معتقدا      عيبا بدا يبدنا لكنه استترا  
وحط رأسك واستغفر بلا سبب      وقم على قدم الانصاف معتذرا  
وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم      وجه اعتذارك عما فىك منك جرا  
وقل عيذكوا أولى بصفحكمو      فساخوا وخذوا بالرفق يا فقرا  
هم بالفضل أولى وهو شيمتهم      فلا تخف دركا منهم ولا ضررا  
وبالتقى على الإخوان جد أبدا      حسا ومعنى وغض بالطرف إن عبدا  
وراقب الشيخ فى أحواله فعسى      يرى عليك من استحسنائه أثرا  
وقدم الجد وانفض عند خدمته      عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا  
ففى رضاه رضا البارى وطاعته      يرضى عليك فكأن من تركه حذرا  
واعلم بأن طريق القوم دارسة      وحال من يدعيها اليوم كيف يرى  
متى أراهم وأنى لى برؤيتهم      أو تسمع الأذن منى عنهم خبرا  
من لى وأنى لمثل أن يزاحمهم      على موارد لم ألف بها قدرا  
قوم كرام السجايا حيثما جلسوا      يرى المسكان على آثارهم عطرا  
يهدى التصوف من أخلاقهم طرفا      حسن التألف منهم راقى نظرا  
هم أهل ودى وأحبائى والذين همو      ممن يجر ذبول العز مفتخرا  
لا زال شملى بهم فى الله مجتمعا      وذنبنا فيه مغفور ومغتفرا  
ثم الصلاة على المختار سيدنا      محمد خير من أوفى ومن نذرا

## باب الغنى

قال الله تعالى ( ووجدك عائلاً فأغنى ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الغنى اسم للملك التام وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : غنى القلب وهو سلامته من السبب ومسالته للحكم وخلاصه من الخصومة .

ثم قال والدرجة الثانية . غنى النفس وهو استقامتها على المرغوب وسلامتها من المسخوط وبراءتها من المراءاة .

ثم قال والدرجة الثالثة : الغنى بالحق وهو على ثلاث مراتب : الأولى شهودك ذكره إياك والثانية مطالعة أوليته والثالثة الفوز بوجود شهودك ذكره إياك .

أما قوله الغنى اسم للملك التام فمعناه أن كل غنى فى الدنيا تام من طرف وناقص من طرف آخر فهو بعد فقرا لاغنى وإذن فالغنى الحقيقي المسمى باسم الغنى هو الغنى الذى يتوفر فيه الملك التام . وهذا مستحيل على الخلق ويشفرد به الله وحده .

ثم قال وهو على ثلاث درجات :

فالدرجة الأولى : غنى القلب وذلك هو غنى من نوع آخر غير غنى الملك قال وهو سلامته من السبب ومسالته للحكم وخلاصه من الخصومة ومعنى سلامة القلب من السبب أن لا تشغله الأسباب عن المسبب ومعنى قوله ومسالته للحكم أى مسالته لأحكام الله صاحب المشيئة العظمى والتقدير الأول ثم قال وخلاصه من الخصومة أى الخصومة بين القلب وبين الله ومعنى الخصومة هنا المناقشة والمقاضاة وهى عكس التسليم والمسالمة ويقول فى هذا المعنى بعض أهل التصوف .

دعها سماوية تجرى على قدر ولا تخترمها بشيء منك تنخرم  
وقال آخر :

سلم لسلمى وسر حيث سارت واتبع رياح القضا ودركيف دارت  
ثم قال والدرجة الثانية : غنى النفس وهو استقامتها على المرغوب  
وسلامتها من السقوط وبراءتها من المراءاة .

إن تعريفه لغنى النفس وهو ما يخالف فيه أكثر الناس فى المفهوم  
بالعرف على أن له الحق ، فهم يريدون بغنى النفس ضربا من التعفف وهذا  
لا يكفى فى غنى النفس وهو يريد استقامتها على المرغوب أى على المطلوب  
لله منها وهذا المعنى يضيف إلى التعفف جملة من الصفات الجليلة كالصبر  
والرضى والتسليم وغير ذلك ثم قال وسلامتها من السقوط أى بالتسليم  
والرضى فلا تسخط أمرا أراد الله لها من تقلب بين الغنى والفقر أو السور  
والضر ثم قال وبراءتها من المراءاة أى تخلصها . تخلص النفس من المراءاة  
من أن ترائى نفسها فترى أنها راضية وهى ساخطة فى الحقيقة أو ترائى الله  
تعالى فترى أنها طائعة وهى بالخواطر المكروهة من السخط وعدم الرضى  
تكون عاصية لله تعالى أو مرائية للخلق فتظهر لصفات الأولياء من اليقين  
والتوكل وغير ذلك رياء وهى بسخطها لمقدورها ليست على شيء  
مما تظهر به .

ثم قال والدرجة الثالثة : الغنى بالحق وذلك هو أس الأمر وجوهره ثم قال  
وهو على ثلاث مراتب : الأولى شهودك ذكره إياك لأن نسيانك أنك بنظر  
الله نسيان لله ولحقيقة نفسك والثانية دوام مطالعة أوليته لأنك لو فكرت  
فى أوليته الأزلية ووجوده المطلق ومشيبته السكاملة ، لو طالعت تلك الأولية  
زيادة على شهودك أنك بعين الله دخلت فى المرتبة الثالثة ألا وهى الفوز  
بوجود شهودك ذكره إياك كما يقول الشيخ .

يعنى لو فعلت ذلك من الاتصاف بالغنى : الغنى بالحق وشهدت بعلم اليقين  
أو بعينه أو بحقه ذكر الله إياك وأنتك بعينه وأدمنت مطالعة ذلك ناظرا إلى  
أولية وجوده في أزليته لو بدا ذلك منك لفزت بشهود رؤيته (رؤية قلبية)  
ومعنى ذكره إياك أى أنه ذا كرك قبل أن تولد وبعد أن ولدت وحين  
تموت وأنه بحالك عليم خبير فاذا رأيت ذلك كله كنت غنى الوجود غنى  
القلب غنى النفس .

وأنشدوا فى ذلك :

كن عن همومك معرضا	وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخير عاجل	تنس به مس القضا
ولربما اتسع المضيق	ولربما ضاق الفضاء
الله يفعل ما يشا	فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل	فقس على ما قد مضى

## باب مقام المراد

قال الله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة  
من ربك) .

ثم قال الشيخ صاحب منازل السائرين رضى الله عنه : إن أكثر  
المتكلمين فى هذا العلم جعلوا المراد والمريد اثنين وجعلوا مقام المراد فوق  
مقام المريد وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر  
وللمراد ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن يعصم العبد وهو يستشرف للجفاء اضطرابا  
بتمغيض الشهوات وتعويق الملاذ وسد مسالك المعاطب عليه اكراها .

ثم قال والدرجة الثانية : أن يضع عن العبد عوارض النقص ويعافيه

من سمة اللامة ويمسكه عواقب المفورات كما فعل سليمان عليه الصلاة والسلام  
في قتل الخيل فحمله على الريح الرخاء فأغناه عن الخيل وفعل بموسى عليه  
الصلاة والسلام حين ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ولم يعتب عليه كما عتب  
على آدم وداود ونوح ويونس عليهم الصلاة والسلام .

والدرجة الثالثة : اجتباء الحق تعالى عبده واستخلاصه لإياه بخالصته .  
كما ابتدأ موسى عليه السلام وقد خرج يفتبس نارا فاصطفاه لنفسه وأبقى  
منه رسما معارا .

يقول الشيخ رضى الله عنه في المراد والمريد أن أكثر المتكلمين في هذا  
العلم ( علم التصوف ) جعلوا المراد والمريد اثنين وجعلوا مقام المراد فوق  
مقام المريد وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضئان الذين ورد فيهم الخبر  
وللمراد ثلاث درجات : أما قوله إن المتكلمين في هذا العلم جعلوا المراد  
والمريد اثنين وجعلوا مقام المراد فوق مقام المريد فذلك هي الحقيقة إلا أن يصبح  
المريد مرادا والمراد في اصطلاح القوم هو الذى أخذه الله عن نفسه في  
الصغر فشب على الهدى وكلما أراد انحرافا عما رسمه الله له من السلوك في  
طريق الخير إبتلاه الله بما يصرفه عما جنح إليه وجعل في قلبه شعورا بأن  
ما حدث له إنما هو تأديب من الله عز وجل له ليرتد إلى مسلكه القويم  
وبالفعل يتوب إلى الله إن كان مراد الله حقيقة .

ثم قال الشيخ وأشاروا باسم المراد إلى الضئان الذين ورد فيهم الخبر  
حيث يروى في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ( إن لله ضئان في  
خلقه يحيمهم في عافية ويبيتهم في عافية ) والضئان ما يرضن به من الخصائص  
كقولك : هذا متاعى اختص به أنا أو هذا يخصنى والضئان يختص بهم  
الله طميا ويختصون به رغبة ( وما يقتضيه علم التصوف أن المراد هو السائر  
إلى الله بسلوكه وطاعته وتحببه إليه فاذا صح مسلكه اجتباء ) .  
وقد مننا أن المراد هو المأخوذ إلى الله المجتبي الذى تولى الله تربيته

برعايته كما صنع مع محمد صلى الله عليه وسلم ذلك اليتيم الفقير الذي لا وائد  
له ولا مال ولا تعلم فقد اجتباه لنفسه من صغره ولم يعترف في طفولته  
وشبوته بضم أو إله سوى الله ثم هداه إلى قويم الإخلاق ومنتقى المسكارم .  
ولما حان ميقات الرسالة أقرأه وعلمه ثم أرسله رحمة للعالمين . وعلى القدم  
المحمدي خلق الله بعض الفطر السليمة والقلوب النقية والنفوس الطاهرة  
اجتباه منه لهم واصطفاء لحبه ومعرفته ، فالمرید طالب والمراد مطلوب  
والمرید سائر والمراد مسار به لأنه من الضنآن التي ذكرها الحديث وبما أن  
المرید قد ينقلب مرادا بعد كفاحه وجهاده في طريق الله التمس الأمر  
وتلاقى المراد والمرید فواحد محمود مدفوع وهو المراد والآخر راغب  
مجتهد وهو المرید . ثم قال الشيخ والمراد ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن يعظم العبد المراد وهو يستشرف للجفاء اضطرابا  
بتبغيض الشهوات وتعويق الملاذ وسد مسالك المعاطب عليه كرها .

ويريد الشيخ أن يقول إن شأن المراد مع الله أن يعصمه من مزلق الشر  
حالة أنه مستشرف للجفاء بطبيعة نفسه ونموه من الصغر إلى الكبر من  
الطفولة إلى الشبيبة إلى الرجولة وهو في خلال هذا التطور مستشرف أي  
متعرض لأسباب الجفاء من الجبور والشهوات الموبقة وذلك بفعله الرب  
مع عبده اضطرابا عن طريق فطرته السليمة وأيضا يعوق عليه أسباب  
الملاذ من الشهوات فيجعلها مبغضة إليه حينما يوازن بين ما فيها من لذة  
وما فيها من ألم فتغص عليه وذلك ليقية من مسالك المعاطب . وذلك  
أكراها أي ليسكرهه الله على الاستقامة إذا حدث منه انحراف أو  
إعوجاج .

ثم قال والدرجة الثانية : أن يضع عن العبد عوارض النقص ويعافيه  
من سمة اللائمة ويمسكه عواقب الهفوات ويريد أن يقول يفعل الله به مامر  
في الدرجة الأولى ليضع عن عبده عوارض النقص أي يرفعها من طريقه



وينتزعها من نفسه وذلك مثل قول الله للرسول صلى الله عليه وسلم  
( ووضعتنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ) .

ثم قال ويعافيه من سمة اللائمة أى يضع عنه النقائص ليعافيه وكان حق  
الشيخ أن يقول من وصمة اللائمة والسمة هى العلامة وكثيرا ما تطلق على  
علامات الخير أو السرور أو الجمال وأما الوصمة فهى اللفظ الذى يختص  
بمثل هذا المكان والمعنى المراد أن يعافى الله عبده من وصمة اللائمة أى مما يلام  
عليه عنده ويمسكه عواقب الهفوات أى بكل ذلك يجعله دائماً متداركاً لهفواته  
ومعلمها لها بالحسنات ومثل الشيخ رضى الله عنه بقوله كما فعل سليمان عليه  
السلام فى قتل الخيل فحمله على الريح الرخاء وأغناه عن الخيل لما قتل الخيل  
التي ألهته عن الصلاة وإن فسر بعض المفسرين أن مسح سليمان لسوق الخيل  
وأعناقها كان بيده لا بالسيف وإن صح هذا كان علامة على التودد للخيل  
والمقام مقام أنها ألهته عن الصلاة وقيل عن صلاة العصر فكان لابد أن  
يعاقبها لا يمسح على سوقها وأعناقها توددا والأقرب التوسط بأن يقال  
صفعها بيده رفضاً وركلها برجله لينصرف عنها والمعنى المطلوب هنا أن الله  
ملك سليمان عاقبة هفواته فانصرف على التامى بالخيل إليه وهكذا كل سالك  
مخلص يملكه الله عواقب هفواته فيتداركها بالعظة أو بالوازع أو بالخاطر  
ثم قاس الشيخ على ذلك ما فعله الله مع موسى حينما ألقى الألواح وأخذ  
برأس أخيه . كما يقول الشيخ إن الله لم يعتب على موسى كما عتب على آدم  
ونوح ويونس لأن موسى تدارك أمره فاجتبه لما خرج يقتبس ناراً بعدها  
فاصطنعه لنفسه ولم يبق منه إلا رسماً معاراً أى لم يجعله مختاراً بنفسه لنفسه  
بل جعله مختاراً لما يختاره الله له تملكاً لعواقب الهفوات وإعراضاً عما توجهه  
من السيئات .

ثم قال والدرجة الثالثة للمراد اجتباء الحق تعالى لعبده واستخلاصه إياه  
بخالصته كما فعل مع موسى حيث خرج يقتبس ناراً فاصطفاه واصطنعه لنفسه

ويريد الشيخ أن يقول إن نتيجة هذا الأدب المترتب على رعاية الله للشخص المراد إلى الله اجتناء الحق له واستخلاصه بخالصته ، هذا من جهة المراد أما المرید فهو شخص أطاع الله وتقرب إليه فقربه وتحبب إليه فأحبه ثم التقى المراد والمرید في رحاب الحقيقة مستظلين برفاف الرحمة .

وأنشدوا في هذا المعنى :

وله خصائص مصطفىون لجنة      اشتارهم في سالف الأزمان  
اختارهم من قبل خلقه خلقه      فهمو ودائع حكمة وبيان  
ولنا في هذا المعنى أبيات :

شربت غرامكم مذ كنت طفلا  
وسايرت الهوى قولا وفعلا  
وغايرت المغاير والمعادي  
وكل عشيرتي رحما وأهلا  
أهيم بذكركم في كل ناد  
وأصبو نحوكم فرعا وأصلا  
سباني حسنكم من قبل خلقى  
فلا أرضى العوالم لى محلا  
جفاني في هواك جميع قوى  
وقالوا هل سلوت الحب هلا  
تركت بلاهة عزا ومجدا  
وأحملك الغرام وصار شغلا  
وراموا مستحيلا من محب  
إذا ما فارق الحب اضمحلا

ولو بذلوا له الدنيا جميعا  
على سلوان ليلي ما تسلي  
وهيات السلو لمن إذا ما  
تسلي قالت الأشواق كلا  
ولكن اخلّي إذا تعامى  
يلوم العاشقين أذى وجهلا  
وقال معذني ما جئت تبغى  
وفيك نقيّة جسدا وعقلا  
فهل أفنيت نفسك في هوانا  
وجافيت السوا رسما وشكلا  
وهمت إذا رأيت الحب يصفو  
لحي لم يمت ويريد وصلا  
فاما أن ترى أن لا ترانا  
وأما أن تكيّل الدمع كيلا  
على زمن تقضى وأنت غافل  
تهم جهالة وتجر ذبلا  
وكنت وأنت طفل في حمانا  
فمالك في الشياّب تميل ميلا  
واولا رحمة سقيت قديما  
وعطف من مودتنا ولولا  
ولولا أن حفظناك بلطف  
وأدلينا من الإحسان حبلا  
لما انتظمت لك الحسنى طريقا  
وكنت من الصلاح اليوم غفلا

أجبت برئت من عملي وعلى  
وقلت لفاقي أهلا وسهلا  
وافنيت الفناء لكي أراكم  
وأحظى بالمني من وصل ليلى  
\* \* \*

## القسم السادس

وهو قسم الأدوية وفيه عشرة أبواب وهي : الإحسان ، والعلم ،  
والحكمة ، والبصيرة ، والفراسة ، والتعظيم ، والالهام ، والسكنية ،  
والطمأنينة ، والهمة .

## باب الاحسان

قال الله تعالى ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) ثم قال الشيخ  
رضي الله عنه ذكرنا في صدر هذا الكتاب ( كتاب منازل السائرين إلى  
الله ) إن الإحسان اسم جامع لجميع أبواب الحقائق وهو ( أن تعبد الله كأنك  
تراه ) وهو على ثلاث درجات :

ثم قال الدرجة الأولى : الإحسان في القصد بهذيبه علما وإبرامه عزما  
وتصفيته حالا .

والدرجة الثانية : الإحسان في الأحوال وهو أن يراعيها غيره ويسترها  
تظرفا ويصححها تحقيقا .

والدرجة الثالثة : الإحسان في الوقت وهو ألا تزايل المشاهدة أبدا  
وأن لا تخلط بهمتك أمدا وأن تجعل هجرتك إلى الحق سرمدًا .

يقول الشيخ رضى الله عنه : أنه ذكر الإحسان فى صدر هذا الكتاب لأن الإحسان اسم جامع لسائر أبواب الحقائق وهو أن تعبد الله كأنك تراه وحسب الإحسان أن يكون هو الإحسان ، الإحسان فى كل ما هو بين العبد والرب وهو يختص بالقلب والقصد والنية أكثر مما يختص بالجوارح وإن كان نوره يفيض على الجوارح فتحسن العمل مستمدة من أضواء نور اليقين . قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الإحسان فى القصد بهذيبه علما وإبرامه عزما وتصفيته حالا والإحسان فى القصد معناه إحسان فى النية والإرادة والعزم الخ . ومعنى الإحسان فيه تهذيبه علما أو وقوعه على شرائط العلم والمراد بالعلم هنا العلم بالكتاب والسنة ثم العلم بطريق الله . ثم قال وإبرامه عزما والعزم هو القصد المتجه الذى لا يتحول فإذا حدث ذلك أصبح حال السالك الإخلاص فى العمل والشهود فى الغاية فإذا حدث ذلك صار الحال صافيا من الشوائب وأول تلك الشوائب إدعاء السالك أن له حالا مع الله وثانية الشوائب أن يتحدث بحاله إلى غير الله فيكشف عن مواجيدته الإلهية لمن لا يعرفها ولا يفهمها فيكون كشفه هذا سبباً من أسباب الضلالة أو إعطاء الحكمة لغير أهلها وفى مثل هذا المعنى يقول أحد الصوفية .

من يأمنوه على سر فباح به      لن يأمنوه على الأسرار ما عاش

ثم قال والدرجة الثانية : الإحسان فى الأحوال والإحسان فيها مراعاة نقائها كما قدمنا وكان الإحسان من أعظم أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الحال الذى انتهى به إلى العروج للسماء فدنا وتبلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، وفوق هذا وذاك ما ذكره الله تعالى فى هذا المقام من قوله ( ما زاغ البصر وما طغى ) فالإحسان فى الأحوال أولاً شكر الله عليها

وثانيا حفظها من الغفلة عن الشهود أو المراقبة وذلك مراعاة لها وغيره عليها . ثم قال الشيخ ويسترها تظرفا ذلك لأن كشف الأحوال لغير أهلها يعتبر أسرافا وتنطعا ، قال ويصححها تحقيقا ذلك لأن الأحوال متعددة كالأنس يعقبة الشوق ثم يليه الحب ثم تليه المشاهدة ويكون تحقيق الأحوال بتسكيل متابعتها والترقي في مجالها فإن غفل عن ذلك يقف عن الترقي أو يرتد مسلكه منعكسا لعدم رعاية الأحوال وبسبب البوح بالأسرار أو الدعوى في الحال الذي هو حاصل عقده أو الحال الذي لم يصل إليه .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : ( الإحسان في الوقت ) والإحسان في الوقت حفظه ومعنى الوقت ما تجلّى به عليه من حال فهو وقته ولذلك قالوا الصوفي ابن وقته فيجب عليه رعاية الحال في الوقت الذي هو فيه فإذا بذل رعاية الحال استمر شهوده ، ولذلك نبه الشيخ بقوله ولا تخلط بهمتك أمدًا والأمد مرادف الوقت فهو يريد أن يقول خلص وقتك للحال الذي أنت فيه ولا تخلط به وقتا آخر حتى تبلغ شهوده فإن شغلت نفسك وخواطرك بأمد آخر غير الوقت الذي أنت فيه تشوش عليك حالك ؛ وبما أن الحال هو ما يرد على القلب من الوهب الإلهي لأن الفرق بينه وبين المقام أن المقام مكسوب بالاجتهاد وحسن الطاعة وأما الحال فهو موهوب بمجرد الفضل فكل وارد على القلب استنار به القلب وانشرح له الصدر وقوى به الحال فهو وارد إلهي وأما عكسه أي الوارد الذي لا ينهض به الحال ولا يستقيم به المقام ولا تنشط له الروح في المراقبة والمشاهدة ثم لا تنشط به الجوارح في الطاعة والعبادة فهو وارد شيطاني وفي بعض النسخ ولا تخلط بوقتك أبدا بدل أمدًا فإن كان هذا مراد الشيخ فيكون معناه ألا تشغل وقتك مع الله بذكر أحد غيره أو تصويره وهذا لأجل التمكن في الحال ولأجل تصفيته أيضاً ثم قال الشيخ وأن تجعل هجرتك إلى الحق سرمدًا ومعناه أن

تجعل هجرتك كلها من أول مقام التوبة إلى حال المشاهدة هجرة دائمة لا يعتريها فتور ولا يعتورها تلفت وذلك من تمام باب الإحسان الذي هو أن تعبد الله قلبا وقالبا كأنك تراه . فإن لم تتمكن فاعبده على أنه يراك .

وأنشدوا في حال الإحسان فقالوا :

غير ليلي لم ير في الحى حى	سل متى ارتبت عنها كل شى
كل شى سرها فيه سرى	فلذا يثنى عليها كل شى
قال من أشهد معنى حسنهما	أنه منتشر والكل لمى <sup>(١)</sup>
هى فى المربع لا غيرها	فلذا تدعى بلا شى سوى
هى مثل الشمس تبدى نورها	فتى ما ان ترمسه عاد فى
هى كالمرآة تبدى صورا	قابلتها وبها ما حل شى
هى مثل العين لالون لها	وبها الألوان تبدى كل زى
عجبا تنآى ولا أبى لها	ثم من يرنو وصلها ملء يدى

\* \* \*

## باب العلم

قال الله تعالى (وعلمناه من لدنا علما)

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : العلم ما قام بدليل ورفع الجهل وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى : علم جلى يقع به العيان أو استفادة صحيحة أو صحة تجربة قديمة .

---

(١) ويريد بمعنى والكل لمى . أن الكل مين . والمين هو الباطل الذى لا ثبات له .

والدرجة الثانية : علم خفي ينبت الأسرار الظاهرة من الأبدان الزكية بماء الرياضة الخاصة ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية في الأحايين الخالية في الأسماع الصاخبة وهو علم يظهر الغائب ويغيب الشاهد ويشير إلى الجمع .

والدرجة الثالثة : علم لدني لإسناده وجوده وإدراكه عيانه ونعته حكمة ليس بينه وبين الغيب حجاب .

أما قول الشيخ العلم ما قام بدليل ورفع الجهل فيريد العلم بالشرع كتاباً وسنة والعلم سلوك الطريق وهو علم أصوله وقواعده ثم علم الباطن وهو جمع علوم الحقيقة وبعد كل ذلك العلم بالآقوانية الإمكانية وهذه الدرجة درجة العلم يجب أن ترافق السالك المرید طوال إرادته من التوبة إلى المحبة إلى المشاهدة ويقول الجنيد رضى الله عن وجوب العلم بظاهر الشرع للسالك المرید والواصل السكامل ( من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ) وقال أبو حفص رضى الله عنه ( من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولن يهتم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال ) وقال السرى السقطى رضى الله عنه ( التصوف اسم لثلاثة معاني : ألا يظنيء نور معرفتك نور ورعك ولا تتكلم بباطن علم ينقضه عليك ظاهر الكتاب ولا تحملك الكرامات على هتك أستار الله . ويقول أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه ( عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد على من العلم ومتابعته ) ويريد بذلك تطبيق الباطن على الظاهر والحقيقة على نهج الشريعة وقال أبو يعقوب النهرجورى رضى الله عنه ( أفضل الأحوال ما قارن العلم ) .

وأما قول الشيخ في الدرجة الأولى أن العلم ما قام بدليل ورفع الجهل أى ما قام بدليل من كتاب أو سنة ورفع الجهل بهما وهذا لا يمنع رفع الجهل بالعلم مطلقاً وإنما كان التخصيص للكتاب والسنة لمراعاة مقتضى



الحال فالعلم وقت الطلب ما قام بدليل وشرطه أن يرفع الجهل ويؤتى صاحبه معانى الاتصاف بالعلم . ثم قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى علم جلى به يقع العيان واستفاضة صحيحة أو صحة تجربة قديمة ومعنى العلم الجلى العلم الذى لا خفاء فيه ومعنى قوله به يقع العيان أى يطابق الواقع ومعنى استفاضة صحيحة يريد به صحة الرواية ومعنى قوله أو صحة تجربة قديمة أن يكون مطابقا للفعول بالتجارب ويكون الصحيح فى نظر الشيخ هو العلم الذى صحت روايته أو صحت الدراية فى الأخذ به ثم يكون مع ذلك مطابقا للواقع ويكون من جهة أخرى موافقا للعقل بالخبرة أو بالتجربة .

ثم قال والدرجة الثانية ، علم خفى ينبت فى الأسرار الظاهرة من الأبدان الذاكية بماء الرياضة الخالصة ويظهر الأنفاس الصادقة لأهل المهمة العالية فى الأحايين الخالية والأسماع الصاخبة وهو علم يظهر الغائب ويغيب الشاهد ويشير إلى المجموع .

ويريد الشيخ أن يقول إذا صح العلم الظاهر ووافق عليه السر الباطن كان معرفة وهذا معنى المعرفة عند القوم أما قوله ينبت فى الأسرار الظاهرة فيريد هنا بالأسرار إحدى معنيين إما يريد السر الذى يئنه وبين الله المكتسب من السلوك مقاما وحالا وأما يريد بالمعنى الآخر السر الذاتى المعبر عنه بالروح أحيانا وبالنفوس أحيانا أو اللطيفة المودعة فى العضو الصنوبرى المسمى بالقلب وهذا السر قائم بالروح وبه أيضا يقرم القلب المعنوى الذى نسبته للقلب الصنوبرى كنسبة النور للمصباح وهذا السر لا تحمله طبعاً إلا أبدان تزكت بالطاعة لله وبالأدب . وهذا ما يعنى به الشيخ ماء الرياضة الخالصة وأما قوله ويظهر فى الأنفاس الصادقة أى الصادقة فى تلك الرياضة التى هى حسن الطاعة وحسن الأدب وذلك لا يكون إلا بالمهمة العالية كما فى

الآحايين الخالية أى كما كان عند السلف الصالح الذى نتابع نحن خطواته فى الله . ثم قال والأسماع الصاخبة بمعنى المصغية أو السامعة المطيعة فإذا تم للسالك كل ذلك كان علمه علما يظهر الغائب ويغيب الشاهد ومعناه يظهر الباطن باطن العلم ثم يصير ظاهر العلم إلى حقيقته الباطنة ، وبهذا وذاك يشير العلم إلى الجمع أى إلى مقام الجمع ومقام الجمع هو الجمع على الله بوحدة الشهود الذى يقوم به السر ويمتد به السر للحظ التوحيد : توحيد الحق وهذا مبلغ كل ما يصل إليه السالك فيقع فى وحدة الشهود وأن غلط قوم وسبوا هذا المقام وحدة الوجود .

ثم قال والدرجة الثالثة : علم لدنى أى من لدن الحق سبحانه وتعالى تفضلاً وإفاضة وإلهاماً ، وإسناد ذلك العلم أى منده وحجته ووجوده هو إدراكه وعيانه ونعته حكمه . ليس بينه وبين الغيب حجاب أما قوله إسناده وجوده أى أنه حقيقة ذاتية تصدر من القلب ، والكلام إذا خرج من القلب فإلى القلب يذهب دون إسناد أو برهان . وقوله وإدراكه عيانه أى أنه مطابق للعقل وهو يعين المطابقة لقصور العقل عن إدراك كل الحقائق . وأما قوله ونعته حكمه أى وصفته حكمه وذلك بأن ليس بينه وبين الغيب حجاب لأنه إلهام من الله الذى يلهم النمل والنحل والدواب والإنسان وغير أن هذا العلم يلامس الفطرة ويلامس القلب أكثر مما يضاهي العقل .

وأنشدوا فى هذا المعنى قولهم .

أتم المقصود لا العلم	وأهل الحى قد علموا
كيف أخفى والغرام له	شاهدان الدمع والسقم
يا أضحاجى بنى سلم	من أضحاجى وما السلم
أنا عن اليوم فى شغل	فذكرونى إن نسيتمكموا

## باب الحكمة

قال الله تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) .

وقال الشيخ رضى الله عنه الحكمة اسم لأحكام وضع الشيء في موضعه وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى : أن تعطى كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تجعله قبل وقته .

والدرجة الثانية : أن تشهد نظر الله تعالى في وعيده وتعرف عدله في حكمه وتلاحظ بره في منعه .

والدرجة الثالثة : أن تبلغ في استدراكك البصيرة وإرشادك الحقيقة وإشاراتك الغاية .

أما قوله الحكمة اسم لوضع الشيء في موضعه فهو ظاهر ، وفسره الشيخ بالدرجة الأولى عند قوله والدرجة الأولى أن تعطى كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تجعله في غير وقته وتكون النتيجة وضع الشيء دائما في موضعه وذلك ظاهر أيضا في قوله أن تعطى كل شيء حقه أى حقه اللائق به دون مغالاة أو قصور بدليل قوله ولا تعديه حده وأيضا لا تجعله قبل وقته كما يقول الشيخ أو بعد وقته لأن لكل وقت عملا لا يصلح في وقت غيره ويكون مجموع هذه المعاني كلها هو الحكمة تقديريا وعمليا .

ثم قال والدرجة الثانية أن تشهد نظر الله في وعيده وتعرف عدله في حكمه وتلاحظ بره في منعه وكون العبد يشهد نظر الله في وعيده ضرب من ضروب الحكمة فهو صحيح بل هو أعلى ضروبها وأن تعرف عدله في

حكمه بأن تدرك كله في فعله وهذا ضرب آخر من ضروب الحكمة إذا سموت إلى التعرف إلى حكمة الله في عدله وفي فضله فإذا صح منك ذلك لحظت بره في منعه وفي عطائه سواسية لأنه سبحانه وتعالى حكيم وعادل . وعدله في العقوبة وفي المثوبة ناشئ . عن حكمته إذا آمنت بأنه آله حكيم وإذا لم تؤمن أنت بذلك فعنده الناشئ من حكمته أمر واقع بالفعل علمت أو لم تعلم .

ثم قال والدرجة الثالثة أن تبلغ في استدراكك البصيرة وإرشادك الحقيقة وإشارتك الغاية أما قوله أن تبلغ في استدراكك البصيرة أى حد البصيرة بالتبصر وبذلك تبلغ في إرشادك المطابقة للحقيقة وتبلغ في إشارتك الغاية المقصودة بنصحك وإرشادك لأنك على الحكمة إذا استعملت العقل والبصيرة معاً فلا شك أنك تبلغ الغاية فيما تشير إليه من الإرشاد وما تشير به .

وأنشدوا في معنى الحكمة العملية والعقلية والروحية:

إنما الحكمة بذت الاختبار      تجتليها النفس عند الاعتبار  
وأنشدوا أيضاً في هذا الباب :

وليس في العالم ظلم جارى      إذ كان ما يجرى بعلم البارى

## باب البصيرة

قال الله تعالى ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه البصيرة ما يخلصك من الخيرة وهى على ثلاث درجات : —

الدرجة الأولى : أن تعلم أن العلم القائم بتمهيد الشريعة يصدر عن عين لا يخاف عواقبها فترى من حقه أن يؤديه يقينا ويغضب له غيره .  
والدرجة الثانية : أن تشهد في هداية الحق وإضلاله إصابة العدل وفي تكوين أقسامه رعاية البر وتعاينه في جذبه جبل الوصال .  
الدرجة الثالثة : بصيرة تفجر المعرفة وتثبت الإشارة وتثبت الفراسة .

يقول الشيخ رضى الله عنه بكلمة واحدة البصيرة ما يخلصك من الحيرة وهذه الكلمة أبلغ ما يقال في هذا المقام وما علينا نحن إلا أن نبين ماهي البصيرة للقارىء ليكون على بصيرة من أمره فنقول البصيرة هى إشراق الفطرة الأصلية وكل مخلوق له حظ من تلك البصيرة بحسب هذا الاشراق قوة وضعفا فالفطرة السليمة النيرة تجدد في القلب نورا زائدا عن مواجيد الشعور والتعقل والإحساس وهذا النور يزيد إذا اتجهت البصيرة إلى ميدعها مستمدة من نوره وينقص إذا انصرفت الفطرة عن ذلك النور وقد قلنا في هذا المعنى يلتين من الشعر وإن كان فيهما من الرمز ما فيهما غير أن بهما قد يحدث للقارىء ضرب من التنوير في فهم معنى البصيرة وإليك ألبيتين :

نوران نوران لم يخلقهما بشر      في كل نور من النورين نونان  
نونان نونان لم يخططهما قلم      في كل نون من النونين نوران

والمراد بالنورين هنا نور القلب زائد نور البصيرة المتأتى من إشراق الفطرة السليمة على القلب المؤهب للاستئثار بنور البصيرة والمراد بالنونين هنا ذلك النور الفطرى الذى ذكرناه مضافا إليه نور الحق فإذا التبست الأمور على صاحب هذه البصيرة توجه بقلبه إلى الله فيتخلص من الحيرة لأن البصيرة حينئذ تكون كالوميض الذى يصدر عن قطبين كهربيين اتصالا بالتيار الكهربائى فهو سريع الحصول كالسكراباء ، والمقصود بالوميض فى

المثال ما يحدث من شرارة كهربائية سريعة الحدوث . وبعد أن قال الشيخ  
البصيرة ما خلصك من الحيرة ، قسمها كعادته إلى ثلاث درجات : -

الدرجة الأولى أن تعلم أى ببصيرتك أن العلم القائم بتمهيد الشريعة أى  
بأنزالها وانتشارها وتبويب أقسامها مما يحل أو يحرم فإن ذلك العلم يصدر  
عن عين لا يخاف عواقبها والمقصود هنا علم الله وإحاطته ، لا يخاف عواقبها  
لأنها تصدر عن الإله الحكيم والرحمن الرحيم فتكون عواقبها دائماً خيراً  
فلا تخشى عواقبها وأن كانت غيباً . لأن الذى يخشى إنما هو عواقب الشر  
أو الجهل لا الخير ولا الحكمة فترى أى البصيرة من حقه أى من حق  
صاحبها أن يؤديه يقيناً والمراد هنا الشرع والمعنى أن يؤدى أحكامه معتمداً  
على اليقين لا على الظن ثم قال ويغضب له غيره أى لذلك الشرع بما أنه  
عنده فى موضع اليقين فمن حقه أن يغضب له إذا حدث ما يعارضه ولن  
يعارضه إلا الشر أو الجهل .

ثم قال والدرجة الثانية أن تشهد فى هداية الحق وإضلاله إصابة العدل  
وفى تكوين أقسامه ( قسمه ) رعاية البروتعاين فى جذبه حبل الوصال  
ومعنى هذا أن البصيرة الصحيحة المنأتبة عن سلامة الفطرة وتنوير القلب  
والتسليم للشرع باليقين الخالص من حقه أو من واجبها أن تشهد فى هداية  
الحق لعباده أو إضلالهم إصابة العدل لأن الهدى والضلال إنما يحدث بسبب  
ضعف البصيرة أو قوتها وهذا لا يمنع أنه يحدث بتقدير الله ، وذلك التقدير  
ناشئ عن فقر القلب أو غناه أى استعداده للهداية أو قلة ذلك الاستعداد  
والله سبحانه يعطى بالقسط فيهدى من يشاء لأنه أوجد فيه الاستعداد قبل  
خلقه ويضل من يشاء بمقتضى عدله ثم قال وفى تكوين أقسامه أى والبر  
أيضاً فى تكوين هذا الأقسام فمن البر أن يهب لسكل مستحق ما يستحقه  
وفى هذا بر وعدل ضرورة فالبصيرة تعين فى بر الله وعدله جذب حبل  
الوصال لا حبل القطيعة .

ثم قال والدرجة الثالثة : بصيرة تفجر المعرفة وتثبت الإشارة وتثبت  
الفراسة وفي قوله بصيرة تفجر المعرفة إذا كان حال المرء ما قدمنا من  
الأدب مع أمر الله الشرعى وأمره القدرى كانت بصيرته ضرورة من  
البصائر التى تفجر عنها المعرفة وتثبت الإشارة أى ما تشير إليه يكون حقا  
لأنها ترى بنور الحق ثم قال وتثبت الفراسة وهذا مترتب على ما تقدم  
ضرورة لأن صاحب البصيرة واليقين والأدب لا يخلو من الفراسة التى  
يؤتاها المؤمنون .

وأنشدوا فى معنى هذا الباب فقالوا :

كان لى ظل رسوم فاستوت شمسى فوالا  
عشت بالمحجوب حقا بعد ما كنت خيالا  
وأنشدوا أيضا فى نفس المعنى :

أما الكون خيال وهو حق فى الحقيقة  
كل من يشهد هذا حاز أسرار الطريقة  
عجبت منك ومنى فنيته بك عنى  
أونيته منك حتى ظننت أنك أنى

### باب الفراسة

قال الله تعالى ( إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه التوسم هو التفرس وهو استئناس حكم  
غيب يعنى بلا استدلال بشاهد ولا اعتبار بتجربة وهو على ثلاث  
درجات :

الدرجة الأولى : فراسة طارئة نادرة تسقط على لسان وحشى فى العمر

لحاجة سميع مرید صادق إليها لا يتوقف على مخرجها ولا يؤبه لصاحبها وهذا شيء لا يتخلص من الكهانة وما ضاهاها لأنها لم تشر عن عين ولم تصدر عن علم ولم تسبق بوجود .

والدرجة الثانية فإساسة تجنى من غرس الإيمان وتطلع من صحة الحال وتلمع من نور الكشف .

ثم قال والدرجة الثالثة فإساسة سرية لا تجتليها روية على لسان مصطنع تصريحاً أو رمزاً .

يقول الشيخ رضى الله عنه : الفإساسة استئناس حكم غيب وهو مثل قولك آنست كذا أى رأيت بالعين أو بالقلب ومنه قول موسى عليه السلام ( آنست نارا ) وهذا بين الرؤية بالعين والرؤية بالقلب تسكون مثل قولك آنست فى نفسى كذا أو آنست كذا فى نفس فلان أو خلقه فكل مستأنس بالغيب يكون صاحب فإساسة ضرورة كالاستدلال على حدوث المطر بالسحاب أو البرق مسبوق بتفكر ضرورة وتردد واستنتاج وكذلك استدلال القليل بجملة المريض عند النظر على غائب صحته التى لا تنظر .

وهناك فإساسة أعلى من ذلك كله وهى فإساسة المؤمن الذى يرى بنور الله لقوله صلى الله عليه وسلم ( اتقوا فإساسة المؤمن فإنه يرى بنور الله ) .

ويقول الشيخ وهى على ثلاث درجات :

ثم قال والدرجة الأولى : فإساسة طارئة نادرة تسقط على لسان وحشى فى العمر مرة لحاجة سميع مرید صادق إليه لا يتوقف على مخرجها ولا يؤبه لصاحبها وهذا شيء لا يتخلص من الكهانة ضاهاها لأنها لم تشر إلى غيب ولم تصدر عن علم ولم تسبق بوجود .

ومعنى قواه فإساسة طارئة نادرة تسقط على لسان وحشى فى العمر مرة معناه ما يجرى على ألسنة السذج والجهال الذين ليست لهم يقظة أهل القلوب



فتكون فراستهم حادثة نادرة طارئة تسقط أى تصدر على لسان وحشى  
أى لم تهذب فتكون فراسته نادرة إذا صحت أو رمية من غير رام .

ويريد الشيخ أن يقول وقد يحدث ذلك عن طريق الفأل الطيب أو  
الردىء أو عن طريق البشرى من الله لحاجة مريد صادق عليها أجزاها  
الله على لسان غيره فيتنبه هو إليها غير عابىء بمخرجها ولا عن أى لسان  
خرجت وقد تخرج من لا يؤبه لشأنه من الناس وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل  
الحسن ويكره الطيرة والتشاؤم ويكون هذا الخاطر الذى يخطر على شخص قد  
لا يؤبه له فيتلفظ به ويسمعه غيره فيتفامل أو يتطير بسببه لا يخلو من أن  
يكون ضربا من ضروب الكهانة، والكهانة هى التكهن والظهور بالتحدث  
على الفأل والبخت وغير ذلك وكان منهم فى زمن الجاهلية كشبرون ثم قال  
وما ضاهاها أى وما شابهها من جنس الضرب بالرمل والحصى والودع  
وزجر الطير الخ . وجعلها ضربا من الكهانة لأنها لم تصدر عن علم صحيح  
ولم تشر إلى عين المراد بالعين الحقيقة أى لم تشر إلى حقيقة ثم قال ولم تسبق  
بوجود شيء يقاس عليه .

ثم قال والدرجة الثانية فإسالة تجنى من غرس الإيمان وتطلع من صحة  
الحال وتلمع من نور الكشف .

ومعنى هذا أن ذلك النوع من الفراسة مختص بأهل الإيمان واليقين  
لأنها تكون من غرس الإيمان ومن دلائل نمو اليقين والإيمان واليقين  
يؤديان ضرورة إلى الترقى فى المقامات والأحوال ولذلك قال الشيخ وتطلع  
من صحة الحال فكلمة كان المتفرس حظه أقوى وأصدق كانت فراسته  
أصلح ومعنى قوله ( وتلمع من نور الكشف ) فنور الكشف ضرورة يولد  
الفراسة لأنها نور متبعث عن كشف وهذا يقتضى وجود قوة الفراسة وهى  
من الله وهذه الفراسة مما يطلق عليه عرفا (المكاشفة) وهى من شأن الأولياء

والصالحين المتصلين بنور الحق — والسامعين على قدم الإخلاص والصدق .

ثم قال والدرجة الثالثة فراسة سرية أى بين العبد وربّه وهى ( السر ) الذى من شأن أولياء الله أن يحفظوه عن غير أهله ثم قال لم تجتلبها روية على لسان مصطنع إنما تجيء بالإلهام الإلهى أولا تأتى بلائمة وتفاصحا تصرّحا أو رمزا .

وأنشدوا فى هذا المعنى قولهم وهو الفراسة الذاتية .  
ضربذى منظر من غير معرفة ورب من تزديه العين ذوفطن  
وفى المعنى الثانى الذى مداره على النور الإلهى أنشدوا .  
وإنى لأرجو الله حتى كأننى أرى بحمىل الظن ما الله صانع

## باب التعظيم

قال الله تعالى ( ما لكم لا ترجون لله وقارا )  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه التعظيم معرفة العظمة مع النذال لها وهو على ثلاث درجات :  
الدرجة الأولى : تعظيم للأمر والنهى وهو ألا يعارضهما بترخيص جاف ولا يمترضهما بتشديد غال ولا يحملها على علة توهم الانقياد .  
ثم قال والدرجة الثانية تعظيم الحكم أن لا ينعى له عوجا أو يدافع بعلم أو يرضى بعوض .

ثم قال والدرجة الثالثة : تعظيم الحق وهو ألا تجعل دونه سببا ولا ترى عليه حقا ولا تنازع له أمرا احتيالا .  
أما قوله التعظيم فهو معرفة العظمة مع النذال لها ويريد معرفة عظمة

الله وأن كان لا يبلغ بمعرفته منهاها وهذا ما يقتضى التذلل لها ومعنى التذلل هنا الخضوع والعبودية والأمل لله والرجى .

ثم قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تعظيم للأمر والنهى وهو ألا يعارضهما بترخص جاف ولا يعترضهما بتشديد غال ولا يحملهما على علة توهن الانقياد .

والدرجة الثانية تعظيم الحكم ومعنى ذلك أن من التزم بالإيمان واتبع شريعة الإسلام وجب عليه تعظيم أمر الله ونهيه بعد تعظيمه لله طبعاً وذلك التعظيم يحصل بألا يعارضهما أى الأمر والنهى بترخص جاف اجتهداً أو تلفيقاً دون نص من الكتاب أو السنة، ومعلوم شرعاً أن الرخصة من الله رحمة بالعباد ولكن التماس الرخص بالتلفيق غير مقبول ولذلك قال الشيخ بألا ينبغي له عوجاً أى للشرع أو يدافع بعلم أى ولا يدافعه بعلم من عنده لم ينزل الله به من سلطان وأما قوله (أو يرضى بعوض) أى لا يرضى عن الشرع المنزل بعوض من رأى المستنبط .

ثم قال والدرجة الثالثة : تعظيم الحق وهو ألا تجعل دونه سبباً ولا ترى عليه حقاً ولا تنازع له حكماً احتيالياً .

وفى هذه الدرجة الثالثة أعاد الشيخ التعظيم : تعظيم الحق ، والحق هنا بمعنى الحق الفاصل بين الهدى والضلال وهو ألا تجعل دونه سبباً أى بينك وبينه سبباً يعيقك عن إدراكه واعتناقه والدفاع عنه ولا ترى عليه حقاً أى حقاً آخر لأن الحق لا يتعدد ولا تنازع له حكماً احتيالياً منك على الحق قصد تغييره بالجدل فيه .

وأنشدوا فى هذا الباب قولهم :

تواضع لرب العرش لعلك ترفع	فما خاب عبد للمهيمن يخضع
وداوم بذكر الله قلبك أنه	لأشقى دواء للقلوب وأنفع
ولا تغترر بالمكر منك وبالمنى	فمن خادع الله المهيمن يخدع

## باب الإلهام

قال الله تعالى ( قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرثد إليك طرفك ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الإلهام مقام المحدثين وهو فوق مقام الفراسة لأن الفراسة ربما وقعت نادرة واستصعبت على صاحبها وقتنا واستعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا فى مقام عتيد وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : إلهام نبي يقع وحيا قاطعاً مقرونا بالسمع أو مطلقاً .

الدرجة الثانية : إلهام يقع عياناً وعلامة صحته أنه لا يخرق ستره ولا يجاوز حداً ولا يخطئ أبداً .

الدرجة الثالثة . إلهام يحلو ليقين التحقيق صرفاً وينطق عن عين الأزل محضاً وللإلهام غاية تتمتع عن الإشارة إليها .

ويقول الشيخ رضى الله عنه الإلهام مقام المحدثين وهو فوق مقام الفراسة لأن الفراسة ربما وقعت نادرة واستصعبت على صاحبها وقتنا واستعصت عليه . والإلهام لا يكون إلا فى مقام عتيد . ويريد الشيخ أن الإلهام يقع من الله للمحدثين ومنهم عمر رضى الله عنه الذى خاطب سارية وهو فى بلاد الفرس وكان عمر يخطب الجمعة على منبر مسجد المدينة وقال خُفَاة ( يا سارية الجبل ) أى عليك بالجبل فاعتصم به أنت وجنودك فحدث عمر وهو يخطب يوم الجمعة بحال سارية وجيشه فأمرهم أن يعتصموا بالجبل وأيضاً سمع سارية أمره فاعتصم هو وجيشه بالجبل ، وطبعاً مقام الإلهام أو التحديث من الله فى الروع (عين القلب) وأما الفراسة فإنها تأتى من طريق النظر العقلى الثاقب غالباً ويشترك فيها المؤمن وغير المؤمن

ويستعملها السكّهان والرهبان والعرافون الخ . والفراسة أيضا تقع صدفة وقد تستعصى في كمال ولاتها على صاحبها وقد يوفق فيها وقتا دون وقت وأما الإلهام فلا يكون إلا في مقام عتيد والعتيد المتيّن والقديم والقوى ومعناه أن الإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد بين العبد وربّه . مقام يقين وإيمان وإحسان وهذا معنى المقام العتيد الذي قد لا يتوافر لأهل الفراسة .

ثم قال وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : «إلهام نبي يقع وحيا قاطعا مقرونا بالسمع أو مطلقا» فنقول وإن كان الإلهام عرفا دون الوحي إلا أنه يشترك معه بنصيب ولو بقدره وبما أن الوحي أعظم أطلق الشيخ القول على الوحي عموما معتبرا أن الإلهام أمر ضمني . فقال مقرونا بالسمع أو مطلقا . أما الوحي المقرون بالسمع فكما حدث لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم حينما تلبس جبريل بصورة دحية الكلبي وخاطب النبي وهو بين صحابته أو مطلقا أي بصورة روحية كصورة جبريل نفسه حينما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال له اقرأ فقال النبي ما أنا بقارىء أى لست قارئاً أحسن القراءة والكتابة . فقال له ( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق ) . الآية .

ثم قال الشيخ والدرج الثانية : إلهام يقع عينا أى معاينة لنفس صافية مخلصه لربها وكأنه شهود بالروح وهنا خصص الشيخ الإلهام الذي يجوز للنبي وللولى والذي لم يصل إلى رتبة الوحي ، والمأمهون من الخلق لهم تاريخ عظيم ودلائل بيّنة وكأنها الرؤى في اليقظة وجعل الشيخ له علامة أو قل شرطاً حيث قال فيه أنه لا يخرق سترًا من حيث أنه لا يحدث إلا من ولى أو صالح أو على الأقل سليم الفطرة أو عبد مستور الحال ومن كان هكذا لا يخرق لله سترًا ولا للناس حجاباً فإذا كشف له عن أمر يختص بأسرار الله ستره عن عباده أو يختص بأسرار بعض الخلق ستره عن غيرهم أو وحى عن نفسه بأن يتناساه ، وأما قوله ولا يجاوز حداً أى حد الإلهام من غير النبي ثم قال ولا ( م ١٤ - التمكن )

يخطئ. أبداً، ذلك لأنه من الله كالرؤيا الصادقة التي هي جزء من سبعين جزء من النبوة :

الدرجة الثالثة : إلهام يجلو يقين التحقيق صرفاً أى يظهر جليلة التحقيق الصرف الذى يتحقق به العبد من لدن الرب ولذلك قال بعدها وينطق عن عين الأزل محضاً ثم قال وللإلهام غاية تمتنع عن الإشارة إليها ويريد الشيخ أن يقول ومدى غاية الإلهام واسع شاسع من حيث اتصاله فى أعلاه بالوحي ومثل هذا الأمر كالإلهام أو الوحي مما يستعصى على اللسان بل على اللغة كالتعبير عنه لأن حروف اللغة قوالب للعانى ومن المعانى ما تسعه تلك الظروف ومنها ما يفيض عنها اتساعاً .

لذلك قال الشيخ وللإلهام غاية تمتنع عن الإشارة إليها ويريد بالإشارة التعبير والتعبير يسكون باللسان أو باليد أو بغيرهما .

وأنشدوا فى معنى الإلهام قولهم .

لم تزل كل نفوس الأحياء	علامة دراكه للأشياء
وإنما تعوقها الأبدان	والأنفس النزع والشيطان
فكل من أذاقهم جهاده	أظهر للقاعد خرق العادة
وهى من النفوس فى كمون	كما يكون الحب فى الغصون
حتى إذا رعدت الرعود	وانسكب الغيث ولان العود
وجالت فى أغصانها الرياح	فعندها يرتقب اللقاح
حتى إذا أينع للعيان	وآمنت جوائح الزمان
باكرها زارعتا والغارس	يتطفها والغير منها آيس

## باب السكينة

قال الله تعالى ( هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه السكينة اسم لثلاثة أشياء أولها سكينة بنى إسرائيل التى أعطوها فى التابوت وقال أهل التفسير هى ريح هفافة وذكروا صفاتها وفيها ثلاثة أشياء : هى لأنبيائهم . معجزة وملوكهم كرامة وهى آية النصر . الخ قوله .

ثم قال والسكينة الثانية هى التى تنطق على ألسن المحدثين وهى ليست شيئاً يملك وإنما هى من لطائف صنع الحق يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحي على قلوب الأنبياء وتنطق المحدثين بنسكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشبه .

ثم قال والسكينة الثالثة هى التى أنزلت فى قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين وهى شىء يجمع إلى النور قوة وروحا يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين ويستكين له العصي والجريء والآبى .

ثم قال وأما سكينة الوقار التى رآها نعتنا لأربابها فانها ضياء تلك السكينة الثالثة التى ذكرناها وهى على ثلاث درجات : —

الدرجة الأولى سكينة الخشوع عند القيام بالخدمة رعاية وتعظيما وحضورا ،

والدرجة الثانية السكينة عند المعاملة بحساسية النفس وملاطفة الخلق . ومراقبة الحق .

والدرجة الثالثة : السكينة التى تنبت الرضى بالقسم وتمنع الشطح الفاحش وتقف بصاحبها على حد الرتبة والسكينة لا تنزل قط على قلب نبي أو ولي .

وقد نوع الشيخ رضى الله عنه أنواع السكينة إلى ثلاثة أنواع : جعل في أولها أو أقلها سكينة بنى إسرائيل التي أعطوها في التابوت ولذلك قال الشيخ إن أهل التفسير قالوا أنها ريح هفافة تصحب التابوت وهى لانبياهم معجزة وملكهم كرامة ومن صفاتها أن فيها آية أى علامة للنصر . وما ذكر في تلك السكينة من أهل التفسير طويل وعريض مضحك وضمن ما قالوا أنها ريح هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وفي قول آخر أنها هرة لها جناحان من زمرد وزرجد الخ . . وهكذا لبقية ما تجيء به الإسرايليات الى أدخلت إلى تفسير كتابنا العزيز . وليس لنا طائل تحت هذه الأقوال .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والسكينة الثانية وهى من ضمن المهم هى التى تنطق على ألسن المحدثين وقال إنها ليست شيئا يملك وإنما هى من لطائف صنع الحق وقد صدق ثم قال ويلقى أى هذا الشيء المعنى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحي على قلوب الأنبياء وينطق المحدثون بنسكت الحكمة مع ترويح الأسرار وكشف الشبه . وتلك السكينة ليست شيئا سوى الإلهام بدليل قوله إنها ليست شيئا يملك ولكن هى شيء من لطائف صنع الحق يلقى على لسان المحدث بالحكمة كما يلقى الملك الوحي على قلوب الأنبياء وهذا ظاهر لا سيما وأننا بينا فى باب الإلهام معنى الإلهام وتكلمنا عنه .

ثم قال وينطق المحدثون بنسكت الحقائق أى المحدثون من الأولياء تلقى على ألسنتهم لطائف الحكمة من طريق الإلهام والتحديث كما يلقى الملك الوحي على قلوب الأنبياء وتتبع تلك النسكت أو الحكم التى تلقى فى روع الملمم ترويح للأسرار ثم قال وكشف الشبه أى الشبه الحادثة عن القول أو الظنون ثم قال والسكينة الثالثة هى التى أنزلت على قلب النبي عليه السلام وقلوب المؤمنين وهى شيء يجمع مع النور قوة ورحا يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين طيبا لأنها السكينة ( ثم قال الشيخ رضى الله عنه ويستكين



له العصى الجرىء أى لهذا النور إذا لمح قلبه ويكون كأنه نفحه من نفحات الحق فيستكين له قلبه ولو كان من أهل المعصية ويخضع له أيضا الجرىء والأبى على انتهاك حرمت الله إذا صادفته تلك النفحة وأنزلت على قلبه السكينة استكان لها وأعرض عن الجرأة على خرق حدود الله وهذا معنى الحديث ( إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ) .

ثم قال الشيخ وأما سكينة الوقار - وقد دخل في صلب الموضوع - هى تلك السكينة التى تراها نعتا لأربابها أى صفة ملازمة لهم ظاهرة عليهم فأنها ضياء . تلك السكينة ألا وهى سكينة المؤمنين ثم جعل الشيخ هذه السكينة تقتضى التنوع إلى ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : سكينة الخشوع عند القيام بالخدمة أى بالطاعة والعبادة رعاية وتعظيما أى لله وحضورا أى مع الله .

ثم قال والدرجة الثانية : السكينة عند المعاملة بمحاسبة النفس وملاطفة الخلق ومراقبة الحق فأما محاسبة النفس فهى أصل تلك الأصول والمؤمن وبالأخص السالك لطريق الله ملتزم بالرجعة إلى نفسه صباحا ومساء يسأل نفسه ماذا صنعت وبم تسكمت وفى أى نهج سعت ولمن أسأت ولمن أحسنت وهكذا وبهذه المحاسبة الدائبة يتخلص العبد الصالح المجد من أدواء نفسه وفزواتها ويتبين بهذه المحاسبة السبيل المستقيم .

ثم أضاف الشيخ على محاسبة النفس ملاحظة الخلق فى المعاملة وأن يسعهم بخلقه الجميل وأيضا مراقبة الحق وهذا المرجع الأول والآخر لمن سلك الطريق ولمن أراد الخلاص من الشرور أو الاخلاص فى الطاعات .

ثم قال والدرجة الثالثة السكينة التى تنبت الرضى بالقسم أى بما قسمه الحق للعبد فى علمه وفى غيبه .

ثم قال وتمنع من الشطح الفاحش مثل عدم الرضى عن الاعتراض على أحكام الحق .

قال وتقف بصاحبها على حد الرتبة أى رتبة العبودية لله ثم قال والسكينة لا تنزل قط إلا فى قلب نبى أوولى وصدق الشيخ وصدق الله العظيم فى قوله تعالى .

(هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) وأنشدوا أيضاً فى مثل هذه المعانى قولهم .

إن السعيد الذى تمت سيادته      ففى يضر من الدنيا إلى الدين  
يصد بالطوف منه عن زخارفها      فيغتدى ملكاً فى زى مسكين  
وأنشدوا أيضاً فى مثل هذه المعانى

ولما تجلى من أحب مكرما	وأشهدنى ذاك الجمال المعظم
تعرف لى حتى تيقنت أنى	أراه بعينى جهرة لا توها
وفى كل وقت اجتليه ولم يزل	على طور قلبى حيث كنت مسالما
وما هو فى وصلى بمتصل ولا	بمنفصل عنى وحاشاه منهما
وما قدر مثلى أن يحيط بمثله	وأين الثرى من رفعة البدر إنما
أشاهده فى صفوسرى واجتلى	جمالاً تعالى عزه أن يقسما
كما أن بدر التم ينظر وجهه	بصفو غدروهو فى أفق السما

## باب الطمأنينة

قال الله تعالى ( يا أيها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان وبينه وبين السكينة فرقان : أحدهما أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا والطمأنينة سكون أمن وفيه استراحة أفس والثانى أن السكينة تكون نعتا وتكون حينما بعد حين والطمأنينة نعت لا يزال صاحبه وهى على ثلاث درجات : -

الدرجة الأولى : طمأنينة القلب بذكر الله وهى طمأنينة الخائف إلى الرجاء والضجر إلى الحلم والمبتلى إلى المشوبة .

والدرجة الثانية : طمأنينة الروح فى القصد إلى الكشف وفى الشوق إلى العدة وفى التفرقة إلى الجمع .

والدرجة الثالثة : طمأنينة شهود الحضرة إلى اللطف وطمأنينة الجمع إلى البقاء وطمأنينة المقام إلى نور الأزل .

ومعنى قول الشيخ الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح وبذا تكون الطمأنينة غير السكينة أوهى نهايتها وأعلى مقام فيها والطمأنينة وتسبقها السكينة تكون أشبه بالأمن الدائم مصحوبا بالشهود والمعاينة القلبية ولذا قال الشيخ ( وبينها وبين السكينة فرقان ) أحدهما أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا وأما ( الطمأنينة ) ، فهى سكون أمن فى استراحة أفس أى أمن مصحوب بالأنس .

ثم قال والفرق الثانى . أن السكينة تكون نعتا وتكون حينما بعد حين

وأما الطمأنينة وهى أعلى آفاق السكينة تكون مقاما ثابتا لا يفارق صاحبه ولا يحول كحال السكينة الذى يحول أحيانا ولذا سمي حالا والحال قد يحول .

ثم قوله عن الطمأنينة أنها سكون يقويه أمن أى سكون القلب إلى الله بتاتا وهذا فيه من الأمن مافيه وأما ( وصفه هذا الأمن بأنه أمن صحيح ) منعنا للأمن الكاذب الذى يشبه الغرور وقد يكسب الغرور أمنا أحيانا ولكنه ناشئ عن الغفلة وعدم اليقظة فأمن الطمأنينة غير طبعها وهو الأمن الصحيح الذى لا يفارق صاحبه لأن فى الطمأنينة معنى الإقامة والسكون فمقام الطمأنينة يلزمه الأمن والراحة ، والأنس والسكينة قد يصاحبهما الخوف وهو عدم الأنس لأنهما حالان . وقد يصاحبهما بمقتضى هذا أيضا عدم الطمأنينة ولكن السكينة قد لا تلازمها الطمأنينة .

وشاهد ذلك حصول الخوف فيها أى السكينة وايضا فان الطمأنينة أعم من السكينة لأنها نهايتها وأوجها الأعلى . والسكينة قد تثبت وقد لا تثبت واما الطمأنينة فثباتها دائم ولذا ينزل الله السكينة على قلوب المؤمنين فى الحرب وعند مقاتلة العدو وعند الشدائد واما الطمأنينة فصاحبها الأمن .

ثم يقول الشيخ وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : طمأنينة القلب بذكر الله وهى طمأنينة الخائف إلى الرجاء والضجر إلى الاطمئنان والرضى بالحكم والمبتلى إلى (المتوبة) مشوبة الله على الصبر فى البلوى والطمأنينة بذكر الله اولها الطمأنينة إلى كلامه فى كتابه وثانيها إلى ذكره مطلقا فان التالى لكتاب الله والذاكر له بالقلب أو باللسان يتأدى ضرورة من الخوف إلى الطمأنينة ومن اليأس إلى الرجاء ومن الضجر إلى الراحة والسكون ومعنى قول الشيخ طمأنينة الضجر إلى الحكم يريد به الضجر من حمل أعباء التكليف والمجاهدة فى الله فرضاه بالحكم

أى يحكم الله بالحال الذى أقامه فيه ينقلب ضجره طمأنينة وأنسا وراحة  
لعمله أولا بأنه سيثاب وثانيا بأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له وفى مثل هذا  
المعنى يقول الشاعر الصوفى وقد ضجر من حمل أثقال حمله :

ما قضى يا نفس فاصطبرى له      ولك الأمان من الذى لم يقدر  
وتحقق أن المقدر كائن      يجرى عليك حذرت أم لم تحذر

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : طمأنينة الروح فى القصد إلى الكشف  
وفى الشوق إلى العدة وفى التفرقة إلى الجمع ، ( فطمأنينة الروح إلى القصد )  
تدع صاحبها لا يلتفت إلى ورائه أو إلى مختلف السبل لأن القصد أمامه  
ظاهر وهو الكشف عن حقائق الإيمان وحكمة شرائع الإسلام .

وأما قوله وفى الشوق إلى العدة أى وفى حالة الشوق إلى هذا اللقاء  
يطمئن إلى العدة أى إلى ما وعده الله من حصول الوصول والعدة من الله  
مطمئنة ضرورة وهى عكس الإبعاد وأما قوله ( وفى التفرقة إلى الجمع فان  
الطمأنينة إلى وعد الله ترد تفرقة العبد الحادثة من الخوف أو التشقت أو  
اليأس إلى الجمع فتطمئن الروح إلى وعد بارئها كما يطمئن الظمان إلى الماء  
إذا رآه ويسكن برؤياه قلبه ) .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : وهى طبعاً أعلى درجات الطمأنينة  
إنها طمأنينة القلب بشهود الحضرة ورؤية عوامل اللطف والفتح وهذا  
تعبير عن طمأنينة المقام إلى نور الأزل كما يقول الشيخ رضى الله عنه  
والنتيجة أن طمأنينة القلب إلى الجمع وهو مشهد من مشاهد البقاء فصاحبه  
يرى الحق سبحانه قائماً بذاته ويرى بهذا أيضاً قيام كل شىء - فيشهد الحق  
متوحداً فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فلا يرى معه غيره ولا يشهد  
إزاهه سواه وكل هذا تؤدى إليه الطمأنينة إلى نور الأزل وإلى عدة الله  
والله لا يخلف وعده .

وأنشدوا في مثل هذه المعاني قولهم :

ومخطوبة الحسن محبوبة      لا تألفن سوى إليها  
إذا ما تجلت على عاشق      وأهدت إليه شذا عرفها  
تغيب الصفات وتبقى الذوات      بما أبرز الحسن من لطفها  
فإن رام عاشقها نظرة      ولم يستطع لعلا وصفها  
أعارته طرفاً رآها به      فكان البصير لها طرفها  
هذا وأنشدوا أيضاً في باب الطمأنينة :

يا من ألوذ به فيمن أومله      ومن أعوذ به ممن أحاذره  
لا يجبر الناس عظم أنت كاسره      ولا يهيضون عظم أنت جاره

### باب الهمة

قال الله تعالى ( ما زاغ البصر وما طغى ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الهمة ما يملك الإنبعاث إلى المقصود صرفاً  
فلا يتما لكها صاحبها ولا يلتفت عنها وهي على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : همة تصون القلب من خسة الرغبة في الفاني وتحمله  
على الرغبة في الباقي وتصفيه من كدر التواني .

ثم قال والدرجة الثانية : همة تورث ثقة لعدم المبالاة بالعلل والنزول  
على العمل والثقة بالأمل .

ثم قال والدرجة الثالثة : همة تصاعد عن الأحوال والمقامات وتزدري  
بالأعواض والدرجات وتنحى عن النعوت نحو الذات .

أراد الشيخ بمعنى الهمة الذهاب إلى معنى النملك والتحكم في الانبعاث إلى الأمر المقصود صرفا فلا يتماكك صاحبها أى لا يتماكك نفسه عن الانبعاث إلى القصد والغاية وهى وجه الله فلا يتماكك نفسه إذا أراد الوقوف أو الرجوع ولا يملك لنفسه التفافا عن هذه الهمة فى طلب الغاية .

ثم قال وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : همة تصون القلب عن خسة الرغبة فى الفانى وتحمله على الرغبة فى الباقى وتصفيه من كدر التوانى ومعنى قوله همة تصون القلب من خسة الرغبة فى الفانى وتحمله على الرغبة فى الباقى وتصفيه من كدر التوانى وهنا يكاد المعنى أن يكون مفهوما وواضحا ولكن لمعاونة القارىء على فهم كلام الشيخ صاحب منازل السائرين إلى الحق فهما واعيا فإننا نقول : أن همة التى تصون القلب عن خسة الفانى وهوسائر شئون الدنيا وفضولها تلك أول علامة للتحقق من صفات أهل الله الصادقين . وهذا ما لاشك فيه لمن يعقل ويتدبر لأن كل ذى عقل يعلم أن متاع الدنيا صائر إلى الفناء كما يعلم أن الأكلة التى تشبعها فى حين ما مؤدية إلى الجوع حتما ثم يتلوها الشبع بتناول الطعام ثم يليه الجوع وهكذا دواليك وهكذا أيضا كل ما فى يده من متاع الدنيا : مادة سائلة تأتى لتتصرف كزيت السراج فى السراج يفرض نضوبه حتما حين يوقد كذا الدنيا يفرض فناؤها حين توجد وذلك لمن يعقل وهذا نفسه معنى قول الشيخ همة تصون القلب من خسة الرغبة فى الفانى ولا يريد بالخشنة ضربا من ضروب الدنس وإنما يريد بالخسنة الضئولة : ضئولة القيمة للموجود الذى يعرض فناؤه حين وجوده .

ثم قال وتحمله على الرغبة فى الباقى والرغبة فى الباقى تحتل وجهين إما الرغبة فى الآخرة وهى باقية وأما الرغبة فى وجه الله وهو الدائم الباقى سبحانه وتعالى وقلنا لمن يعقل وكررها لأن من يعقل يعتمد على المسبب

الأعلى للأسباب كلها ويعتمد على اليد الفاعلة لا على الفعل نفسه إن شاء أن يكون منطقته سليما .

ثم قال الشيخ وتصفيه من كدر التواني أى التواني فى السير إلى الله والجد فى أعمال الآخرة لأن حامل الثلج يجب أن يسير مسرعا إذا أراد أن تظل فى يده بقية من ماء .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : همة تورث ثقة لعدم المبالاة بالعلل والنزول على العمل والثقة بالأمل .

أما الهمة التى تورث الثقة من عدم المبالاة بالعلل : والعلل هى السوالب كفكرة خلود الدنيا والتعالى بها ومن العلل القعود عن العمل ومن العلل السلبية فى سلوك طريق النُصوف أيضا وهو طريق إيجابى لا يحتمل على التخلف التلفت إلى غير القصد لأن مبناه على الهمة الواثقة التى تملك الانبعاث إلى المقصود كما يقول الشيخ فى الدرجة الأولى ومادام الأمر كذلك فلا بد من النزول على العمل أى لا مناص من اللجوء إلى العمل المستمر الخالص من الشوائب يفعل ذلك كله من تبعثه همته إلى الثقة بالأمل والأمل يقتضى الجسد لا التهاون وإلا كان أملا سلبيا أيضا .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : همة تصاعد عن الأحوال والمقامات وتزرى بالأعواض والدرجات وتنحو عن النعوت نحو الذات . وهذا معناه أن الهمة المقصودة هى الهمة التى تصاعد أى تصاحب العمل لترتفع به بالتسامى والانتقال إلى الترقى عن كل مقام إلى ما هو أعلى منه وعن كل حال إلى ما هو أسمى منه وتلك الهمة التى تملك الانبعاث ( أى انبعاث الطاقة للعمل ) كما يقول الشيخ إلى المقصود وليس هذا فقط وإنما هى الهمة التى تنحو إلى الرفعة عن النعوت نحو الذات أى ترتفع عن مقتضيات الصفات من الأفعال



والأسباب إلى نحو شهود الذات الفعل دون الفعل وهى ذات الله وتلك هى الغاية التى نوه بها الشيخ فى جميع ما تحدث به فى باب الهمة وهذه الهمة طبعاً تترى بكل الأعواض عن الغاياه التى تقصدها وترتفع عن الدرجات والأسباب التى تعوق عنها لأن طلب الحق فوق كل عوض وأعلى من كل درجة ولا سيما طلب الحق الذى هو وجه الله عز وجل . ومما قيل فى الهمة :

فجيعلاً إن كنت ذا همة فقد      حدا بك حادى الشوق فاطو المراحل  
وقل لمنادى حقهم ورضاهم      إذا ماعى لبيك الفاكوا ملا  
ولا تنظر إلى الاطلاع من دونهم فإن      نظرت إلى الاطلاع عدن حوائلا  
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد      ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا  
وخذ منهم زادا إليهم وسر على      طريق الهدى والفقير تصيح واصلا  
وأما تخاض الكلام فقل لها      أمامك ورد الوصل قابع المناهـ لا

### القسم السابع - قسم الأحوال وهى عشرة أبواب هى:

المحبة ، والغيرة ، والشوق ، والقلق ، والعطش ، والوجد ، والدهش ،  
والهيمنان والبرق ، والذوق .

### باب المحبة

قال الله تعالى ( فسوف يؤتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ) .

وقال الشيخ رضى الله عنه : المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس فى البذل والمنع على الأفراد والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التى ينحدر منها على منازل المحو وهى آخر منزل تلتقى فيه مقدمة العامة وساقه الخاصة وما

دونها أعواض لأعواض والمحبة هي سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومعقد النسبة وهي على ثلاث درجات .

الدرجة الاولى : محبة تقطع الوسواس وتلذ الخدمة وتسلي عن المصائب وهي محبة تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة وتنمو على الإجابة بالفاقة .

والدرجة الثانية : محبة تنبعث على إيثار الحق على غيره وتلهج اللسان بذكره وتقلق القلب بشهوده وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات والنظر في الآيات والاولياض بالمقامات :

والدرجة الثالثة محبة خاطفة تقطع العبارة وتدفع الإشارة ولا تنتهى بالنعوت وهذه المحبة هي قطب هذا اللسان وما دونها محاب تنادى عليها الألسن وادعتها الخليفة وأوجبها العقول .

أما قول الشيخ رضى الله عنه المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس فعنائه تعلق قلب المحب بالمحجوب تسوقه لذلك الهمة الخالصة الباعثة وهو متعلق بالانس أنس اللقاء فى الامل فاللقاء يبعث همته على الطاقاة فى السير وإذا — تلاقت همة الطالب وأنس المطلوب فقد تحقق الانطلاق فى السير دون أمت ولا عوض وبين الهمة والانس ينتهى أمر السالك إلى تعلق قلبه بالمطلوب تعلقا لا يكون لغيره فيه حظ أو نصيب ويريد بالبذل والمنع وهب الروح للحبيب وهو بذل وأن منع الحبيب العوض وهو منع وفى معنى قوله على الافراد تؤكد للتجاوب الحادث فى التعلق : تعلق المحب بالمحجوب وأن بذل ولم يجد من محبوبة العوض وهذا شرط الحب الصحيح ولذا قال قائلمهم شعرا .

لا كان من لسواك فيه بقية يجد السبيل بها اليه اللوم

ثم قال ( والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التى ينحدر منها إلى منازل

المحو وهى آخر منزل تلتقى فيه مقدمة العامة وساقاة الخاصة وما دونها  
أعواض لأعواض ( هذا ما فى المتن وفطن أن صحتها أغراض لأعواض  
بدل أعواض لأعواض .

وأما قوله المحبة أول أودية الفناء فمعناه أنها شرط فى سلوك الطريق إلى  
الله فمن شرط السالك أن يكون محبا أو محبوبا وأما قوله والعقبة التى ينحدر  
منها إلى منازل المحو فمعناه أن السلوك محو وإثبات فناء أو بقاء ومن شرط  
المحو أن يمحو ما دون الله من قلبه حتى نفسه وأغراضها ونزواتها والمراد  
بهذا المحو الوصول إلى الثبات وهو الإثبات بعد المحو فتتضح للسالك معالم  
الطريق ثم قال الشيخ وهى أى هذه الرتبة فى المحبة آخر منزل تلتقى فيه  
مقدمة العامة أى عامة السالكين ومنهم من سيسير فيحصل ويحجوليثبت  
ومنهم من يعود من وسط الطريق راجعا إلى نفسه وعاداته وبقية أو هام  
الخليقة وأما قول وساقاة الخاصة أى أن هذه الرتبة نفسها أول ساقاة الخاصة  
ومعنى الساقاة قلب الفئة أو مجمع الجماعة ومنها ساقاة الجيش . ثم قال الشيخ  
وما دون ذلك فى هذه المرتبة فهى أعواض لأغراض أى تحجب وطاعة  
لنوال مطالب من الله كالغنى والستر والمعرفة ودخول الجنة الخ فهى أغراض  
تطلب للفوز بالأعواض المترتبة عليها ثم قل والمحبة هى سمة الطائفة ويريد  
أن يقول والحال الواقع أن المحبة التى من بواورها تلك المنزلة من الحب  
الإلهى هى سمة الطائفة أى دلالتها الدالة وعلاقتها المؤكدة وشرطها الحازم  
وهى أيضا عنوان الطريقة كقولك (يعرف الكتاب من عنوانه) ثم قال ومعقد  
النسبة أى الأساس والقاعدة التى تبني عليها النسبة لأهل طريق الله وأولها  
محبة الله ورسوله وإعطاء الطاعة كاملة مع التسليم للكتاب والسنة لقول  
الله تعالى فى كتابه العزيز ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله )  
مؤيدا بقوله تعالى ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة  
أىهم أقرب ) .

فابتغاء القرب بالأعمال الصالحة ومحبة الله ورسوله على شرط الطاعة والتسليم والعمل بما أنزل وشرع كل هذا معقد النسبة أى قاعدة الانتساب إلى أهل الله الذين يحبون الله ورسوله ويطيعون الله ورسوله وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار) فمن كان سالك طريق الله على هذه العقيدة والعقيدة هى الركيزة قد وصفه الله سبحانه وتعالى فى أثر قدسى جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى من أداء ماقرضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه ) . ومن أحسن ما قيل فى هذا المقام ما رواه أبو بكر الكتانى حيث قال ( جرت مسألة فى المحبة ووصف المحب بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا : هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم (عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هيئته وصفا شربه من كأس وده وتكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فعن الله فهو بالله والله ومع الله فبى الله الشيوخ وقالوا ما على هذا من مزيد جزاك الله خيرا يا تاج العارفين .

هذا وليسمح لى قارئى أن أقول من من الناس ذوى العقول السليمة والفطر النقية يرى ويشاهد بر الله وإحسانه وفضله وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة على عبده . من من هؤلاء وأولئك يفكر فى كل هذا ولا يحب مولاه الواهب الكريم والمحسن دون انتظار للجزاء والمتفضل بالنعيم على

عباده: أحبائه وأعدائه من آمن به ومن لم يؤمن حتى الشيطان نفسه أقر بذلك وهو طامع في رحمته ويجادل لأجل هذا ويعترف بقوله بلغة الذكر الحكيم ( فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ) أى الذين أخلصتهم بخالصة الحب .

ومعنى الحب شعور يستولى على حبة القلب فيحجب بصره عن غير رؤية المحبوب . وهنا يقال إن الحب صار شغفا والشغف الواصل إلى غشاء القلب ومن معانى الحب التبعيد لأن العبد وهو المحب إذا وصل لمثل هذا المقام يصرح بأن المحبوب قد ملك رقه فهو عبده ظاهرا وباطنا ومن هنا جاءت عند الصوفية كلمة العبودية وليس فوق العبودية إلا رتبة الخلقة التى انفرد بها الخليل إبراهيم عليه السلام ثم ورثها محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق اسماعيل وصح عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال ( إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ) وفى هذا المعنى: معنى الخلقة المخاللة يقول الشاعر العربى :

قد تخللت مسلك الروح منى      لذا سمي الخليل خليلا

وهذا معنى الخلقة ، وأما معنى المحبة فأصلها فى اللغة الصفاء أو البياض ومنه الحبيب لصفاء الأسنان وأيضا بمعنى العلو والظهور ومنه حبيب الماء وذلك ما يعلو الماء عند المطر وحبيب الكأس منه وأعظم معانى الحب لغة ومعنى أن الحب مأخوذ من أحب البعير إذا بربك وثبت ولم يقم وأن ألحوا عليه فيقولون أحب البعير من جهة اللغة وأما من جهة علم التصوف فمعنى الحب موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب ومعنى آخر إشار المحبوب على كل مصحوب ومن أحسن ما قال الصوفية فى جملة تلك المعانى قولهم :

قال الأول :

نق الفؤاد حيث شئت من الهوى      ما القلب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يأنفه الفتى      وحينئذ أبدا لأول منزل  
تركته هوى ليلي وسعدى بمعزلة      وعدت إلى مصحوب أول منزل  
ونادت لي الأشواق مهلا فهذه      منازل من تهوى رويدك فانزلي

وقال آخر : ( رابعة العدوية )

ولقد جعلتلك في الفؤاد محدثي      وأبحت جسمي من أراد جلوسى  
فالجسم منى للجلوس مؤانس      وحيب قلبي في الفؤاد أنيسى  
وقال الثالث من الصوفية .

فما كل عين بالحبيب قريرة      ولا كل من نودى يحيب المنايا  
ومن لم يحب داعى هداك شغله      يحب كل من أضحى إلى الغنى داعيا  
وقل للعيون الرمد إياك ترى      سنا الشمس فاستغشى ظلام الليالي  
وسامح نفوسا لم يهبها الحبهم      ودعها وما اختارت ولاتك جافيا  
وقل للذى قد غاب يكفى عقوبة      مغيبك عن ذى الشأن لو كنت ذا كيا  
ووالله لو أضحى نصيبك وافرأ      رحمت عدوا حاسد لك قالبا  
خفافيش أعشاها النهار بضوئه      ولأه ما قطع من الليل باديا  
فياحنه الحسناء تهدي إلى امرئ      ضرير وعنين من الوجد خاليا  
فضن بها إن كنت تعرف قدرها      إلى أن ترى كفوا أذاك موافيا  
فما بهرها شئ سوى الروح أيها ال      جبان تأخر لست كفوا مساويا  
وكن أبدا حيث استقلت ركائب ال      محبة فى ظهر العزائم سارية  
وادج ولا تخش الظلام فإنه      سيكفى المطايا طيب ذكراه حاديا  
وأقدم فأما منية أو منية      تريحك من عيش به لست راضيا  
فما ثم إلا الوصل أو كلف بهم      وحسبك فوز ذاك إن كنت واعيا

ولسكل هذا وذاك قال الشيخ فى بدء كلامه .

المحبة تعلق القلب بين الهمة والآنس فى البذل والمنع ثم قسم المحبة إلى ثلاث درجات :

ثم قال فى الدرجة الأولى : محبة تقطع الوسواس وتلذ الخدمة وتسلى عن المصائب أما أن المحبة تذهب الوسواس فإن المحبة همة إيجابية والوسواس تردد سلبى فهما أمران لا يتفقان ولذا كان الحب يذهب بالوسواس وأما قوله وتسلى عن المصائب ذلك لأن الحب لا يتم حبه ولا يكمل إلا إذا كان راضيا بكل ما جاء من المحبوب من بر وضر . وهذا شىء مشهور حتى من المحبين بين البشر وبعضهم ثم قال وهى محبة تنبت مطالعة المنة وهذا ما قدمناه من أن الذى ينظر إلى فضل الله وإحسانه وإنعامه وكان ذا عقل مدرك أو فطرة سليمة فلا بد أن يحب ذلك المنعم من كل قلبه فالمنة من الله حاصلة وإنما المحبة تنبت مطالعة تلك المنة كما يقول الشيخ ثم قال وتثبت باتباع السنة وتنحو على الإجابة بالفاقة ومعنى هذا أن طاعة الله مؤدية حتما إلى مطالعة من الله ومن ثم إلى حب الله وتقديم الآفة المقول فيها ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ) ومعناه اتباع السنة .

وأما قوله وتنحو على الفاقة فالمقصود الفاقة إلى الله أو قل الإنكسار إلى الله والإنكسار إلى الله هو الباب الواسع الميسر للدخول إلى الوصول إلى الله تعالى وهو باب العز والقوة .

والدرجة الثانية : وهى أعلى من الأولى محبة تبعث على إشار الحق على غيره وهذا واضح فمن لا يؤثر الله على غيره وعلى نفسه فلا يقبل منه أن يزعم حب الله ثم قال وتلهج اللسان بذكره وهذا أيضاً ظاهر لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ويكون عجباً جداً من يدعى حب الله ولا يذكره ويتبع أوامره فى شرعه ويرد ما اختلف فيه من أمره إلى الله ورسوله .

ثم قال وتقلق القلب بشهوده أى تلك المحبة تجعل قلقا فى القلب وشوقا لشهوده أى لشهود الحق وهى محبة تظهر من مطالعة الصفات أى صفات الحق تعالى والنظر فى الآيات أى عجائب السماوات والأرض وآيات الله فيما خلق وأبدع ثم قال والارتياض بالمقامات ومعناه هنا السلوك أى ويسلك المقامات من مقام التوبة إلى مقام الصبر مثلاً إلى مقام الرضى .

والدرجة الثالثة : محبة خاطفة وهى أرقى من الدرجتين السابقتين تقطع العبارة أى تقطع الطريق على عبارة المعبر عنها من الوصول إلى تمام وصفها ثم قال وتدفع الإشارة لأن الحقيقة المنشودة والتي لا تسعها العبارة أيضاً تقتصر عن إدراكها الإشارة وأنها حقيقة غيبية ولا تنتهى بالنعوت بقصور اللغة والإشارة عن كمال وصفها ثم قال وهذه المحبة هى قطب هذا اللسان أى لسان القوم بالرمز أو بالفهوانية أو باللدنية أو قل ماشئت المهم أن هذا الحقيقة التى تهدف إليها المحبة لا تنتهى بالنعوت وهى قطب هذا اللسان لسان القوم أهل الله وسالكى طريق التصوف ثم قال وما دونها أى مادون ذلك من درجات المحبة الثلاث التى ذكرها من محاب تنادى بها الألسن وادعتها الخليفة أى غير الصادقة وتدعيها الخليفة مجرد ادعاء مع حقيقة أوجبته العقول لما ترى العقول فى الخلق من ابداع وحكمة ونظام وعناية وإنعام وكلها أمور تحجب فى واهبها ومعطيتها ضرورة تحكم المنطق العقلى السليم وأن لم يكن بحكم الحب المتفانى . وناهيك بالغفلة فقد تعمى عن كل ذلك ولا تكون المحبة إلا ادعاء .

وأنشدوا فى معنى الحب .

ولما أبى الاجماعا فؤاده لم يسئل عن ليلى ببال ولا أهل

تسلى بأخرى غيرها فإذا التى تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى



وقالوا أيضاً ممثلين لقوة الحب الحقيقي :  
وكننت وعدتني يا قلب أنى إذا ما تبنت عن ليلي تتوب  
وها أنا تائب من حب ليلي فمالك كلها ذكرت تذوب

## باب الغيرة

قال الله تعالى حاكياً عن سليمان عليه السلام (ردوها على فطفق مسحاً  
بالسوق والأعناق) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الغيرة : سقوط الاحتمال ضناً والضيق عن  
الصبر نفاسة وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : غيرة العابد على ضائع يسترد ضياعه ويستدرك فواته  
وتتدارك قواه .

والدرجة الثانية : غيرة المريد على وقت فات وهى غيرة قتالة فإن الوقت  
وحى التقصى أبى الجانب بطيء الرجوع .

والدرجة الثالثة : غيرة العارف على عين غطاها غبن وسر غشيه رين  
ونفس علق بها رجاء أو التفتت إلى عطاء :

أما معنى قول الشيخ فى الدرجة الأولى (الغيرة سقوط الاحتمال ضناً  
والضيق عن الصبر نفاسة فيريد بسقوط الاحتمال ضناً أى ضناً بالوقت  
والعمر والأمنية والضيق صبراً عن الغاية المنشودة ونفاسة والنفاسة هى  
التقدير للسبق إلى الغاية ومنها المنافسة وليس أنفاس من طلب الحقيقة شئ  
فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا شئ يستحق المنافسة والسبق أكثر من تلك  
الحقيقة لدى الانسان الذى يميز بين الحال وبين المصير والمآل . وهذا ما يوجب  
من السالك المجد الضن بوقته وضيق مجال الصبر عن السعى إلى مطلوبه  
النفيس وهو مرضات الله ولا أنفاس من ذلك مطلب ضرورة .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : غيرة المريد على وقت فات وهو كلام متعلق بالمقصد الأول طبعاً إذا أراد أن يسترد ضياعه ويستدرك ما فات به فواته . وأما معنى قوله ويتدارك قواه أى قواه فى صباه قبل الشيخوخة وقبل الاقتدار على الاجتهاد فى العمل الصالح ، ووصف الشيخ هذه الغبرة بأنها غيرة قتاله وعلل ذلك بأن الوقت وحى التقضى أى سرعة ومنه الوحى وهى الاستعجال . أبى الجانب أن يرجع بل مستحيل الرجوع وتلطف الشيخ مع ذلك فقال بعد أبى الجانب بطىء الرجوع .

ثم قال والدرجة الثالثة : هى أرقى من الدرجتين السابقتين غيرة العارف لنفسه أو لغيره على عين غطاها غين والغين الانطباع أو عدم الرؤية ومنه غان على قلوبهم أى ران أى تغطى . ثم قال ( وسر ) أى وغار على سر وعطف على الجملة السابقة ( سر غشيه رين ) والرين من الران وهو الطمس كما تقدم ثم قال ونفس علق برجاء أى وأيضاً غار على نفس وهو بمعنى الأمنية ضاع فى غير ذكر الله أو علق برجاء الوصول ثم قال والتفت إلى عطاء أى تعلق بعطاء من الحق راجياً فقوته عليه التوانى ووحا الزمن أى سرعته التى ضيعت رجاءه بسبب التفويت والبطء مع سرعة الزمن وفى مثل هذا المقام يقول الشاعر الصوفى .

صد عن الحق اتباع الهوى	وزين الباطل طول الأمل
كأن ما فات إذا ما مضى	حلم وما كان كأن لم يزل
بادر فقد أصبحت فى مهلة	للعمل الصالح قبل الأجل
وكن على علم فإن الفتى	يقدم يوماً على ما عمل

## باب الشوق

قل الله تعالى ( من يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه الشوق هبوب القلب إلى غائب ومذهب هذه الطائفة ( أى أهل التصوف ) إنما قام على المشاهدة وهذه العلة لم ينطق القرآن الكريم باسمه ثم هو على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى : شوق العابد إلى الجنة ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمن .

الدرجة الثانية : شوق إلى الله تعالى زرعه الذى نبت على حفات المني فعلق قلبه بصفاته المقدسة واشتقاق إلى معاينة لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله وهذا شوق تغشاه المبار ويخالطه المسار ويقاويه الاصطبار .

والدرجة الثالثة : نار أضرمها صفو المحبة فنجست العيش وسلبت السلوى ولم ينهئها مقر دون اللقاء .

أما قوله الشيخ الشوق هبوب القلب إلى غائب وفى مذهب هذه الطائفة الشوق ( علة عظيمة ) وذلك لان الشوق يكون شوقا لغائب فان صح على طلاب الآخرة يصح على طلاب وجه الله ولذا قال ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة لا على طلاب أمر غائب . ثم قال إن القرآن الكريم لم يصرح باسم الشوق للعلة نفسها ولأن المطلوب حاضر لا يغيب ثم قال وهو على ثلاث درجات .

أما قول الشيخ فى الدرجة الأولى شوق العابد إلى الجنة ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمن . وهو ظاهر ومعناه أن طلاب الآخرة

يفرحون بهذا اللقاء فيطمئن الحائف ويفرح الحزين ويظفر الآمن لأن الجنة غائبة الآن وأما طلاب وجه الله فإنهم يتشاقون إلى مجرد التقرب إليه والعمل لوجهه لتنمو حصيلتهم من الود والحب ولذا قال في الدرجة الثانية إنها شوق إلى الله تعالى وهو حاضر لا يغيب فالشوق منصب على تقربهم هم إليه وذلك لأن هذا الحب الذى فيه الشوق إلى التقرب إنما نبت كذرع يانع على حفات أى حوافي وأطراف المنن الإلهية فعلق لأجل ذلك قلب السالك بصفاته المقدسة أى بصفات مولاه القدسية واشتاق إلى معاينة لطائف كرمه بالتقرب إليه أكثر فأكثر ثم قال وآيات بره أى ليشهدوا آيات بره وأعلام فضله ثم قال وهذا الشوق تغشاه المبار ونحن قد لا نوافق على التعبير بتغشاه بالنسبة للمبار وكان من حقه أن يقول تحدوه المبار أو تحوطه لأن تغشاه معناه تغطيه أو تحجبه ولكن حسن النية من الشيخ ظاهر على كل حال ويؤيد ذلك قوله ويخالطه المسار أى تحالطه المسار ويقويه الاصطبار ومعنى يقويه يعركه الاصطبار مدا وجذرا وهذا من شأنه أن يمد الطاقة على الاستمرار فالشوق لا يطيق الاصطبار والاصطبار يكون مركزا قلعا مع الشوق وهذا طبيعى .

ثم قال والدرجة الثالثة نار ضررها صفو المحبة وهذه الدرجة أعلى وأعمق ضرورة من الدرجتين السابقتين فنغصت العيش لعدم الاصطبار على بطاء التقدم الذى يحده الحب والمحج عجزول وهذا يقتضى سلب السلوى وهو معنى قوله وسلبت السلوى ولم ينهنها أى يزحزحها أو يردّها أى مقرر فى الوجود دون اللقاء : لقاء وجه الله وللشيل رضى الله عنه :

يقولون لى بالله هل أنت عاشق      فقلت وهل يوما خلوت من العشق  
شربت بكأس الحب فى المهد شربة      حلاوتها حتى الملاقاة فى حلقي  
وقال غيره :

روح فؤادى بذكر النازح الدانى      فذكره لم يزل روحى وريحانى

وأصرف همومى بصرف من مدايمته      فذكره من جناب العز أدنى  
واحطط رحالى بباب الدير ملتصبا      رحاب ذاك الدير لى داني  
ولى بهيكاه محبوبه ظهرت      من بعد ما خفيت عني بجسماني  
منيعه الوصل إلا عن قتي منعت      فى الحب معناه أن يصبو لى ثاني  
نادمتها فحتنى عند رؤيتها      وكان محوى بها أصلا لوجدانى  
ولو شرحت الذى منها خصصت به      يوما لأصبح من فى السكون يهوانى  
أشتاقها وهى فى سرى مخيمة      ونورها ظاهر ما بين أعيانى  
وكيف يصبح عنها الطرف محتجبا      وحسنها فى جميع الخلق يلقانى  
أن غيبت ذاتها عني فلى نظر      يرى محاسنها فى كل إنسان  
مافى محبتها ضد أضييق به      هى المدام وكل الخلق ندمانى

## باب القلق

قال الله تعالى حاكيا عن كلمه موسى عليه السلام (وعجلت إليك رب لترضى)

قال الشيخ رضى الله عنه القلق تحريك الشوق باسقاط الصبر وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : قلق يضيق الخلق ويبغض فى الخلق ويلذذ الموت .

الدرجة الثانية : قلق يغالب العقل ويخلى السمع ويطاول الطافه .

الدرجة الثالثة : قلق لا يرحم أبدا ولا يقبل أمدا ولا يبقى أحدا .

ثم يقول الشيخ رضى الله عنه القلق تحريك الشوق باسقاط الصبر لأن الشوق يكون معه الصبر دائما حتى يطغى على الصبر القلق فيسقطه .  
أوزيريله .

ثم قال وهو على ثلاث درجات أى القلق :

الدرجة الأولى : قلق يضيق الخلق بحيث لا يسمع الخلق لأنهم أغيار ما يصبو اليه من نور الحق ويلذ الموت لعله بالموت ينكشف له النور الذى كان يشواق إليه حتى إذا ما زاد به الشوق انقلب إلى قلقى .

ثم قال والدرجة الثانية . قلق يغالب العقل أى يغالبه على الصبر ويخلى السمع ( من السماع ) أى يصرفه عن العزل فهو لا يعقل ولا يسمع إلا ما كان من ناحية مطلوبه وهو الكشف .


وأما قوله ويطاول الطائفة أى يغالبها فيغلب عليها ولا يعود الشوق أو الصبر الملازم له ممكنا مطاقا .

ثم قال والدرجة الثالثة : قلق لا يرحم أبدا لأنه فى هذه الدرجة يتصاعد إلى التشوف فيزداد ولا يقبل أمدا أى حدا يقف عنده ولا يبقى أحدا مرغوبا فيه سوى الحق سبحانه وتعالى .

ولهذا وذاك يقول الشاعر الصوفى فى مثل هذا الحال :

وجودى إن أغيب عن الوجود بما يبدو على من الشهود

وقال آخر

ومما زادنى شوقا وتيبها وكدت بأخصى أطا الثربا  
دخولى تحت قولك يا عبادى  وأن صيرت أحمد لى نبيا

وقال آخر

أنا إن مت فالهوى حشو قلبى وبداء الهوى تموت الكرام

## باب العطش

يقول الله تعالى ( فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ) .  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه . العطش كناية عن غلبة الولوج بمأمول  
وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : عطش المرید إلى شاهد يرويه أو إشارة تشفيه أو  
عطفة تؤويه .

والدرجة الثانية : عطش السالك إلى أجل يطويه ويوم يريه ما يبغيه  
ومنعزل يستريح فيه .

والدرجة الثالثة : عطش المحب إلى خلوة مادونها حجاب ولا يغطيها  
سحاب ولا يعرج على دونها انتظار .

أما وجه استشهاد الشيخ بالآية التي فيها إبراهيم حين رأى الكوكب  
فقال هذا ربي فشاهده فيها تعطش إبراهيم عليه السلام وشوقه إلى رؤية  
الحقيقة مستعجلا من تعطشه فلما أفل الكوكب قال إبراهيم أنى لا أحب  
الآفلين وذلك لأنه يطلب الحقيقة الخالدة التي لا تأفل ولا تغيب ولا تتغير .

ولذا قال الشيخ رضى الله عنه العطش كناية عن غلبة الولوج بمأمول أى  
يغلب على الطالب الولوج بمأموله الذى يأمل ولا كم ظهر له ما يشبه الأمل  
وليس بحقيق به تركه وأمعن فى البحث والسؤلوع بالتطلع إلى رؤية  
ما يبحث عنه .

ثم قال الشيخ والدرجة الأولى : عطش المرید أى مرید الحقيقة إلى  
شاهد يدل عليها فيروى به عطشه أو إشارة تشفيه أو تخفف ظمأه أو عطفه  
أى لفتة يأوى إليها من يحبهم ويشتاق إليهم ويتعطش إلى مشاهدتهم .

ثم قال والدرجة الثانية : عطش السالك إلى أجل يطويه أى إذا لم يسعف بأمنيته من جهة شهوده لأحبابه فيتعطش إلى الأجل وهو الموت الذى يطوى كيانه الحسى فلعله بعد ذلك يشاهد أحبابه وهو معنى قوله ويوم يريه ما يبغيه تعطشا إلى منزل أى منزلة حقيقة يستريح فيها وتنقض به أمنيته بدلا من هذا التعطش الدائب الناصب الذى يحتويه .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة وهى أعلى وأرقى لا تجعله يطلب الموت بسبب الفراق وهى العطش المحبب إلى خلوة أى مع محبوبه مادونها أى ليس دونها سحاب يشوب صفاءها ولا يخطيها سحاب من التفرقة أو البعد ولا يعرض دونها على انتظار أى لا يفكر ولا يحنج بعدها إلى ما يوجب الانتظار ككشف ما يحجبه من شهود الحبيب .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر الصوفى :

كم من عاشق وهو من هواه دان      وآخر ناطق الدمع صامت اللسان  
موثق القلب مطلق العنان      معذب بالصد والهجران

وقال آخر وكان صوفيا ونحويا فى وقت واحد

يا ساكننا قلب المعنى      وليس فيه سواك ثانى  
لاى معنى كسرت قلبى      وما التقي فيه ساكننا

## باب الوجد

قال الله تعالى « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا »

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلوب وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى . وجد عارض يستفيق له شاهد السمع أو شاهد البصر



وشاهد الفكر أبقي على صاحبه أثرا أو لم يبق ،

والدرجة الثانية : وجد تستفيق له الروح بلمع نور أزلى أو سماع نداء  
أولى أو جذب حقيقى لن يبقى على صاحبه لباسه إلا أبقي عليه نوره .

والدرجة الثالثة : وجد يخطف العبد من يد الكونين ويمحص معناه  
من دون الحظ ويسلبه من رق الماء والطين إن سلبه أنساها اسمه وإن لم يسلبه  
أعاد رسمه .

أما قول الشيخ رضى الله عنه الوجد يتأجج من شهود عارض مغلق  
فمعناه لهب ناشئ عن وجود عارض من الأغيار يعارض الصفاء : صفاء  
الحب فيحدث الوجد الذى يمثله الشيخ باللهف المتأجج ثم قال وهو على ثلاث  
درجات :

الدرجة الأولى . وجد عارض يعترض فيستفيق له شادد السمع وشاهد  
البصر ومعناه الإحساس بالتغير أو شاهد الفكر ومعناه إدراك العقل لمعنى  
هذا التغير العارف المسبب للوجد وسواء أبقي هذا الشاهد على صاحبه  
أثرا من فعل التغير أو لم يبق .

ثم قال والدرجة الثانية : وجد تستفيق له الروح بلمع نور أزلى وهذه  
الدرجة الثانية أعلى من الدرجة الأولى طبعاً لأنه وجد فضلاً عن تأثيره فى  
الحس والعقل فإنه ( تستفيق له الروح ) ثم قال بلمع نور أزلى أى إلهام  
فطرى موصوف بالأولية — هذا معنى قوله أولى أى عن المبدأ الأول  
وأما قولنا فهوانى فإن السادة الصوفية خصوصاً المحدثين منهم الذين يحدثهم  
الله بإلهام نورانى يلقى فى روعهم أى قلوبهم حينما تستفيق أرواحهم لشواهد  
الحق بصوت أزلى منه فيسمعون ذلك النداء بقلوبهم ويسمى هذا التحديث  
تحديثاً فهوانيا .

ثم قال الشيخ أو جذب حقيقى أن أبقي على صاحبه لباسه أى لبسه

واللبس الوهم أو الستر فقد يكون المرید محجوبا وتأنيه خواطره النفسية من طريق أحاديث النفس فيتوهم أنه إلهام من الله يلقي في روعه وهو حديث نفسى لا أكثر ولا أقل فليحذر السالكون في طريق الله الذين لم يتمكنوا في معارج المقامات والأحوال من هذا الالتباس فان الخاطر الإلهي واضح : يطمئن به القلب وتنسبط به الجوارح فتنتلق في مرضى الله مستقيمة السير والسلوك .

ثم قال والدرجة الثالثة : وجد إلهي أى شوق ( حقيقى متلهف ) يخطف العبد من يد السكونين ) ويخص معناه من دون الحظ أى الحظوظ والأهواء — النفسية ويسلبه من رق الطين والماء أى العبودية لشهواته ورغباته وأهوائه مما دون الحق ويحرره فينسيه اسمه الآدمي أى أنه من ماء وطين لما يحدث فيه من روحانيه .

فيقول مع القائل :

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته أنطلب الربح مما فيه خسران  
فأقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ثم قال الشيخ ( وإن يسلبه أعاد رسمه ) أى ان لم يحصل هذا الجذب والجذب ليس بالسكال المنشود وأعاد عليه رسمه بالتكمل فاضحى عارفا كاملا ( يشهد الحق في جنانه ويجعل الفرق في لسانه ) كما يقول الشاذلى رضى الله عنه فيرى السكون والمكون بفارق واحد ألا وهو أن يرى المكون قبل ألا كوان ثم يرى زوال امكانيتهما في أزليته الواجبة الخالدة ؛ وبهذا وذاك يصبح إنسالك عارفا كاملا متمتعا بوحدة الشهود ولا نقول بوحدة الوجود لأن في وحده الوجود الخلط بين الفاني والدائم وأما وحدة الشهود فترى دوام الحق الدائم متجليا في كل شيء وكل ماعداه ظلال تمثل اقتداره وفي التعبير عن هذا المعنى تقول ( رابعة العداوية رضى الله عنها ) .

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسى  
فالجسم منى للجائس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى

ثم قال صوفي آخر مكنيا عن وجه الحقيقة :

سرت في سواد القلب منى حتى إذا انتهى بها السير وارتادت حمى القلب حلت (١)  
فللعين تهمال (٢) إذا القلب ملها وللقلب تخنان إذا ملت ملت  
ووالله ما في القلب شيء من الهوى لأخرى سواها أكرت أم أقلت

## باب الدهش

قال الله تعالى ( فلما رأيته أكبر نه )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه . الدهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب  
عقله أو صبره أو علمه وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : دهشة المرید عند صولة الحال على علمه والوجد على  
طاقته والكشف على همته .

والدرجة الثانية دهشة السالك عند صولة الجمع على رسمه والسبق على  
وقته والمشاهدة على روحه .

والدرجة الثالثة : دهشة المحبة عند صولة الاتصال على لطف العطية  
وصوله نور القرب على نور العطف وصولة شوق العيان على شوق الخبر .

أما قول الشيخ رضى الله عنه : الدهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه  
ما يغلب عقله أو صبره أو علمه : واستشهد على هذا الدهش بدعش النسوة

---

(١) لا يقصد الشاعر الحال المعروف إنما يقصد معنى السكن أو السكون .

(٢) المراد بالتهمال هنا تهمال الدموع أى جريانها .

حينما خرج عليهن يوسف عليه السلام فأكبرنه وقطعن أيديهن لدهشتهم لرؤيته التي غلبت على حواسهن وعقولهن وعلمهن فقطعن أيديهن دون أن يعلمن أو يعقلن مبهوتين لرؤيته وهكذا يؤخذ العبد السالك فيبهرت إذا ما فاجأه ما يغلب عقله وصبره أو علمه من الشهود البادى من لدن الحق .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : دهشة المريد عند صولة الحال على علمه الذى يأمر بالثبات والتوسط فيطيع المريد الحال لا العلم لأن وجدته حينئذ يخرج عن طاقته من جهة ضبطه وبغلب الكشف على همته التى تأمره بالثبات والسير على الطريق الأمام أى المستقيم .

ثم قال والدرجة الثانية : دهشة السالك عند صولة الجمع أى إذا فاجأه مقام الجمع ويكون حاله حينئذ الحب فتستولى صولة الجمع على رسمه من محدودية الحواس ومحدودية نظام التعقل والمنطق المعروف فلم يبق من رسمه هذا ما اعتاده فى حسه وعقله ووقته فيهجم عليه وقت جديد لم يألفه يهجم عليه بالمشاهدة فتلتذ روحه بذلك الشهود وتسعد وتأنس وذلك كله يحدث من صولة الجمع على الرسم والوقت وحال الروح التى كشفت لها . ستار من غيم الحجاب .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : دهشة المحبة عند صولة الاتصال — والمحبة آخر الأحوال قبل الفناء الذى يعقبه البقاء إذا أريد بالسالك الكمال وهو السبيل الأوحى للاتصال ولذا يقول الشيخ ( دهشة المحبة عند صولة الاتصال ) وليس هذا فقط بل إن لطف العطية من الله عز وجل وصولة نور القرب كما يقول الشيخ على نور العطف أى الانعطاف الذى كان والتشوق بصولة الشوق كل هذا يجعل الغيب له عيانا فيغلب شوق الخبر — كما يقول الناس ليس الخبر كالعيان .

وأنشد في ذلك :

من شدة القرب منى      ظننت أنك أنى  
فقلت ما قلت جمـلا      وذاك من حسن ظنى  
وحين حققت أمرى      والنوهم قد زال عنى  
تركت هذا وذاك      ثم القنا صار فى  
وصرت عن غيب غيبى      بما أقول أكنى  
أزال عنى الترجى      علمى به والتمنى  
فالعلم والجهل عندى      غابا وزال التظنى  
إذ كل ذلك خلق      والخلق ما عنه يغنى  
وليس يشبهه ربي شيء      قبله للتظنى<sup>(١)</sup>  
أنا الموحـد ذوقا      فخانى يامشنى

### باب الهيمان

قال الله تعالى ( وخر موسى صعقا ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه :

الهيمان ذهاب عن التمالك تعجبا أو حيرة وهو أثبت دواما وأملك  
بالنعت من الدهش .

وهو عن ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : هيمان فى شيم أوائل برق اللطف عند قصد الطريق  
مع ملاحظة العبد خسة قدره وسفالة منزلته وتفاهة قيمته .

(١) ويريد هنا بالتظنى : ان الظن لا يغنى عن اليقين شيئا .

والدرجة الثانية : هيان في تلاطم أمواج التحقيق عند ظهور ربه  
وتواصل عجائمه ولياح أنوار .

والدرجة الثالثة : الهيمان عند الوقوع في عين القدم ومعاينة سلطان  
الأزل والفرق في باب الكشف .

أما استشهاد الشيخ بقوله تعالى ( وخر موسى صعقا ) فعنايه زوال  
رسم البشرية أمام تجلى الألوهية فيصعق الحس والوجدان كما يحدث لمن  
أصابه الصرع ثم يفيق ولذا أفاق موسى ونظر إلى الجبل الذى جعله ربه  
دكا فاعتبر .

هذا وقد يلاحظ القارى علينا أننا لم نورد شرح الآيات التى يستشهد  
بها الشيخ فى غالب الأسر إلا ما صعب منها من جهة اللغة أو عمق المعنى ونحن  
إنما نفعل ذلك لأن الشيخ يجعل الباب الذى يبدوه مستشهدا بآى القرآن  
شرحا لما يستشهد به من الآيات فننصب الآية على ما يورد من الكلام .

هذا وأما قول الشيخ الهيمان ذهاب عن التملك تعجبا وحيرة يريد أنه  
ذهاب عن تملك النفس لدهشة التعجب ولذا ( قال تعجبا وحيرة ) ثم قال  
وهو أى ( الهيمان أثبت دواما وأملك بالنعى من الدهش ) ذلك لأن الهائم  
كان لا بد له أن يدهش فيهم ولكن المندهش فقط قد يخلو من الهيام ولذا  
كان الهيمان أملك فى النعت أى الوصف من الدهش وهو انطباق الوصفين  
على موصوف واحد وهو الهيمان .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى هيان فى شيم أوائل برق اللطف ويظهر أن الشيخ  
فتح عليه فى أوائل أمره بذلك الشيم الذى أغرم به ومعنى الشيم اللحظ  
بالطرف أو بالعقل أو بالروح . قال ( شيم أوائل برق اللطف ) عند قصد

الطريق أى لحظ السالك التائب لبدء النور المواجه لقلبه وسماه الشيخ برقا  
لسرعة لحظ السالك للطف الحق له عقب توبته وتوجهه القاصد فى طريق  
الله وذلك الدهش أو الهيمان يحدث لعرفان العبد قيمة نفسه وملاحظة خسة  
طينته ثم قال الشيخ سماحه الله عن الإنسانية جمعاء ( وسفالة منزلته ) وذلك  
له عنده مبرر من المنطق ولذلك عقب بقوله وتفاهة قيمته قال ذلك وهو  
يريد المقابلة والموازنة بين الباقي والفانى والخالد والزائل على ضوء قوة شهوده  
هو فوصف الإنسان بوصف أدنى من أن يكون حيوانا وله بعض الحق  
فسماحه الله ورضى الله عنه ويشفع له فى ذلك قول الله تعالى ( أولئك كالأنعام  
بل هم أضل سبيلا ) .

ثم قال والدرجة الثانية : هيمان فى تلاطم أمواج التحقيق وهنا قد  
ترقى الشيخ بقيمة الإنسان وجعل له قدرا بكونه مؤهلا لخوض بحر  
التحقيق والتحقيق رؤية الأمور على حقائقها لا على ظواهرها أو مظاهرها  
ثم قال ( ذلك يتم عند ظهور براهين التحقيق وتواصل عجائبه أى ما يظهر  
عن هذا التحقيق من عجائب وكرامات وخوارق للعادات متواصلة ثم قال  
( ولياح أنواره ) أى تحصل تلك العجائب والبراهين عندما تلوح أنوار  
الحق الكامنة فيها مواهبة الجميلة وذلك الكلام لأهله فعلى من لم يفهمه  
التسليم به وإلا فهو آثم وعلى من يفهمه ألا يبيده إلا لأهله .

ثم قال والدرجة الثالثة : هيمان عند الوقوع فى عين القدم وهذا القول  
من الشيخ قول مجازى لأنه ليس فى عين القدم وقوع أو دخول أو خروج  
أو اتصال أو انفصال . ثم وضع الشيخ المجاز ليفهم وذلك بقوله .

ومعاينة سلطان الأزل وفى معاينة سلطان الأزل ومواجهته يفنى  
ما كان من وصفه الإمكان ويبقى من لا يزال موجودا لأن الأزلية من  
وصفه وذلك يحدث كما يقول الشيخ عند الفرق فى بحر الكشف وذلك  
البحر المتصل بالغيب ولذا نهينا بأن مثل هذا الكلام لا يصرح به إلا لمن

كان من أهله أو على الأقل إلا لمن تذوقه وارتشف من شربه ويقول من  
تذوق مثل هذا الحال أو تشوق عليه وهام به يقول بنفسه بلسان حاله :

فاذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا  
واذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

\* \* \*

وذلك لتشوقه ووجده وهيامه ثم يقول بلسان الحال أيضا لمن لم يتذوق  
هذا الشأن ولم يتنسّم من ريحه أو رشف من شربه .

حتام أنت بما يلميك مشتعل عن نجح قصدك من خمر الهوى ثمل  
تمضى من الدهر بالعيش الذميم كذا فكم ذا التواني وكم يغرى بك الأمل  
وتدعى بطريق القسوم معرفة وأنت منقطع والقوم قد وصلوا  
فانهض إلى ذروة العلياء مبتدرا عزما لترقى مكانا دونه زحل  
فإن ظفرت فقد جاورت مكرمة بقاؤها ببقاء الله متصل  
وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما يقال عنك قضى من وجده الرجل

## باب البرق

قال الله تعالى ( إذ رأى نارا ) وقال الشيخ رضى الله عنه : البرق بكورة  
تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق والفرق بينه وبين الوجد أن  
الوجد يقع بعد الدخول فيه والبرق قبله فالوجد زاد والبرق إذن وهو على  
ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء يستكثر فيه  
العبد القليل من العطاء ويستغل فيه الكثير من الأعباء ويستحلى فيه مرارة  
القضاء .



الدرجة الثانية : برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر فيستقص  
فيه العبد الطويل من الأمل ويزهد في الخلق على القرب ويرغب في  
تطهير السر .

الدرجة الثالثة : برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار فينشئ  
سحاب السرور وينطر قطر الطرب ويجرى نهر الافتخار .

أما قول الشيخ البرق كـ بكورة تلمع للمبد فتدعوه إلى الدخول في هذا  
الطريق : فـ بكورة الشيء أوله كـ بكورة الزرع أول نتاجه وهنا أول الفتح  
وقد دعاه الشيخ بكورة والفتح هنا اتساع القلب والميل إلى الدخول في  
طريق الله وهو أول هواتف الخير في نفس السالك المريد والفرق بينه وبين  
الوجد كما يقول الشيء أن الوجد يقع بعد الدخول في الطريق لأنه وجد  
لموجود عنده من الحال أو المقام وأما البرق فأول هواتف الهداية وجعل  
الشيخ الوجد زادا لأنه ملازم للمريد كما يلزم الزاد المسافر وأما قوله والبرق  
إذن من أذن يأذن وهو أول هواتف الحق في قلب من أراد الله تقريبه  
وهو نور يتسع له القلب وتطمئن به الجوارح .

ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات أي البرق .

ثم قال والدرجة الأولى برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء  
يستكثر فيه العين القليل من العطاء ويستقل فيه الكثير من الأعباء ويستحلي  
فيه مرارة القضاء وقد عرفنا ما يكنى عنه الشيخ بالبرق وهو لواضع القرب  
استجابة من الحق لرجاء العبد في التقرب إليه فإذا فتح قلبه لهذا النور  
يستكثر فيه القليل من العطاء الذي غير من أحواله وأقامها من عين النقص  
إلى بواذر السكال وحينئذ يستقل فيه العبد الكثير من أعباء السلوك والإرادة  
في السير إلى الله ويستحلي فيه مرارة القضاء أي يصبح فيه كل قضاء من الله  
حلوا مقبولا ولو كان في نفسه مرا .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر ( فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل ) وهذا برق آخر أو لواضع أخرى من الصحو تنبع من عين الحذر فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل أى يستقصر فيه أيامه ، وما يأمل فيها ولو كان أجله طويلا وأمله عريضا وفي مثل هذا المعنى يقول من خير هذا الحال شعرا :

وخذ لك منك على مهلة ومقبل عيشك لم يدبر  
وخف هجمة لا تقبل الدشار ومثل لنفسك أى الرعيل  
يضمك في حلبة المصدر والمحشر فتطوى الورود على المصدر

ثم قال الشيخ ويذهب في الخلق على القرب أى يذهب في الخلق على القرب منهم لأنهم يصبحون مغارين للحال الذى عنده والوجد الذى هو فيه وهو الناشئ عن برق لواضع الحق ثم يقول الشيخ ( ويرغب في تطهير السر ) أى ويصبح راغبا في تطهير سره أى قلبه ووجدانه مما فيه من العوج والانحراف .

ثم قال والدرجة الثالثة : برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار فان كان البرق في الدرجة الأولى ناشئا عن الرجاء في الله ، وكان البرق في الدرجة الثانية ناشئا عن الحذر من الاسمرار في الذنوب مع انقضاء العمر ودنو الأجل فان البرق في الدرجة الثالثة هذه يلمع من جانب اللطف الالهى الذى سببه والافتقار وانكسار القلب إلى الله ولذلك يقول الشيخ يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار فيمنشى سحب السرور وهو ضرورى للشعور بترادف الأمن وتوانر النعم القلبية قال ويجرى نهر الافتخار أى فيجرب من هذا وذلك قبض الفخر بفضل الله على العبد وفي مثل هذا المقام يقول الامام الغزالى رضى الله عنه في ابتداء أمره :

زفر الطالبون واتصل الوصل وقد فاز الأحباب بالأحباب

وبقينا مذبذبين حيارى بين هدى الاتصال والاجتناب  
نرتجى القرب بالابتعاد وهذا نفس حال المجال للألياب  
فاسقنا منك شرية تذهب الغم وتهدى إلى طريق الصواب  
فيا طبيب السقام يا مرهم الجر حويا منقذى من الأوصاب  
لست أدري بما أداوى سقامى وبماذا أفوز يوم الحساب

قال هذا عند ظهور هواتف الحقيقة لقلبه وهو غارق فى مجال العلوم  
بين أوراقه وكتبه وأقلامه وقال بعضهم فى معنى الدرجة الثالثة درجة  
هواتف اللطف والمانن :

يا، تفضلا جلت فواضله عن بغيى إلى انقضاء أجلى  
كم قد أفضت على من نعموكم قد سترت على من زلل  
إن لم يكن لى ما ألذ به يوم الحساب سوى عفوك فيا أملى

## باب الذوق

قال الله تعالى ( هذا ذكر ) ثم قال الشيخ رضى الله عنه . الذوق أبقى  
من الوجد وأجلى من البرق وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : ذوق التصديق لطعم العدة فلا يعقله ظن ولا يقطعه  
أمد ولا تعوقه أمنية ،

قال والدرجة الثانية . ذوق الإرادة لطعم الأنا فلا يعلق بشاغل  
ولا يفتنه عارض ولا تسكدره تفرقة .

ثم قال والدرجة الثالثة : ذوق الانقطاع لطعم الاتصال وذوق الهمة  
طعم الجمع وذوق المسامرة طعم العيان .

أما قول الشيخ الذوق أبقي من الوجد لأن الوجد حال يذهب ويحى .  
(أجلى من البرق لأن البرق أول شواهد الوجد وهو لواضع هو اتف الحق كما  
قدمنا أما الذوق فإنه وجدان ملازم لذات الحق في صميمها تذوق به المواب  
والمعاطب واللذة والألم ثم قال الشيخ وهو على ثلاث درجات أى الذوق .

فالدرجة الأولى : ذوق التصديق لطعم العدة أى التصديق لوعده الله  
الذى وعد به المؤمنين والمحسنين بل وسائر عباده الصالحين فيصبح هذا  
التصديق مع الذوق السليم يقينا لا يعقله أى لا يعتقله ظن فيحجبه ولا يقطعه  
أمد من الزمن فيذهبه ولا تعوقه أمنية أى أمنية من نعم الدنيا وأمانها  
لا تعوق هذا اليقين عن سيره واستمراره ثم قال والدرجة الثانية ذوق  
الإرادة لطعم الأنس وهى تذوق لإرادة المريد السالك لطعم الأنس بالله  
والركون إليه فلا يعلق به شاغل من الشواغل الدنيوية ولا يفتنه عارض أو  
معارض من اللذائذ الحسية ولا تسكدره تفرقة لأنه اطمأن إلى مولاه وتذوق  
الاستظلال بنعيم رحابه وفى مثل هذا المعنى يقول السيد على وفارضى  
الله عنه :

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد

هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن

جار الحبيب فعيشه عيش رغد

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة ذوق الانقطاع لطعم الاتصال وذوق  
الهمة طعم الجمع وذوق المسامرة طعم العيان . فأما قوله ذوق الانقطاع  
لطعم الاتصال لا يريد الشيخ بالانقطاع إلى الله الانقطاع عن الأسباب منه  
وهو مسببها إنما يريد بهذا الانقطاع عن الأسباب لأن الأسباب منه وهو  
مطلق اللجوء فى كل أمر إلى الله وبهذا اللجوء أو الانقطاع فى عرف الشيخ

يتذوق السالك طعم الاتصال الدائم بالحق عز وجل وليس هذا فقط وإنما كما يقول الشيخ وتذوق ههته طعم الجمع على الله والجمع عكس الفرق كما هو ظاهر وفي حال الجمع أو مقام الجمع لمن أسماء مقاما نحدث المسامرة مع الحق بالروح والوجدان فيتذوق العبد أيضا طعم العيان . وفي مثل هذا التذوق أو قل الذوق الخالص يقول ابن الميلي في قصيدة طويلة تعتبر من أصول الطريق وقواعده :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه	ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعوض أرواحا وجاد بها	في كل طرفه عين لا يساويه
وقطرة منه تكفي الخلق أو طمعوا	فيشطجون على الأكوان بالنيه
وذو الصباقة أو يسقى على عدد الـ	أنفاس والكوب كأس ليس يرويه
يروى ويظما لا ينفك شاربـه	يصحو ويسكر والمحجوب يسقيه
في غيه غائب والصحو يسكره	والوجد يظهر طوراً ويخفيه
يبدو له السر من آفاق وجهته	والسر منه له حقا يديه
له الشهادة غيب والغيوب له	كالجمع في فرقه مازال يلقيه
له لدى الجمع فرق يستطيب له	كالجمع في فرقه مازال يلقيه
يدنو ويعلو ويرنو وهو مصطلم	في الحالتين بتميز قوى فيه
له الوجودات أضحت طوع قدرته	وما يشاء من الأطوار يأتيه
للقوم سر مع المحجوب ليس له	حد وليس سوى المحجوب يحصيه
لهم تصرفهم في الكائنات فما	يشاء شاءوا وما شاءوه يقضيه
إن كنت تعجب من هذا فلا تعجب	لله في السكون أسرار ترى فيه
لأشياء في السكون إلا وهو ذو أثر	فما المؤثر غير الله قاضيه

ليس الترفع مناعا لقدرته  
وللفقر وجوه ليس يحصرها  
أوصافه ظهرت من وصف مبدعه  
إذا روى ذكر المولى لرؤيته  
عبد عليه سمات القوم لائحة  
إن كنت تقصد أن تحظى بصحبته  
اخلص وداك صدقا في محبته  
واستغرق العمر في آداب صحبته  
وابذل قواك وبادر في أوامره  
واحذر بجهدك أن تأتى ولو خطأ  
وكن محب محبيه وناصرهم  
واعلم يقينا بأن ناصره  
وأنزل الشيخ في أعلى منازلهم  
ولست تفعل هذا إن ظننت به  
واترك مرادك واستسلم له أبدا  
واعدم وجوده لا تشهد له أثرا  
متى رأيتك شيئا كنت محتجبا  
ولا ترى أبدا عنه غنى فنى  
وغاية الأمر فيه أن تراه على  
ومن إمرة هذا أن تؤول ما  
والمرء إن يعتقد شيئا فليس كما  
وليس ينفع قطب الوقت ذا خل  
إلا إذا سبقت للعبد سابقة

من حيث قدرته بأنى تعاليه  
عد وكل وجود فهو راويه  
وكله مظهر يبدى تجليه  
وفاز بالسعد والتقرب رائيه  
وخلعه العز والتحكيم عاليه  
فاسلك على سيد طاب مساعيه  
والزم سرا بابيه واعكف بناديه  
وحصل الدر والياقوت من فيه  
إلى الوفاق وبالغ في مرضيه  
ما لا يحب وباعد عن مناهيه  
والزم عداوة من أضحى يعاديه  
إن لم يكن ناصرا فالله يكفيه  
واجعله قبلة تكريم وتنزيه  
نقصا ولا خلا فيما يعانیه  
وكن كميت مخلى فى أباديه  
ودعه يهده طورا وبينيه  
بنية الشئ عما أنت ناويه  
رأيت عنه غنى يخشى تناسيه  
نهج الكمال وأن الله هاديه  
عليك أشكل إظمارا لخافيه  
يظنه لم يخف فالله يعطيه  
فى الاعتقاد ولا من يواليه  
يعود من بعدها أهدى توليه

ونظرة منه إن صحت لديه على سبيل ود باذن الله تغنيه  
والجذب أخذة عبد نفسه بيد عناية نحو أمر ليس يدره  
هو المراد ومخطوب العناية لا يحس كلفة تكليف يلاقيه  
طوراً يرد عليه الحس تكملة له فيقصد ماقد كان ناويه  
تراه بعبد لا يلوى على شغل سوى العبادات يستحلى تفانيه  
ترى الحقائق تبدو منه في نسق مع الكشوف لأن الله يلقيه  
وذو السلوك تراه في لذاذاته يجاهد النفس ذا وعى لبانيه  
يمشى على نهج أهل الصدق ملتزماً شروطهم خائفاً فيما يرجيه  
كم من مرید قضى ما نال بغيته حق القضاء عليه في تقضيه  
وكم مرید ونى من بعد عزته إذ عزمه ذاك ما صحت مباديه  
من ليس يخلص في مبدا إرادته يهوى به الحظ في أهوى مهاويه  
وما المرید الذى صحت إرادته إلا مراد له جذب يوافيه  
والجذب إن كان من بعد السلوك له فضل على الجذب ما السعى تاليه  
وفي الحقيقة لولا الجذب ما سلكته طريق حق ولا رؤية مرائيه  
لولا العناية والتحصيل قد سبقنا لدعوة العبد ما قامت دواعيه  
إن المرید مراد والمحب هو الك محبوب فاستمل هذا من أمانيه  
إن كان برضاك عبد أن تعبده وإن دعاك مع التمكن تأتیه  
ويفتح الباب إكراما على عجل ويرفع الحجب كشفا عن تدانيه  
وتم تعرف ماقد كنت تجهله فما عن الحصر قد جلت معانيه  
ويرتوى من شراب الأانس صافية يأسعد من بات مملوءا بصافيه  
وصل يارب ما غنت مطوقة على النبي صلاة منك ترضيه

## القسم الثامن وهو قسم الولايات وفيه عشرة أبواب

للحظ ، والوقت ، والصفاء ، والسرور ، والسر ، والنفوس ، الغربية ،  
والفرق . والغيبة ، والتملق .

### باب اللحظ

قال الله تعالى ( انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني )  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه : ( اللحظ لمح مسترق وهو فى هذا الباب  
على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى . ملاحظة الفضل سبقا وهى تقطع طريق السؤال إلا  
ما استحقته الربوبية من إظهار التذلل لها وتنبت السرور إلا ما يشوبه حذر  
المكر وتبعث على الشكر إلا ما قام به الحق تعالى من حق الصفة .

الدرجة الثانية : ملاحظة العبد نور الكشف وهى تسبل لباس التولى  
وتذيق طعم التجلى وتعصم من عوار التسلى .

والدرجة الثالثة : ملاحظة عين الجمع وهى توقف الاستمئانة  
بالمجاهدات وتخلص من رعونة المعارضات وتفيد مطالعة البدايات .

أما استشهاد الشيخ بالآية فمراده من ذلك أن الله أمر موسى بأن يلحظ  
أى ينظر لاحظا الجبل إذا تجلى الله عليه والجبل صخر فما بالك بما يحدث  
لموسى النبي الإنسان من مثل هذا التجلى وهو دم وعظم ولحم وهذا ما نظنه  
مراد الشيخ من استشهاد ههنا بملك الآيه والله أعلم بمراده .



أما قول الشيخ اللحظ لمح مسترق اشتقه من استرق يسترق اللحظ أو الشيء والمراد اللحظ بالنظر الباطني وكان أكثر الصحابة يسترقون النظرة تلو النظرة للنبي لمهاجهم له ولأنهم يلاحظون بقلوبهم نور وجهه الكريم وجلال قدره ولهذا السبب كان يسترقون النظر إليه توقيرا له . فالشيخ يريد اللحظ المسترق لألطف الله عز وجل وفضله وتجليه هيئته وإجلالا للحق عز وجل وذلك لا يتم إلا بلحظ قلبى ثم وهو فى هذا الباب على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى . ملاحظة الفضل سيقا وهى تقطع طريق السؤال إلا ما استحقته الربوبية من إظهار التذلل لها ثم قال وتنبت السرور إلا ما يشوبه من حذر المكسر وتبعث على الشكر إلا ما قام به الحق تعالى من حق الصفة أما قوله ملاحظة الحق سيقا أى فضل الله السابق على عباده ونعمائه الغامرة التى منها الإيجاد والإرزاق وما بعد ذلك من السكرم والفضل وهو لا يحصى وذلك السبق من شأنه أن يقطع على العبد طريق سؤاله للخلق لعلمه بأن الله يعلم حاجته وقد تفضل وأمد به من قبل أن يسأل وبلى من قبل أن يخلق وهنا استثناء بما استحقته الربوبية من إظهار التذلل لها أى العبودية والخضوع وإظهار التملق والاضطرار وإبداء الحاجة إلى الله وهذا التذلل من حق الربوبية على العبودية ضرورة ثم قال ( وينبت السرور ) أى أن هذا اللحظ من العبد لأفضال الرب ينبت السرور فى قلبه طبعاً ( ثم قال الشيخ إلا ما يشوبه من هذا المكسر ) أى ما يشوب هذا السرور والانبساط من خوف المكسر والاستدراج والعياذ بالله لأن الانبساط إذا لم يصحبه الحذر أدى إلى الرجاء دون العمل فيكون الرجاء هنا ضرباً من الاستدراج والفتنة ثم قال : ( ويبعث على الشكر ) أى هذا اللحظ الجميل صنع الله إلا ما قام به الحق تعالى من حق الصفة أى من حق الاتصاف بالشكر لا سمح الشكور الدال على تلك الصفة الثابتة للحق عز وجل .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : ملاحظة العبد نور الكشف أى لحظ العبد لنور الكشف قال الشيخ وهى أى هذه الحالة تسبيل لباس التولى والتولى أى اتخاذ الوالى لوليه فهو يأتى من ناحيتين من ناحية أن يتولى العبد مولاه بالطاعة فيتولاه الله بالقبول والرضى ، أو أن يتولى الله عبده من بادية ذى بدء فيفطره على حسن الاستجابة وحب الطاعة من أول نشأته إلى آخر عمره فيكون دائم اللحظ لوليه الذى يتولاه فى كل أمر من الإناعم أو الضر ويرجع العبد بهذا الاعتبار إليه فى حالى الطاعة والمعصية فيكون دائما مع ربه بسبب تولى الله إياه وهذا كله معنى قول الشيخ ( وهى تسبيل لباس التولى ) وليس هذا فقط ولكنها أيضا تذييق طعم التجلى أى تجلى نور الرب على قلب عبده وأيضا كما يقول الشيخ او تعصم من عوار التسلى ) ومعنى العوار هنا النقص أو العيب فالتولى والتجلى يعصمان العبد من هذا العوار وهو عوار التسلى والتسلى قرين للتخلى فان تسلى العبد عن مولاه كان معرضا للتخلى عن سلوك طريقه ضرورة .

ثم قال والدرجة الثالثة . ملاحظة عين الجمع وهنا وفى هذه الدرجة ترقى اللحظ. وتوطن فصار ملاحظة لعين الجمع أى الجمع على الله وللجمع ثلاث معان : جمع التوحيد وهو ملاحظة أو معاينة توحيد الله عز وجل بالخلق والأسر وقولنا (الخلق والأسر) أى عالم الخلق وعالم الأمر الفعال والمسبب لوجود وتحركات عالم الخلق وجمع الألوهية دال على شهود الذات البازغ عنها سائر الأفعال والصفات المؤثرة فى الخلق والإبداع والثالث جمع الربوبية وهو شهود الرب أى البار المربى باحسانه على عباده وهذا الجمع يقتضى أى يرى العبد الخير كل الخير مما يصيبه أو يصيب غيره من الرب وهذه الملاحظة ملاحظة عين الجمع توقيظه كما يقول الشيخ من الاستهانة بالمجاهدات أى عند السالك فيستعين بكل جهاد فى سبيل الحصول لشهود عين الجمع وليس هذا فقط بل قال وتخلص من رعونته المعارضات لأن من

وصل إلى مثل هذا الحال وغمره حتى أوصله لشهود عين الجمع يكون دابه التسليم والرضى بأفعال الله سرائها وضرائها فلا تحدث منه حينئذ معارضة لأفعال الحق ثم قال ( وتفيد مطالعة البدايات ) أى يشعر بصحة البدايات وكما يقول رجال التصوف ( من صحت بدايته أشرقت نهايته ) ويقول بعض من حظى بمثل هذا المقام شعرا .

تعدد هذا الكون والكثرة التى تلوح خيالا كالسراب فخلها  
وما تم إلا واحد جل ذكره لذا يتجلى فى المظاهر كلها  
وقال آخر ممن بلغوا هذا المقام :

ما للخلقة إلا اسم الوجد على حكم المجاز وفى التحقيق ماجد  
فعندما ظهرت أنواره سلبوا ذاك التسمى فلا كانوا ولا فقدوا  
أفناهمو وهم فى عينهم عدم وللغناء فهم باقون ماجحدوا  
فالعبد صار كما أن لم يكن أبدا والحق كان كما أن لم يزل أحدا  
لسكنه عندما أبدى محاسنه كسا الخليفة نور الحق فاتحدوا<sup>(١)</sup>

ومن أقوالهم المختصرة فى هذا المقام قولهم :

إن قلبا أذت ساكنه غير محتاج إلى السرج  
وجهلك المأمول مأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

---

(١) الضمير فى اتحدوا عائد على الخليفة من حيث توحيدهم فى عبودية الله تعالى لا أنهم اتحدوا بالله عز وجل .

## باب الوقت

قال الله عز وجل ( ثم جئت على قدر يا موسى ) وقال الشيخ رضى الله عنه الوقت اسم لظرف الكون وهو اسم فى هذا الباب لثلاث معانى وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : حين وجد صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ثم قال الشيخ الدرجة الثانية : اسم لطريق سالك يسير بين تمكن وتلون ، لكنه إلى التمكن ما هو يسلك بالحال ويلتفت إلى العلم فالعلم يشغله فى حين ، والحال يحمله فى حين . فبلاؤه بينهما يذيقه شهودا طورا ويكسوه غيره طورا ويريه غيره التفرق طورا .

الدرجة الثالثة : قالوا الوقت الحق أرادوا به استغراق رسم الوقت فى وجود الحق وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندى لكنه هو اسم فى هذا المعنى الثالث لحين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لوجودا محضا وهو فوق البرق والوجد ويشارف مقام الجمع لودام وبقي ولا يبلغ وادى الوجود لكنه يكفى مؤنة العامة ويصنف عين المسامرة ويشم رائحة الوجود .

أما استشهاد الشيخ بالآية ( ثم جئت على قدر يا موسى ) أى جئت فى وقتك أوفى الوقت المناسب لأن الوقت اسم لظرف الكون كما يقول الشيخ وهو اسم فى هذا الباب أى عندنا معاشر أهل التصرف على ثلاث معان وهو فى الوقت نفسه على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : حين وجد صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء أما قول الشيخ فى الدرجة الأولى : الوقت اسم فى هذا الباب لثلاث معانى : المعنى الأولى : حين وجد صادق أى وجد من سالك صادق فى وقت صادق أى فرض وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له وذلك

الوجد يكون متعلقه ضرورة ايناس فضل أى الاستثناس بالفضل فى الوقت  
أما قوله فى الدرجة الأولى الوقت ظرف السكون أى الظرف الذى يتعاقب  
فيه الحوادث او قل هو الوعاء الزمانى للحوادث المتوالية بالتكوين ومع  
ظرف الزمان يوجد ظرف المكان أيضا وهو الوعاء المكانى الذى يقع فيه  
حجم الجسم وهذا هو المعروف للعلم ولكن للوقت عند القوم معنى أعلى من  
ذلك وأسمى فان الوقت عندهم الوقت الذى يقع فيه الحال المبين أو الملائم  
ولذلك قالوا الصوفى ابن وقته فلا تتعدى همة السالك عمارة ذلك الوقت  
فى أولى الاشياء به إن كان الوقت حال قربه شكر الله وإن كان الوقت  
عكس ذلك استغفر الله وأناب إليه لأنه يطالب بعمارة الوقت الراهن  
فالصوفى لا يهتم بالوقت الماضى أو الوقت المستقبل بل يحرر نفسه للاشتغال  
بشأن الوقت الحاضر وإلا اعتبر وقته وقت ضائع . وروى عن الشافعى  
رضى الله عنه أنه قال صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهما  
يقولون : (الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك ونفسك إن لم تشغلها بالحق  
شغلتك بالباطل ) وقد يريدون أى أهل طريق الله غرضا أعلى من ذلك  
للكمل منهم ألا وهو تصريف الحق لهم فى ذلك الوقت فلا يختارون  
لأنفسهم فيه شيئا وهذا معنى قولهم السالك يسلك بحكم وقته أى بما يتجلى  
الله به عليه فى الوقت دون معارضة واختيار ذلك عدا ما كان فيه حكم  
شرعى فيجب تنفيذه دون اهماله أو حكم قدرى فيجب التسليم فيه وإذا أراد  
الله بعبده خيرا أعاناه على وقته وهناك المعنى الثالث وهى أعلى المعانى فى الوقت  
وهو النظر إلى سرايق الحق فى سالف الأزل فينقادون معها مسلمين الأمر  
لصاحبه مع جدهم فى القيام بالأوامر واجتناب النواهي وقيل إنه رأى الصديق  
بعضهم فى منامه فقال له أوصنى فقال كن ابن وقتك ولهذا وذاك يقول  
الشيخ رضى الله عنه الوقت اسم فى هذا الباب لثلاثة معانى : المعنى الأول حين  
وجد صادق أى من يريد صادق فهذا الوقت أى حال الوقت يصحبه الايناس  
ضرورة وهو الأنس بالحق فيسكن إليه والفضل هو العطاء لمن لا يستحقه .

أو العطاء فوق استحقاق الحق فكل عطاء بهذا الوصف فهو فضل ، فالوجد الصادق في وقت الصدق يقتضى الإيناس من فضل الله ويكون قد جذبه أى جذب هذا الفضل الإلهي والإيناس ( صفاء رجاء ) أى رجاء صاف والرجاء الصافي هو الرجاء الذى لا تتوهم معه معارضة لـيكون الفضل لله جميعا لاسيما وأن العبد لا يستطيع أن ينال من ذلك الفضل إلا بتوفيق الله وعونه وملخص هذه الدرجة الأولى أن الوجد الصادق مع النية الخالصة والرجاء الصافي ورؤية فضل الله على عبده يكون كما يقول الشيخ ( عصمة جذبها صدق خوف ) أى من الضياع أو الانصراف عن طريق الحق . قال والمعنى الثانى اسم لطريق سالك يسير بين تمكين وتلون لكنه إلى التمكن ما هو يسلك الحال أى مدة دوامة سلوك الحال، وفى هذا الحال يلتفت إلى العلم لأن العلم كان أساس سلوكه فالعلم قد يشغله عن الحال بانصرافه إلى النظر فى العلم والحال يحمله حيناً إلى الانصراف عن العلم لأن الحال تحقق والعلم خبر ثم يقول الشيخ فبلاؤه بينهما أى بلاء السالك بين الحال والعلم يذيقه شهوداً طورا وذلك بواسطة الحال ويكسوه عبرة طورا بواسطة العلم ويريه غيره تفرق طورا لحيرته بين الحال والعلم فالعلم ينصحه بالسكون والحال يحمله على الطيران لبغيته وهذا على حد قول الشيخ بلاؤه والبلاء هنا من الاختبار والامتحان أى ابداء ذلك قديريده خبرة بالطريق ودليل ذلك أن السكّل من رجال الله لا يصرفهم الحال عن العلم ولا يقعدهم العلم عن التماس الحال وبين الحال الصادق والعلم الصحيح صيانة للعبودية وذلك هو المعنى الثانى عند الشيخ من المعانى الثلاثة الوقت والمعنى الثالث قوله لكنه إلى التمكن أمّل منه للتلون، والتلون من مقتضيات العلم والتمكن من مقتضيات الحال الصادق لما فيه من ثبات وترق وقدّمنا أن صاحب الحال السكامل يكون أقرب للتمكن لأنه يتصرف بعلمه فى حالة ويزن حاله بعلمه وذلك ما يدعوه للسكّل فلا يعقبه العلم عن الحال ولا يمنع الحال من استيعاب العلم

وذلك هو المقام الأكمل الذى كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
وتلك وهى الدرجة الثانية .

والدرجة الثالثة : كما يقول الشيخ قالوا الوقت الحق وأرادوا به  
استغراق رسم الوقت فى وجود الحق . ثم قال الشيخ وهذا المعنى عندى  
يسبق على هذا الاسم أى يسبق على معانى الوقت التى ذكرت ومعناه الفناء  
عن الوقت واستغراق رسم الوقت أى حدوده بسائر أناته ولحظاته فى وجود  
الحق لأن وجود الحق سابق على هذا التفصيل من الآفات واللحظات  
لوقت بل وسائر ظروف الزمان والمكان وهذا ما قصده الشيخ بالمعنى الثالث  
( المعنى الذى تتلشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا ) لأن الوجود  
المحض لله والكشف عن شأن عرفاء الزمان وسكان المكان لذلك جعل  
الشيخ هذا المقام فوق الوجد والبرق ومعنى الوجد ما يجده السالك من حال  
ومعنى البرق ما يلحظه من تجل للحق . ولذا قال الشيخ وهو يشارف مقام  
الجمع أى الجمع على الله وشهود رتبة الربوبية والألوهية تلك الرتبة النزيهة  
التي لا يماثلها شيء غيرها، هذا لو دام الحال ولكنه لا يبلغ وادى الوجود  
الوجودى لأن وجود السالك على كل حال وجود إمكاني ك مخلوق ولكنه  
وإن لم يبلغ وادى الوجود يكفي مؤنة العامة بذهاب التكلف لا التكليف  
ويصفي عين المسامرة أى المسامرة مع هوائف الحق ويشم رائحة الوجود  
لكونه فى حال قرب من رحاب الحق وفى أنس بشهود الحقيقة وهذا  
ما يعنيه الشيخ بالإيناس فى أول هذا الباب .

وأشدوا فى معنى الاستدراك للوقت قولهم :

بادر لدرك الذى قد فات من عمرك	ولتتخذ زادك التوحيد فى سفرك
وقل يامليك الورى يامنتهى أملى	ما أشوق الوالة المضنى إلى شرك
ما ظل لى أمل غير مشهدكم	ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك

وأنشدوا أيضاً فى معنى التمكن من الحال .

شغلت قلبى بما لديك فلا      ينفك طول الحياة عن فكر  
آنستنى منك بالوداد وقد      أوحشتنى من جميع ذا البشر  
فذكرك لى مؤنس يعاودنى      ويبعدنى عنك منك بالظفر

## باب الصفاء

قال الله تعالى ( وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ) .

وقال الشيخ رضى الله عنه : الصفاء اسم للبراءة من الكدر وهو فى هذا الباب سقوط التلوين وهو على ثلاث درجات :

والدرجة الأولى : صفاء علم يهذب سلوك الطريق ويبصر غاية الجد ويصح همة القاصد .

والدرجة الثانية : صفاء حال يشاهد به شواهد التحقيق ويذاق به حلاوة المناجاة وينسب به الكون

والدرجة الثالثة : صفاء اتصال يدرج حظ العبودية فى حق الربوبية ويفرق نهايات الخبر فى بدايات العيان ويطوى ضالة التكاليف فى عين الأزل .

أما الآية التى استشهد بها الشيخ فمعناها ظاهر بين .

وأما قوله الصفاء اسم للبراءة من الكدر فمعناه أن الكدر نقيض الشوب فالشىء الصافى هو الخالص مما يشوبه من كل مغاير لمعنى الصفاء ومعنى الصفاء هنا كما يقرر الشيخ سقوط التلوين عن المرید المكدر لصفاء السلوك .

ثم قال وهو على ثلاث درجات :



فمن معاني الدرجة الأولى صفاء علم يهذب سلوك الطريق العلم الصافي وهو ما كان خالصا لوجه الله وما كان مصدره عن حقيقة كونية أو قرآنية وهذا العلم مادام - صافيا متيناً فهو يهذب سلوك الطريق ويريد الشيخ بهذه التوريه أن يهذب سلوك السالك نفسه ثم يبصره بغاية الجسد أى بفضل المهمة والاجتهاد وقوله ويصحح همة القاصد متعلق بغاية الجسد لأن الجسد في السعي لا ينشأ إلا عن همة عالية لقاصد كريم مجد .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : صفاء حال يشاهد به شواهد التحقيق ويذاق به حلاوة المناجاة وينسى به السكون والدرجة الثانية يقول فيها الشيخ صفاء حال يشاهد به شواهد التحقيق ومعناة الصفاء الذى يزيل الحجب عن بصيرة المشاهد فيبصر شواهد التحقيق للحقيقة وإذا زالت الحجب بتلك الوسطة يذوق السالك حينئذ حلاوة المناجاة لله بالذكر والفكر والمسامرة وينسى السكون وما فيه اشتغالا بما أقامه فيه الحق من الشهود وحلاوة المناجاة .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : وهى أرقى من الدرجتين السابقتين ( صفاء اتصال ) أى صفاء اتصال خاص تدرك بواسطته حظوظ العبودية من حقوق الربوبية فلا يصير للعبد إرادة ولا رغبة إلا فيما أَراده الحق وليس هذا فقط وإنما هذا الاتصال يغرق نهايات الخبر أى ما أخبر به العبد من طريق العقل أو من طريق العلم أو من طريق الكتب المنزلة يغرق نهايات الخبر كله فى بدايات العيان بواسطة الشهود ويصوى ضآلة التكاليف وإن كان لا يذوقها فى البداية والنهاية بالنسبة لمسكارم الحق ورحمته وتفضله مما كان فى عين الأزل ولابن الفارض فى هذا المقام أبيات فى وصف الحقيقة حيث يقول فى قصيدته الميمية .

فان قيل صفها (١) فأنت بوصفها      خبير أجل عندي بأوصافها علم  
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى      ونور ولا نار وروح ولا جسم

تقدم كل الكائنات حديثها قديما ولا ثم شكل هناك ولا رسم  
ولا قبلها قبل ولا بعدها بعد وقبيلية الأبعاد فهي لها حتم  
محاسن تهدي المادحين لوصفهما فيحسن فيها منهم النثر والنظم

## باب السرور

قال الله تعالى (قل بفضل وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه : السرور اسم لاستبشار جامع وهو أصفى  
من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان ولذلك نزل القرآن باسمه في  
أفراح الدنيا في مواضع وورد اسم السرور في موضعين من القرآن في  
حال الآخرة وهو في هذا الباب على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان : حزن أورثه خوف  
الانقطاع وحزن هاجته ظلمة الجهل وحزن بعثته رحشه التفرق .

والدرجة الثانية سرور شهود كشف حجاب العلم وفك رق التكليف  
ونفى صغار الاختيار .

والدرجة الثالثة : سرور سماع الاجابة وهو سرور يحو آثار الوحشة  
ويقرع باب المشاهدة ويضحك الروح .

ومعنى قول الشيخ رضى الله عنه في الدرجة الأولى : السرور اسم  
لاستبشار جامع وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان  
ومعنى قول الشيخ اسم لاستبشار جامع والاستبشار ما يبدو على تقاطيع  
الوجه من السرور ولذا سميت البشرية بشرى لأنها تؤثر في بشرة الوجه  
وجعل الشيخ السرور أصفى من الفرح ورأى أن الأفراح ربما شابتها  
الأحزان أى مازجتها وهى ضدها بخلاف السرور .

وأما قوله ولذلك نزل القرآن باسمه في أفراح الدنيا يعنى قوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وقوله (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) وإن كان الفرح قد نزل أيضا في مواضع من الكتاب العزيز كقوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وأما قوله وورد اسم السرور في القرآن في حال الآخرة ويعنى قوله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا) والموضع الثانى معنى به قوله تعالى (ولقاهم نضرة وسرورا) والسرور أعم من الفرح قد يطرأ على النفس ويزول بأسباب من ضده وهو الحزن والسرور أدوم مع شموله لمعنى الفرح .

ثم قال الشيخ وهو في هذا الباب على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان ولما كان السرور ضد الحزن ولا يتفق معه كان محدد له . ولما كان سببه تذوق الشيء السار فانه كلما كان التذوق للشيء أتم كان السرور به أكمل وأعم . ويقول الشيخ إن هذا السرور المعنى يذهب بثلاثة أحزان : الحزن الأول حزن أورثه الخوف من انقطاع وهو حزن المتخلفين عن ركب المحبين فالمنقطعون قد تخلفوا عن هذا الركب فاذا آبوا إلى الله وأنابوا أذهب حزنهم الذى حدث بسبب الانقطاع وذلك السرور لسبب العظة إلى الله تعالى . أما قوله وحزن حاجته ظلمة الجهل فالجهل بالعلم أو بعدم المعرفة ولا سيما المعرفة لله ولطريقه وهو مقصود الشيخ هنا فزوال هذا الجهل بالمعرفة يحدث أنساب الله وسرورا بفضله ، ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول الله تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) فهذا النور الإلهى بما يحدثه في القلوب من سعة ومعرفة يحدث سرورا بفضل الله عليهم بأن هداهم وهذا الفتح الإلهى عما يزيد الذوق في المتذوق لفضل الله في هدايته وعرفانه . وهذا معنى قوله (وذا ذوق الإرادة طعم السرور) .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية . سرور شهود كشف حجاب العلم وفك رق التكليف ونفى صغار الاختيار فعنى قوله ( سرور شهود كشف حجاب العلم ) لأن العلم المعروف بالعقل والحس قد يكون حجابا بالنسبة للكشف لا سيما أن الكشف ينبع عن البصيرة والبصيرة من الإنسان تقع في بؤرة الذات وهى مجرد نور الفطرة ينشع على القلب فيحدث شعورا مبصرا فإذا انكشف حجاب العلم بالشهود أحدث سرورا لا يدركه سوى من تذوقه وأما قوله ( وفك رق التكليف ونفى صغار الاختيار ) ذلك لأن التكليف الشرعية فى عرف السالك المبتدىء يجهد ويباين هوى نفسه فيجد له مشقة تقتضى الصبر عليها والصبر فيه بعض معانى الرق ولذا قال الشيخ رق التكليف . وأما قوله ( ونفى صغار الاختيار ) فالصغار اسم مصدر ومنه صغر يصغر صغارا وهنا بمعنى النافة وأطلقه الشيخ على اختيار العبد مع الله وحقا ما أتفه هذا الأمر وهو من الصغار بكان وكان الأولى والأكمل ولا سيما للعبد السالك لطريق الله أن يسلم كل أمره إلى الله تعالى .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : سرور سماع الإجابة وهو سرور يحو آثار الوحشة ويقرع باب المشاهدة فإذا تجرد السالك لطريق الله من رؤية مشقة العبادة ، وإذا تجرد أيضا من الاختيار مع الله ذلك الأمر الموجب للصغار فى نظر الله اتجه وإذا اتجه تنبه وإذا تنبه تذوق وإذا تذوق عرف وسمع بأذن كيانه المعنوى صوت الاستجابة وتذوق السرور الذى يفيض على نفسه ويبدو على أسارير وجهه فيمحو آثار الوحشة وليس هذا فقط بل إنه أيضا كما يقول الشيخ يقرع باب المشاهدة وطبعا يضحك الروح لهجمة السرور .

وأنشدوا فى معنى هذا الباب قولهم .

إن شئت أن تقضى حياك طيبة فاعط الرضى بالذى يرضى به الله  
واختر إرادته فيما كرهت وما أحببت فالخير فيما الله أولاه

وقالوا أيضا :

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا مما يكون وعله وعساه  
فالدهر أقصر مدة مما ترى وعساک تلقى الذى تخشاه

## باب السر

قال الله تعالى ( الله أعلم بما فى أنفسهم )

ويقول الشيخ رضى الله عنه : أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم  
الخبر وهم على ثلاث طبقات : -

الطبقة الأولى : طائفة علمت هممهم وصفت قصودهم وصح سلوكهم  
فلم يوقف لهم على رسم ولم ينسبوا إلى اسم ولم تشر إليهم الأصابع وأولئك  
ذخائر الله حيث كانوا .

ثم قال والطبقة الثانية : طائفة أشاروا عن منزل وهم فى غيره ووروا  
بأمر وهم لغيره ونادوا على شأن وهم على غيره فهم بين غيره عليهم تسترهم  
وأدب فيهم يصونهم وظرف يهذبهم .

والطبقة الثالثة : طائفة سترهم الحق عنهم فلاح لهم لائح أذهلهم عن  
إدراك ما هم فيه وهممهم عن شهود ما هم له وضمن بحالهم على علمهم معرفة  
ما هم فيه فاستتروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم عن قصد يهيجه  
غيب وحب صادق يخفى عليهم مبدأ علمهم ووجد غريب لا ينكشف لهم  
موقده وهذا من أرق مقامات أصل الولايات .

أما وجه استشهاد الشيخ بالآية ( الله أعلم بما فى أنفسهم ) أى من سر  
خفى مع الله وإيمان به صدقوا الرسل واتبعوهم وآثروا الله لما أودعه فى

قلوبهم من سره وهو الاستعداد للإيمان والمعرفة بما خفي على قومهم الذين لم يصدقوا الرسول ولم يتبعوهم .

ثم قال الشيخ وأصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر ويريد به حديث سعد بن أبي وقاص (حيث قال له ابنه أنت هاهنا والناس يتنازعون الإمارة فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي وقد يريد به أيضا قوله عليه الصلاة والسلام (رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) .

وأما قوله الشيخ وهم على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : طائفة علت همهم وصفت قصودهم وصح سلوكهم فلم يوقف لهم على رسم ولم ينسبوا إلى اسم ولم يشر إليهم بالأصابع وأولئك ذخائر الله حيث كانوا وقد وصفهم الشيخ في أول ما وصف بعلو الهمة وعلو الهمة يأبى أن يعرج على مادون الحق ولا يني حتى يصل إليه . ولا ترتضى همته شيئا سواه فيقر به ربه فيفرح ويأنس بقربه ولا يبتغي دون هذا القرب شيئا من القيم الفنية لأن الهمة العالية من شأنها العلو وتأبى على نفسها السقوط ثم وصفهم بصفاء القصد وهو خلوص القصد من كل شائبة للهوى فصفاء القصد تجريده لمطلوب واحد بينما غيره من أهل الهمم الضعيفة تطلب الأمر لغيره والقصد لسواه وحتى قد يعبدون الله لا لذاته وإنما للخافة عقابه والرغبة في ثوابه .

ثم وصفهم أى أهل مقام السر أيضا بصحة السلوك وهو سلامته من العوائق والقواطع وأما قوله ولم يوقف لهم على رسم يريد به أنهم انمحت رسومهم والرسم ما يخفى الحقيقة وراءه كالسحاب لوجه السماء والكسوف

أو الخسوف للشمس والقمر ويريد بالرسم الجسم وقد أراد بالسر الروح  
أو القلب أو الرسم وهو كل ماسوى الله مما يكون فهو رسم ومعنى مجوء عدم  
الوقوف معه أو التعلق به واللبيب دائماً يتعلق بالحقائق لا بالرسوم فأولئك  
الموصوفون من أهل الله لا رسم لهم يقفون معه أو ينظرون إليه وأن كان  
موجودا بالفعل وجودا اعتباريا وإنما اشتغلوا عنه بالحقائق والمعاني ويريد  
الشيخ إجمالا إنهم لم ينقطعوا عن الله بشيء من الأشياء وعن طلب رضى  
مولاهم الذى تفضل عليهم بأن وفقهم ثم إنهم لما فيهم من همة عالية ومعرفة  
سامية عميقة لم يوقف لهم فى الناس على أثر... فهم فى الناس من الغرباء  
أو المفردون والسابقون فلا يوقفون على أثر من آثارهم لسبقهم .

وأما قوله ولم ينسبوا إلى اسم لعدم حبهم للاشتهار غابوا عن كل اسم  
يريدون به الشهرة وإن اشتروا بالخير والتقى وهم لا يعلمون وحتى شيوخ  
هذه الطائفة من الصوفية لم يقصدوا أن ينسبوا إلى الصفاء أو الصوف  
أو الصفة وإنما الناس بعد الصحابة هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم الذى  
اختلفوا فى اشتقاقه ثم دون أن يقصدوه هم ثم وصفهم الشيخ رضى الله عنه  
بأنهم لم يشر إليهم بالأصابع لحقائهم على الناس حيث لم يعرفوا بينهم  
بالصلاح أو بالتقى أو بالفضل أو بالعلم فيشار إليهم بالأصابع .

وأما قوله أولئك ذخائر الله حيث كانوا والذخائر ما يخبأ حرصا عليه  
لنفاسه ويضن به ويدخر للأموال الشداد وذخيرة الرجل ما يدخره أو يخره  
لحوادثه ومهماتة وهؤلاء لما كانوا من المستورين فى الناس وأولئك الذين  
لا يشار إليهم بالبنان هم فى الحقيقة بمنزلة الذخائر الإلهية المخبوءة التى لا يجليها  
الله إلا لمن أحب من عباده وأولئك هم كبار الأولياء .

ثم قال الشيخ والطبقة الثانية : طائفة أشاروا عن منزل وهم فى غيره  
ووروا بأهولهم لغيره ونادوا على شأن وهم على غيره فهم بين غيره عليهم

تسترهم وأدب فيهم يصونهم وظرف يهذبهم ويقصد الشيخ بأولئك من أهل الطبقة الثانية : أهل الفتوة من سالكي طريق الحق فإن من تقاليد أهل الفتوة أن يتفتوا أى يتفضلوا على الناس دون انتظار مقابل كما فعل موسى عليه السلام مثلا مع أولا سيدنا شعيب عليه السلام ويعملون لله دون ترقب لأجر أو منوبة ومن دأبهم أن يخفوا أعمالهم الصالحة وإذا لزم الأمر أظهروا بعض الصفات — المناقضة سترا لحالهم كما فعل الخضر وغيره على مقامهم وتظرفا للخلق ونأدبا مع الحق وقد ذكرنا بعض أحوال أهل الفتوة في غير هذا المقام من الكتاب فمن شاء راجع أحوالهم هناك وقد ورد هنا استدلالا على أحوالهم وقد يسموا أيضا بأهل الملامة أو الملامتية وأصح تسميه لهم (أهل الفتوة) فمن أحوالهم أن — شيخا لهم شكأ إليه بعض أتباعه أنه وقع في ضائقة وهي ضمان شخص لم ينف فسمعه أحدهم ولم يبد في المجالس شيئا وإنما سمع الشخص يدعو لهذا الأخ في الله ولما ذهب النهار وأظلم الليل ذهب هذا المرید الفتى إلى منزل الشيخ ومعه مائة دينار وقال له خذها فربما تسد بها خلة أخينا فأخذها الشيخ سرا وإنما أعلنها في إخوانه في اليوم الثانى قائلا والله لقد فرج الله ضائقة أخيكم فلان وألمم فلانا أن يدفع لى مائة دينار أعطيتها للأخ الآخر يفرج بها ضائقته .

ولما جاء الليل ذهب الذى كان دفع المائة دينار إلى منزل الشيخ وقال له أعطى المائة دينار لأنها ملك أُمى فقال له الشيخ ألم تفعل وتفعل قال المرید نعم ولكنك أظهرت الأمر وكنت أريد إخفاء قال اذهب إلى فلان وخذها منه فذهب إليه وقال له قل للشيخ سرا إني وهبتها لله . ونوادر أهل الفتوة من هذا القبيل كثيرة فان شئت راجعها في بعض أبواب هذا الكتاب أو راجعها بإسهاب في كتابنا ( جهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ) .

وأما قوله في الطبقة الثالثة : إنهم طائفة أسرهم ( أى أخفاهم ) الحق عنهم فلاح لهم لائح أذهلهم عن إدراك ما هم فيه ووهبهم عن شهود ما هم له



وضن بحالهم على علمهم ومعرفة ما هم فيه فاستتروا عنه مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم عن قصد صادق يهيج غيب وحب صادق ويخفي على الواحد منهم مبدأ علمه ويجد موردا عذبا لا ينكشف فيه موقعه له وهذا من أرق مقامات أهل الولايات .

ومعنى قوله الطبقة الثالثة (الذين أسر الحق أحوالهم عنهم) وهى تورية يريد بها أن الحق أخفى أحوالهم حتى عن أنفسهم، فلاح لهم من الله لائح من الشهود والعرفان أذهلهم عن إدراك ما هم فيه من الأحوال الجميلة وهمهم أى همهم بمعرفة الله وحبه عن شهود ما هموا له من قصد الطريق لعلمهم بنة الله عليهم ، تلك المنة التى لا يرون لأنفسهم فيها كسبا أو عطاء، وهذا ما جعلهم يضمنون بحالهم حتى عن أن يتناولوا وبالغوا علمهم فى هذا حتى تستروا بأنفسهم عن مواهب انفسهم لجعلهم ما بينهم وبين الله سرا بينهم وبينه ، وكانت هذه الشواهد من الحقيقة تشهد لهم بصحة مقامهم العالى وهى ناشئة عن قصد صادق يغيبه غيب سائر رأى أمور غيبية عن الناس وحب صادق يحدوهم إلى هذا الخفاء لوجد غريب لا ينكشف للناس موقعه وهو شوق الحب والهيام بالقرب :

ثم قال الشيخ وهذا من أدق مقامات أهل الولاية وهم حقا الأغنياء  
الأخفاء .

قال قطب الدين القسطلانى :

لما رأيتك مشرقا فى ذاتى	بدأت من حالى ذميم صفائى
وتوجهت أسرار فكرى سجدا	لجميل ما واجهت من لحظات
وتلوت من آيات حسنك صورة	صارت محاسنها لجمع شتمات
وبلوت أحوالا فصرت معبرا	فى الصحو عن سكرى بصدق ثباتى
فتحولت أحوال سرى فى العلا	وعلت على محو وعن إثبات

وتوحدت صفتي فرحت مبهجا      نظرا لما أشهدت من آيات  
ألا وقد ظهرت عن شهود بواطن      شهدت بنطق كان من سكتات  
فدع المعنف والعذول وقل له      الحق أبلغ فاستمع كلماتي  
لا تأفس بذهاب من حاضر      أو غائب يدعو إلى الغفلات  
ولا تنظرن لغير حالك واسترح      من كل مافي الكون من طلبات

## باب النفس

قال الله تعالى ( فلما أفاق قال سبحانك ) .

وقال الشيخ رضى الله سمي النفس نفسا لترويح المتنفس به وهو على ثلاث درجات وهي تشابه درجات الوقت والأنفاس ثلاثة :

النفس الأولى : نفس في حين استتار مملوء بالكظم معلق بالعلم إن تنفس تنفس بالأسف أو أن نطق نطق بالإذن وعندى أنه يتولد من وحشة الاستتار وهي الظلمة التي قالوا إنها مقام .

والنفس الثاني : نفس في حين التجلي وهو نفس شاخص عن مقام السر إلى روح المعاينة مملوء من نور الوجود شاخص إلى مقام السرور وذلك روح منقطع الإشارة .

والنفس الثالث : نفس مطهر بماء القدس قائم بإشارات الأزل وهو النفس الذى يسمى صدق النور .

فالنفس الأول للهريد سراج والنفس الثاني للقاصد معراج والنفس الثالث للمحقق تاج ،

هذا وأما وجه استشهاد الشيخ بالآية ( فلما أفاق ) أى من غشية الحال .

قال سبحانه والمعنى يعبر عن الانتقال من حال إلى حال ولذا قال الشيخ رضى الله عنه سمي النفس نفساً لترويح المتنفس به أى عما كان يجده من ثقل حال الانتقال وفى الانتقال من حال إلى حال أو من مقام إلى مقام استتار لأنها فترة احتجاب بين حالين أو مقامين ويقول الشيخ وهو على ثلاث درجات وهى تشابه درجات الوقت والأنفاس ثلاثة .

والقوم يعبرون بالوقت عن الوقت الإلهى الذى فيه السالك فيلتزم بحكم وقته من الله فعلاً أو تحركاً أو سكوناً . والنفس يعبرون عنه بفترة انتقال كما قدمنا وهو استرواح من التوقف والاستتار بين حالين تبين أحدهما ولم يستبين الثانى .

ثم قال والأنفاس ثلاثة :

النفس الأول : نفسى فى حين استتار مملوء بالكظم أى بالسكبت لسبب أن هذا الاستتار العامض المظلم بين حالين أو مقامين معلق بالعلم الذى يبينه وهو علم السلوك الذى يبين أنه انتقال فإن تنفس تنفس بالأسف لوجود غاشية الحجاب وأن نطق نطق بالحزن لذهاب الحال الذى كان فيه وعدم استبانته الحال الذى سيكون فيه ، ثم قال الشيخ وعندى أنه يتولد من وحشة الاستتار وهى الظلمة التى قالوا إنها مقام ويقول الشيخ قالوا أى زعموا أنه مقام بين مقامين وهذا الحال عند الشيخ ليس بمقام لأن المقام يجب أن يكون ثابتاً والحال يأتى ويذهب ولذلك قالوا كل حال يحول .

ثم قال والنفس الثانى : نفس فى حين التجلى وهذا يشعر بذهاب ظلمة الوقفة وظهور الحال الجديد أو المقام الجديد الذى سيكون السالك فيه ثم قال وهو نفس شاخص عن مقام السرور إلى روح المعاينة وقوله شاخص أى ذاهب أو راحل كقولك زيد شاخص عن المدينة أى ذاهب عنها إلى غيرها وفى هذا النفس يكون المرید كما بقول الشيخ شاخصاً عن مقام

السُرور إلى روح المعاينة فبعد أن سر وتنفس مسرورا بسرور الانتقال شخص إلى روح المعاينة أى إلى راحة المعاينة، والراحة من الارتياح والارتياح أشد وأثبت من السرور كما لا يخفى حيث فى هذا الشخص يستروح السالك روح المعاينة بسبب التجلى الألهى الذى أذهب ظلمة الاستتار وذلك الروح أو الارتياح مملوء أى مستمد من نور الوجود الحق أى تجليه وشاخص أيضا أى راحل إلى مقام السر وذلك الروح الذى نتحدث عنه الشاخص إلى مقام السر روح منقطع الإشارة أى لا تصل إليه عبارة أو إشارة من حيث إنه سر بين العبد وربّه لا يمكن التعبير عنه ببلغة كلام أو إيماة إشارة .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه والنفس الثالث : نفس مطهر أى للأغيار والظنون ومما تحويه العبارات والإشارات من ماء القدس أى من نفحات الحق وهو ماء الطهارة العظمى ومن معانى القدس لغة : الطهر لأن التطهر بمعنى التقديس أيضا وذلك التطهير قائم بإشارات الأزل . وإشارات الأزل ليست كالإشارات المعلومة التى يشار بها إلى المقام وإنما هى إشارات مواجيد والمهامات يكون نبعها الأزل .

ثم قال الشيخ وهذا النفس هو الذى يسمى أى هو الذى يسمى عند القوم بصدق النور أى بالنور الصادق ، والصادق هنا بمعنى الحقيق أو قل نور الحق .

ثم قال الشيخ : فالنفس الأول أى الذى فى الدرجة الأولى للمريد سراج أى يده على مواضع سيره ومواطن أقدامه فى سلوكه من حيث إنه ينتقل به من حال إلى حال أو من مقام إلى مقام فيتنفس الصعداء عند كل نقلة . ثم قال والنفس الثانى للقاصد معراج لظهور التجلى فيه فيعرج بقلب صاحبه إلى عالم الحقيقة والتقديس .

وقال والنفس الثالث للمحقق تاج لأنه النفس المطهر بماء القدس

والموصل إلى آفاق تنقطع عندها دلالات العبارات والإشارات فمحتاج  
للمحقق ولاشك .

وأنشدوا في مثل هذه المعاني قائلين :

تصاعد أنفاسي إليك عتاب	وكل إشاراتي إليك خطاب
وإن لاحت الأسرار فهي رسائل	فهل لرسالات المحب جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأناام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	ويبنى وبين العالمين خراب
فإن صح منك الود فالكل هين	وكل الذي فوق التراب تراب
إذا لم يكن بيني وبينك ريبة	فكل نعيم صدد عنك عذاب
خفيث أولى أنت قصدي ووجهي	ووجهك محرابي وأنت الباب
فكيف تواني الخلق عنك وقد بدا	جمال به قد هامت الألباب

### باب الغربية

قال الله تعالى : ( فلو لا أن كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون  
عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن نحيينا منهم ) .

ويقول الشيخ رضى الله عنه . الغربية اسم يشار به إلى الانفراد عن  
الاكفاء وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الغربية عن الأوطان وهذا الغريب موته شهادة  
ويقاس له في قبره من مدفته إلى وطنه ويجمع يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم  
عليه الصلاة والسلام .

والدرجة الثانية : غربة الحال وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم وهو  
( ١٨٢ - التمكن )

رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين  
أو صديق بين قوم منافقين ،

والدرجة الثالثة : غربة الهمّة وهي غربة طلب الحق تعالى وهي غربة  
العارف لأن العارف في شـ.اهد غريب ومصحوبه من شاهده غريب  
وموجوده لا يحمله علم أو يظهره وجد، أو يقوم به رسم أو يطيقه إشارة  
أو يشمله اسم غريب فغربة العارف غربة الغربة لأنه غريب الدنيا  
وغريب الآخرة .

أما شاهد الشيخ في الآية فالقلة : أو الغربة غربة الذين ينهون عن الفساد  
في الأرض وشرح الشيخ الغربة بقوله الغربة اسم يشار به إلى الانفراد عن  
الكفاء فكل منفرد عن صحبه بنفسه أو منفرد عن قومه بعلو كعبه في  
علمه أو منفرد بحبه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كل منفرد بعرفانه  
للحق والسير إليه فهو غريب، ووجود هؤلاء في الناس يعبر عنه بالغربة وهو  
أحسن تعبير عن الانفراد بميزة أو التوحد في صفة تعلو عن مستوى  
معاشرية فيكون وجوده غربة ويكون في الناس غريباً .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه في الدرجة الأولى أو في الغربة الأولى :  
إنما التغرب عن الأوطان وهذا الغريب عن وطنه إن مات في غربته يكون  
موته شهادة ويكون شهيداً ويقاس له في قبره كما جاء في الحديث المروى  
عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (موت  
الغريب شهادة) وأما قوله يقاس له في قبره من مدفنه إلى وطنه فيشير به إلى  
مارواه أبو عبد الرحمن البجلي عن عبد الله بن عمرو قال توفي رجل بالمدينة  
وكان ولد بالمدينة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (ليته مات  
في غير مولده) فقال رجل ولم يا رسول الله فقال : (إن الرجل إذا مات  
قدس له من موطن مولده إلى منقطع أثره في الجنة) .

أما قول الشيخ ويجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم فيرجع إلى حديث الذي رواه الإمام أحمد والذي يسند أيضاً إلى عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أحب شيء إلى الله الغرباء ) وقيل وما الغرباء يارسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) قال القارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى بن مريم يوم القيامة .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : غربة الحال وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم وهو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين . وقد جعل الشيخ الغرباء في هذه الدرجة ثلاثة : صاحب صلاح ودين بين قوم فاسدين ، وصاحب معرفة وعلم بين قوم جهال ، وصاحب صدق وإخلاص بين قوم أهل كذب ونفاق . فالصفات الثلاث تتنافى مع صفات من يعيشون بين أظهرهم ووجود أحدهم في بلدة كوجود شخص غريب وأكثرهم غربة هو ذلك السارق الصديق الذي صدق الله في قوله ، وفعله ، وحاله وصدق بما جاء في القرآن على لسان رسول الله وحبيبه فاتجهت كل مقاصده ونواياه إلى حب الله ورسوله والعمل لله ولرسوله ومعرفة حق الله وحق رسوله فإن عاش بين قوم كاذبين منافقين (والمنافق هو الشخص الذي يدل ظاهر عمله على خلاف ما في باطنه فذلك الصديق يكون أشد الناس غربة ولو كان في وطنه بين قومهم وأهله وهذا وأمثاله ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ( طوبى للغرباء ) في الحديث الذي رواه عبد المطلب بن حنطب عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه الإمام أحمد قال : طوبى للغرباء قالوا يارسول الله ومن الغرباء قال الذين يزيدون إذا نقص الناس ) وفي رواية أخرى (الذين يقلون إذا زاد الناس) . وهذا الانقلاب في لفظ الحديث تبعه على الرواة ، ومعنى يزيدون إذا نقص الناس أى يزيدون في الخير إذا أنقص الناس من فعل الخير والمراد بالخير هنا عموم الخير ومعنى الذين يقلون إذا زاد الناس أى إذا

كثر الناس وقل ما فيهم من خير قل أولئك الأخيار في الناس تبعاً لذلك وأيضاً يؤيد ذلك الحديث المشهور (بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء) قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذ فسد الناس . وفي رواية عن نافع بن مالك أنه دخل عمر بن الخطاب المسجد فوجد معاذ بن جبل جالسا وهو يبكي فقال عمر ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن أهلك أخوك قال لا ولكن حديثا حدثنيهِ حبيبي صلى الله عليه وسلم وأنا في هذا المسجد فقال ما هو قال (إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة) فأولئك جميعاً هم الغرباء الممدوحون من الله والمغبوطون من رسوله وسموا غرباء لقلبتهم في الناس وتلك هي غربة الحال التي يعنيها الشيخ رضي الله عنه .

ثم قال الشيخ في الدرجة الثالثة : غربة الهممة وهي غربة طلب الحق وهي غربة العارف لأن العارف في شاهده غريب ومصحوبه في شاهده غريب وموجوده لا يحمله علم أو يظهره وجد أو يقوم به رسم أو تطبيقه إشارة أو يشمل اسم غريب فغربة العارف غربة الغربة لأنه غريب الدنيا والآخرة فلو كانت الدرجة الأولى في الغربة غربة الأبدان عن الأوطان وأن كانت الغربة في الدرجة الثانية غربة الأقوال والأفعال والأحوال فإن هذه الغربة الثالثة غربة الهمم لأن هممة العارف لا تقف عند موطن أو علم أو معرفة أبداً لتعلقها الدائم العامر بالمعروف الأعظم وهو الحق عز وجل وبهذا تكون غربة العارف هي غربة الغربة ويكون العارف في سائر معلوماته وشواهد ومصحوبه من معرفته وما يشاهد ويتجلى على قلبه من ذلك غربياً في بيته وبيته لماذا ؟ . لأنه موجوده من المعرفة لا يحمله علم مما يصطلح الناس عليه والحال أن العلم المعروف لا تزيد أبحاثه عن شقين أو ناحيتين : علم بالدين من دقه وأصول وغير ذلك وعلم بالدنيا من طبيعة



ورياضة واقتصاد الخ فوجود العارف في معرفته لا يحمله أى علم من هذا القبيل أو يظهره وجد أى ولا يظهره وجد من مثل تلك المواجهيد لأن هذا الوجد أعلى وأكرم من كل وجد سواه ولا يقوم به رسم أى أن موجود العارف أو محصوله من معرفته لا يقوم به رسم من العلوم الظاهرة لأنه مبنى على نحو الرسوم وتوحيد الحقيقة تم يقول الشيخ ولا تطبيقه إشارة وكيف تطبق الإشارة أو العبارة معرفة أو علما يتعلق بالأزل والأبد ولا تحول فيه إلا الذات الإنسانية بما فطرت عليه من الهام وكشف . وتجريد التوحيد طلبا لكمال التنزيل وحتى هذا المعنى لا يشمل اسم غريب مما يصطلح على تسميته بالغريب في وطنه أو الغريب في أحواله أو الغريب في مواجهته فاذن تكون غربه العارف على التحقيق غربة الغربة لأنه كما يقول الشيخ يكون أى حينئذ غريب الدنيا والآخرة .

وفي هذه المعاني كلها أنشدوا قولا غريبا في الأقرال أيضاً لعمق معناه في المعرفة وبعد مداه في سمو الطلب :

لمعت نارهم وقد عسعس الـ	ليل ومل الحادى وحرار الدليل
فتأملتها وفكرى من السـ	ن عليل ولحظ طرفى كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى	وغرامى ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصـجـبى	هذه النار نار ليلي فقبلوا
فرموا نحوها لحاظا صحيحا	ت فعاتد خواسئا وهو حول
ثم مالوا إلى الملام وقالوا	خلبا مارأيت أم تخيل
فتجنبتهم وملت إليهمـ	والهوى مركبى وشوقى الزميل
ومعى صحبة أتت تقتفى الآـ	نار والحب شأنه التطفيل
وهى تبدو ونحن ندنو إلى أن	حجرت دونها طلول تحول
فدنونا من الطلول فحالت	زفرات من دونها وعوبل

قلت من الديار قالت جريح  
 ما الذى جئت تبغى قلت ضيف  
 فأشارت بالرحب دونك فاعقر  
 من أتانا ألقى عصا السير عنه  
 فخططنا إلى منازل قوم  
 درس الوجد منهم كل رسم  
 منهم من عفا ولم يبق للشكـ  
 ليس إلا الأنفاس تخبر عنه  
 ومن القوم من يشير إلى وجـ  
 قلت أهل الهوى سلام عليكم  
 لم يزل حاد من الشرق يحدو  
 جئت كى اصطفى فهل لى بنار  
 فأجابت حوادث الحال عنهم  
 أتروقنك الرياض الانيقا  
 كم أناها قوم على غرة منه  
 وقفوا شاخصين حتى إذا ما  
 بدت راية الوفا بيد الوجـ  
 أين من كان يدعينا فهذا اليـ  
 حملوا حملة الفحول ولا يصر  
 بذلوا أنفسهم سحت حين شحت  
 ثم غابوا من بعد ما اقتحموها

وأسير مكبل وقتيل  
 جاء يبتغى القرا فأين النزول  
 ما فما عندنا لضيف رحيل  
 قل من لى بذنا وكيف السبيل  
 صرعتهم قبل المذاق الشمول  
 فهو رسم والقوم فيه حلول  
 وى ولا للدموع فيه مقيل  
 وهو عنها مبرأ معذول  
 د تبقى عليه منه القليل  
 لى فواد عنكم بكم مشغول  
 بى إليكم والحادثات تحول  
 قراكم من الغداة سـبيل  
 كل حال من دونها مغلول  
 ت فمن دونها رنى ودخول  
 ه وراموا قرأ فعر الوصول  
 لاح للوصل غرة وحجول  
 د ونادى أهل الحقائق جواروا  
 وم فيه سيف الدعاوى يصول  
 ع يوم اللقاء إلا الفحول  
 بوصال واستصغر المبهول  
 بين أمواجها وجاءت سيول

قدفتمهم إلى الرسوم وكل دمه في ظلونها مظلول  
 منتهى الحظ ما تزود منها اللحظ والمدركون قليل  
 نارنا هذه تضيء لمن يرى بليل لكتنها لا تنير  
 جاءها من عرفت يبغي اقتباسا وله البسط والمنى والسول  
 فتعالت عن المنال وعزت عن دنو إليه وهو رسول  
 ولكل منهم رأيت مقاما شرحه في الكتاب مما يطول  
 واعتذاري ذنب فهل عند من يرى ام عذرى في ترك عذرى قبول  
 فوقفنا كما عرفت حيارى كل عزم من دونها محلول  
 ندفع الوقت بالرجاء وناهيه بك بقلب غذاؤه التعليل  
 كلما ذاق كأس بأس مرير جاء كأس من الرجا معسول  
 وإذا ماسولت له النفس أمرا حيد عنه وقيل صبر جميل  
 هذه حالنا وما بلغ العلام إلى به وكل حال تحول<sup>(١)</sup>

(١) من يظلم على هذا القصيد يندهش ويستغرب لما فيه من غرابه: وغربة: غرابية في المعاني وغربة في طلب المأمول ثم ينتهي إلى هذا البيت الأخير والذي يسبقه أيضا إلى القول بأن الحقيقة الإلهية متسامية بذاتها عن أن تدرك فضلا عن أن ترى بالعين اللهم إلا فيما بعد الموت حيث تتجرد الروح من شوائب الجسم وتصير في توافق مع مصدرها الأعظم . ومن أراد عرفانها فلا مجال له إلا في عرفان ما اتصل بالذات من خصائص وصفات وأفعال قادرة باهرة تورى بأن الذات حية عالمية مريدة قادرة فمن شاهد تلك الصفات وطبقها على ملزوماتها مما يرى من بدائم الاكوان أغرم بحب تلك الذات الغيبية التي يعجز الفكر والقلب والروح عن إدراك كنهها اللهم الا نورها ونورها فقط ويصح هنا التمثيل بأبيات مضت خلال الكتاب وفي آخرها بيتان هما الشاهد الذي نريد أن نسوقه لنا وهما .

فأن رام عاشقيا نظرة لم يستطعها لعلا مجدها  
 أعارته طرفا رآها به فسكان البصير لها طرفها

## باب الفرق

قال الله تعالى ( فلما أسلم وتله للجبين )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : هذا اسم يشار به في هذا الباب إلى من توسط المقام وجاوز حد التفرق وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : استغراق العلم في عين الحال وهذا رجل قد ظفر بالاستقامة وتحقق في الإشارة فاستحق صحة النسبة .

الدرجة الثانية : استغراق الإشارة في الكشف وهذا رجل ينطق عن موجوده ويشير مع شهوده ولا يحس رعونة نفسه .

والدرجة الثالثة : استغراق الشواهد في الجمع وهذا رجل شملته أنوار الأولية ففتح عينه في مطالعة الأزلية فتخلص من المهم الدنية .

ويقول الشيخ إن الفرق اسم يشار به إلى من توسط المقام أى السالك الذى توسط المقام أى المقام الذى هو فيه وجاوز حد التفرق لأنه تمكن في مقامه بعض التمكن فهو بهذا يجاوز حد التفرقة والرجوع عن المقام الذى هو فيه وأما شاهد الشيخ في الآية فهو الاستغراق الواقع من الوالد والولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه اسماعيل استغراقهما في مقام التسليم فأخذ الشيخ من هذا الاستغراق شاهدا له في باب الفرق .

ثم قال الشيخ في الدرجة الأولى : إنها استغراق العلم في عين الحال وهذا رجل قد ظفر بالاستقامة وتحقق في الإشارة فاستحق صحة النسبة ومعناه استغراق علم السالك في عين حالة فانقلب العلم باليقين إلى مقام عين اليقين وسبب هذا أن ذلك السالك قد ظفر بالاستقامة والاستقامة في السلوك هى طرد المبالغة وعصيان التقصير وذلك بالتوسط المنشود عند

شيوخ هذا الطريق ولما ظفر بالاستقامة تحققت الإشارة وهنا صحة المقامات والأحوال التي يشار إليها في عمومها الخاصة المتعلقة بالطريق وليس عموم العلم فاستحق بذلك صحة النسبة إلى أهل طريق الله ومعنى الاستغراق هنا أن يستغرقه الحال أو المقام كما تستغرق اللجة من خاضها واستغرقه في حاله أو في مقامه يسبب له اليقظة التي تصحح الاستقامة ثم تصحح النسبة إلى القوم ويصير علمه بالسلوك حالا بالفعل . والعلم غير الحال طبعاً لأن العلم هو العلم بالشيء والحال هو التلبث بما علم فعلاً . فان العلم بمقام الرضى مثلاً لا يخرج عن عرفان العالم بماهية المقام ولكن الرضى بالفعل قد تلبث بمقام الرضى فصار الرضى مقاماً له بعد العلم به .

والدرجة الثانية : استغراق الإشارة في الكشف ومعنى الإشارة هنا الإشارة إلى مقام ما أو حال ما أو لون ما بواسطة العلم . وأما الكشف فيستغرق هذه الإشارة فتذهب الإشارة بوجود الشهود لأن الإشارة أصبحت ذوقاً بالفعل ولما كشف له فذاق أصبح ينطق عن موجوده الذي حصله بالذوق والشهود لا العبارة والإشارة ولا العلم ويستتير مع شهوده أى وأنه في هذا الحال يسير مع شهوده الذي من الله به عليه وقد أصبح لا يحس رعونته نفسه أى رعونته الدعوى بأنه صاحب هذا الحال أو المقام بنفسه لأن الشهود زاده معرفة بأن المفيض عليه نور الشهود هو فعل ربه وليس قوة سلوكه ناشئة عن علمه أو نفسه ولا عطاؤه من عنده لذلك يسير مع شهوده من ربه لا مع سلوكه بنفسه ومن شأن الكشف أن يذهب بلبس النفس ومتى ذهب لبس النفس ظفر السالك بطريق الاستقامة وأصبح لا يحس رعونته نفسه بسبب الدعوى ، فانه كان قبل ذلك يدعى مواهب مولاه جاءلاً إياه من فعله هو لا من فعل مبدعه ولذا قال الشيخ .

والدرجة الثالثة : استغراق الشواهد المسيبية عن العلم والمعرفة في الجمع أى في مقام الجمع فبعد أن كان يعلم حقائق الطريق بالشواهد جعله الكشف

يترك شواهدة ويفنيها في شهود الجمع ، والجمع هنا رؤية الوجود والحق بالروح والفعل الحق لله عز وجل وذلك بالشهود لا بمجرد العلم وبالمؤثر لا بالآثر وأن كل ما سوى الله ظلال إمكانية يستوى فيها طرفا الوجود والعدم ويكون هذا السالك كما يقول الشيخ رجلا شملته أنوار الأولية أى أولية الوجود الحق ففتح عينه في مطالعة الأزلية ، والمراد هنا بالعين عين البصيرة وقد جعل الله لقلب السالك عينا يطالع بها الأزلية وسبق الألوهية فيتخلص من الهمم الدنية .

وأنشدوا تلك في المعاني من تائية ابن الفارض الكبرى رضى الله عنه  
المساء بنظم السلوك حيث يقول فيها :

نفلى لها خلى مرادك معظيها  
قيادك عن نفس بها مطمئنة  
وأسمى خليا من حظوظك واسمو عن  
حضيضك واثبت بعد ذلك تثبت  
وسدد وقارب واعتصم واستقم لها  
مجيبا إليها عن إنابة محنت  
وعد من قريب واستجب واجتنب غدا  
وشمر عن ساق اجتهد بنهضة  
وكن صارما كالوقت فالمت في عسى  
وإياك علّ فهمي أخطر علة  
وقم في رضاها واسع غير محاول  
نشاطا ولا نخلد لعجز مفوت  
واقدم وقدم ما قعدت له الـ  
خوالف واخرج عن قيود التلفت

وجز بسيف العزم سوف فان تجدد  
تجدد نفسا فالنفس إن جدت جدت  
وأقبل إليها وانحها مصغيا ففقد  
وصيت لنصحى إن قبلت نصيحى  
ثم قال :

إذا أسفرت<sup>(١)</sup> فى يوم عيد تراحمت  
على حسنها أبصار كل قبيلة  
فأرواحهم تصبو لمعنى جمالها  
وأحداقهم من حسنها فى حديقة  
وعندى عيى كل يوم أرى به  
أجمال محياها بعين قريرة  
وكل الليالى ليلة القدر إن بدت  
كما كل أيام اللفا يوم جمعة  
وسعى لها حج به كل وقفة  
على بابها قد عادل كل وقفة  
وأى بلاد الله حلت بها فما  
أراها فى عيني حلت غير مكلة  
وأى مكان ضمها حرم كذا  
أرى كل دار وطنت دار هجرة  
وما سكنته فهو بيت مقدس  
بقرة عين فيه أحشاي قرت  
باب الغيبة

قال الله تعالى ( وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف )  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه الغيبة التى يشار إليها فى هذا الباب على  
ثلاث درجات :

(١) الذات الإلهية بنورها لابتدائها .

الدرجة الأولى : غيبة المريد في تخلص القصد عن أيدي العلائق ودرك  
العوائق لالتماس الحقائق .

الدرجة الثانية . غيبة السالك عن رسوم العلم وعلل السعى ورخص  
الفتور .

الدرجة الثالثة : غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات  
في عين الجمع .

وشاهد الشيخ في الآية التي بدأ بها الباب : أن يعقوب عليه السلام  
غاب بحبه ليوסף عن ذكر أخيه فلم يذكر لإيوسف . ثم قال الشيخ الغيبة  
التي يشار إليها في هذا الباب على ثلاث درجات كعادته .

الدرجة الأولى . غيبة المريد أي المريد السالك لطريق الحق في تخلص  
القصد أي في تخلص القصد ، والقصد هنا مقصده ومطلوبه وهو الوصول  
إلى حضرة الحق : يريد الشيخ تخلص هذا القصد من أيدي العلائق أي  
المغايرة له والصارفة ودرك الفوائق أي تدارك سلوكه مما يعوقه عن  
المقصد الأعلى لالتماس الحقائق أي لأجل أن يتفرغ من العوائق والعلائق  
ملتصاً بذلك للحقائق .

ثم قال والدرجة الثانية : غيبة السالك عن رسوم العلم وعلل السعى  
ورخص الفتور : وهنا أشار إلى نوع من الغيبة أرقى من النوع الأول ألا  
وهو غيبة السالك عن رسوم العلم بشهود الحال أو المقام وقدمنا أن الحال  
أو المقام تلبث بالفعل بما كان يعلمه علماً من حقائق السلوك فعند مباشرته  
للحال أو المقام وغيبته في أحدهما عن العلم به يتخلص أيضاً من علل السعى  
أي نسبة السعى إلى نفسه وادعاء الوصول بمجرد علمه وكذلك يتخلص  
المريد من رخص الفتور لأن للعلم تأويلات ورخصاً حين حصول الفترة  
في السلوك قد يأخذ بها المريد ويلتمس بها العذر لنفسه وهذا مما يعوق  
طريقه .



ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد وتلك درجة أعلى وأكرم من الدرجتين السالفتين : درجة الشواهد على الحقيقة وهي مبلغ العلم وحتى درجة الأحوال وهي التلبث بحقائق تلك الشواهد لا تدرج تلك الدرجات في عين الجمع . ويريد هنا بعين الجمع معاينة وشهود الجمع ومعنى شهود الجمع استغراق الشواهد والعبارات وكذلك الأسماء والصفات في الذات وهي الحقيقة الجامعة لها ، فإذا بلغ العبد درجة الاستغراق في عين الجمع غابت الأدلة والشواهد والأحوال كلها لدى تلك الحضرة القدسية وصار العبد يشهد كثرة في وحدة ووحدة في كثرة والوحدة هنا وحدة الذات والكثرة لوازم الأسماء والصفات وبهذا وذاك يفهم العبد أن نظره كان بالله لا بنفسه وتوفيقه كان من الله لا من فعله وتحقيقه اجتهاد من الله لا من سعيه وعمله .

وفي معاني الغيبة يقول الشيخ عبد العزيز المنوفي رضى الله عنه ابن أبي الأفراح :

وجدت بقاءً عند فقد وجودى	فلم يبق حد جامع لحدودى
وألفت سرى عن ضميرى ملوحاً	برمز إشارتى وفك قيودى
فأصبحت منى دانياً بمعارف	وقد كنت عنى غائبا لجمودى
ومن عين ذاك الأمر حكم مبين	لتحقيق ميراثى وحفظ عهدى
فمن مبتعداً فرقى عن وجهتى	إلى منتهى جمعى يكون سجدى
وعاكف ذاتى مطلقاً لا مقيد	وبادى صفاتى قد وفا بعقودى
سألقى عصاى فى رحاب تجردى	ليأتى من نحو القبول ورودى

## باب التمكن

قال الله تعالى ( ولا يستخفئك الذين لا يوقنون )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه التمكن فوق الطمأنينة وهو إشارة إلى غاية الاستقرار وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تمكن المريد وهو أن يجتمع له صحة قصد تستره ولمح شهود يحمله وسعة طريق تروحه .

الدرجة الثانية : تمكن السالك وهو أن يجتمع له صحة انقطاع وبرق كشف وصفاء حال .

والدرجة الثالثة : تمكن العارف وهو أن يحصل فى الحضرة فوق حجب الطالب لباسا نور الوجود .

وأما شاهد الشيخ فى الآية فإن التمكن متمكن فى حاله أو فى مقامه فلا يصرفه عنه ولا يستخفه عن تمكنه من لا يوقن بالذوق أو بالشهود مثله لأنه يفقده ثم قال الشيخ إن التمكن فوق الطمأنينة وهذا صحيح لأن الطمأنينة من قلق يذهب وقد يعود وأما التمكن فى الحال أو فى المقام ثم قال وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : تمكن المريد وهو أن يجتمع له صحة قصد تستره ولمح شهود يحمله وسعة طريق تروحه ومعنى قول الشيخ إن الذى يدل على تمكن المريد فى سلوكه أن يجتمع له صحة قصد أى أن يتيقن من صحة قصده وهو وجود الله وطاعته والعبودية له .

ويساعده على ذلك الوهب اذا من الله عليه بلمح شهود يبرق لقلبه من الغيب فيحمله وينسيه مشقة الطريق وسعة طريق تروحه أى طريق واسعة ميسرة مستقيمة وهذه الصفات كلها صفات طريق الله فإن تحقق بها المريد روجه أى أراحه تحقيقه فجعل الطريق واسعا له وميسرا ليسلكه .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : تمسك السالك وهو أن يجتمع له صحة انقطاع وبرق كشف وصفاء حال : تمسك السالك في سلوكه حتى يقطع المقامات والأحوال متمكنا بفضل الله فيها فإنه يحمل العبد السالك على أن يجتمع له صحة انقطاع عن الشواغل والصوارف في طريق سلوكه ويساعده على ذلك أمران رقى كشف يلمع له من جهة الغيب وصفاء حال دون عوائق تكدره أو صوارف تشوب استقامته .

ثم قال الشيخ الدرجة الثالثة وهي من أرقى وأكرم الدرجات تمسك العارف في معرفته بعد سلوكه وقطع مراحل طريقه وذلك أن يحصل مباشرة في الحضرة القدسية وهذا معنى حصوله فيها وتلك الحضرة من شأنها أن تكون فوق حجب الطلب ضرورة وكيف لا والعارف الآن وفي تلك الحضرة يكون لا بسا نور الوجود أى يكون في حال تجل يحوطه روحا وقلبا ونفسا من نور الوجود الإلهي الأزلي وتلك غاية الغايات ومحط كل سلوك ومنتهى رفع الهمم .

وأنشدوا في معنى التمسك قولهم :

أنا في حالة النوى والتداني	لست أثنى عن الغرام عناني
لا يروم السلو قلبي ولا يفـ	تر عن ذكر من أحب لساني
فاقترب الديار لفظ وقرب الـ	ود معنى فاسلك سبيل المعاني
ياخلبلي خلباني ووجدى	وامزجا لى بذكره واسقياني

## القسم التاسع وهو قسم الحقائق

وفيه عشرة أبواب وهي :

باب المكاشفة ، وباب المشاهدة ، وباب المعاينة ، وباب الحياة .  
وباب القبض ، وباب البسط ، وباب السكر ، وباب الصحر ، وباب  
الاتصال ، وباب الانفصال ) .

### باب المكاشفة

قال الله تعالى ( فأوحى إلى عبده ما أوحى )

ثم قال الشيخ المكاشفة مهادة السر بين متباينين وهي في هذا الباب  
بلوغ ما وراء الحجاب وجودا وهي على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح وهي أن تكون  
مستديمة فإذا كانت حيناً دون حين لم يعارضها تفرق يعنى أن المكاشف  
ربما شاب مقامه أنه قد بلغ مبلغاً لا يقطعه قاطع ولا يلويه سبب ولا يلفته  
حظ وهي درجة القاصد فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية ،

وأما الدرجة الثالثة فكاشفة عيان لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال  
وهي مكاشفة لا تدرسمة تشير إلى التناذ أو تلجئ إلى توقف أو توقف  
على رسم وغاية هذه المكاشفة المشاهدة .

وموضع استشهاد الشيخ وهو أن الله عز وجل كشف عبده محمداً  
صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي بما لم يكشف به غيره ويقول الشيخ  
بعد ذلك المكاشفة مهادة السر بين متباينين ويريد بتلك المكاشفة اطلاع  
أحد الطرفين المتحابين صاحبه وهو الطرف الآخر على جليلة من أمره .

وحقيقة من سره ولذلك معنى مهادة السر . بين متباينين لأن الهذاه هنا  
تحصل بلسان الفهوانية وهو غير لسان العلم أو لسان الإلهام وإنما هو لسان  
أعمق وهو لسان الفطرة الأصلية التلقائية أى لغة السر للسر : سر العبد وهو  
خلاصة ذاته وسر الرب وهو بعض غيوب علمه وإذا بلغ هذا المقام من  
المعرفة أطلعه الرب على مالا عين رآته ولا أذن سمعته ولا خطر خطورا  
سطحيا على قلب بشر والخطور من الخاطر والباطن يقل ويكثر ويأتى  
ويغيب ولكن المكاشفة خالصة من تلك الشوائب وحينئذ يشاهد العبد  
ربه عند رفع حجب الاغيار بعين روحه وقلبه فيعبده كأنه يراه بعد أن كان  
يعبده فى مقام التقوى على حد أن الله يراه . وهذا معنى قول الشيخ وهى  
فى هذا الباب ( المكاشفة ) بلغ بلوغ ما وراء الحجاب وجودا وقد احترز  
بهذا من بلوغ ما وراء الحجاب سمعا أو علما وأين العلم بالحقيقة من شهود  
وجودها بالفعل ثم قال الشيخ وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أنها مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح وهى لا تكون  
مستدامة إن كانت حيناً دون حين ولم يعارضها تفرق غير أن الذين ربما  
شاب مقامه أى ربما شاب الغين وهو ما يغين على البصيرة من حجاب مقامه  
أى هذا المقام أما قوله مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح فهو واضح وهى  
لا تكون مستدامة أى تلك المكاشفة إذا كانت أى متى كانت حيناً دون  
حين إلا إذا لم يعارضها تفرق فيمنعها بالغيب عنها ثم استأنف الشيخ بقوله  
غير أن الغين وهو ما يغين على عين البصيرة : بصيرة القلب كما تقدم ربما  
شاب ذلك الغين هذا المقام مع الاعتراف بأنه أى هذا السالك قد بلغ  
مبلغاً لا يلفقه عن المكاشفة المستدامة أو الطارئة شىء حيناً بعد حين ذلك  
لأنه بشر فإذا استدامت كان وقعها طابعا مستديماً مانعا لها كلية وهذا نادر  
والمهم ألا يمنع أى السالك عن تلك المكاشفة مهما كان نوعها سبب  
أى سبب من الأسباب وليس هذا فقط بل ولا يقطعها عنها حظ من الحظوظ

وهي درجة القاصد أى وتلك درجة القاصد الصادق المجد على كل حال فإذا استدامت واستمرت ولم تنقطع حيناً وتجيء حيناً فهي الدرجة الثانية أى المكاشفة الحقيقية الخالصة المستمرة وما تتضمنه تلك المكاشفة الصحيحة من أسرار وهذا فى غالب الأمر قاصر على من عصمهم الله من الرسل والأنبياء فى الدرجة الأولى وربما كانت معارف لدنية وعلوم ربانية ومكاشفات غيبية يلقيها الرب سبحانه وتعالى فى قلب عبده الذى اصطفاه نبياً أو صديقاً وبها يطلعه الله على أمور تخفى على غيره من العلماء والفهماء والعرفاء . هذا إذا كانت مستمرة وقد تتوارى تلك المواجيد الإلهية حيناً بعد حين كما تقدم بالغين الذى يغشى قلبه وهو أرق الحجب وهو غير الران والغيم وتلك من أغلظ الحجب وأراد الشيخ بالغين وهو من لوازم البشرية التى لا بد منها إلا إذا أراد المولى كشفه أو كشفه مستمراً وهذا الغين الذى هو من لوازم البشرية لا يعيب السالك الواصل ولا يزيل رتبته لأنه مع هذا الغين قد بلغ مبلغاً لا يلفته أى عن مطلوبه وهو الله قاطع ولا يصرفه عنه سبب من الأسباب الدنيوية أو غيرها ولا يردده عن مطلوبه أى حظ .

ثم قال الشيخ وأما الدرجة الثالثة : فكاشفة عين<sup>(١)</sup> لا مكاشفة علم وهى مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ أو تلجىء إلى توقف أو تنزل إلى رسم ثم قال الشيخ وغاية هذه المكاشفة المشاهدة .

ومعنى قول الشيخ فى هذه الدرجة أنها مكاشفة عين لا مكاشفة علم أى مكاشفة شهود يقين بعين اليقين أو بحقه وليس بعلمه وتلك المكاشفة ضرورة لا تذر أى لا تدع سمة أى علامة تشير إلى التذاذ فى النفس لأن صاحبها أى صاحب هذه الدرجة غائب عن نفسه بشهود ربه وهى أيضاً

---

(١) ويريد الشيخ بالعين . العيان وهذا بعض ما قد نأخذ عليه واستبدال العيان بالعين لأن العيان هنا بالروح وليس معاينة عين باصرة . واسكننا بشر قد نخطئ ونصيب على كل حال وعلى هذا وذاك فالأجر ثابت .

لا تلجئ إلى توقف يحدث من رؤية الاغيار أو التعلق بها وهذا قد فنى  
عن الاغيار وعن نفسه فلا تنزل به حالة ضرورة إلى رسم من الرسوم إذا  
بلغ مثل هذا الحال والرسم ظلال الحقائق في عالم الإمكان ثم قال الشيخ  
وغاية هذه المكاشفة التي نحن بصدد المشاهدة .

ولنا في هذا الباب شعر يدل عليه :

يا غراما عز عن فهم الورى	وسما بالنفس فرق الأنفس
أن تمتمنى بعلو قدرى فى الهوى	أو فكّن الروح خلا مؤنس
هيج الأشواق صوت هامس	فى صميم الغيب أجرى أدمى
حيث سهم الحب يشوى رائشا	فى فؤادى الصب حتى الأضلع
بات حى فى هواكم شغفا	وفؤادى بالأمانى منزع
جدد الذكرى بريق وامض	مثل لمع الصبح يحو الغلسا
طار معه الفكر يبغي قبسا	من هدى الأحباب نعم القبس

### باب المشاهدة

قال الله تعالى ( إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع  
وهو شهيد ) .

ثم قال الشيخ المشاهدة سقوط الحجاب بتأوهى فوق المكاشفة لأن  
المكاشفة ولاية النعت وفيها شيء من بقايا الرسم والمشاهدة ولاية العين  
أو الذات وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : مشاهدة معرفة تجرى فوق حدود العلم فى لوائح نور  
الوجود منيخة بفناء الجمع .

والدرجة الثانية : مشاهدة معاينة تقطع حبال الشواهد وتلبس نعوت  
القدس وتخرس السنة بالإشارات .

والدرجة الثالثة : مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع مالكة لصحة  
الوارد راجبة بحر الوجود .

وشاهد الشيخ في الآية إثبات وجود القلب واستعداده للتلقى من الله  
والقاء سمعه أيضا وهو شهيد لما يليق أى مشاهد لما يليق فيه من أنوار الحق  
وتجلياته وقال الشيخ المشاهدة سقوط الحجاب بتأوهى فوق المكاشفة لأن  
المكاشفة ولاية النعت وفيها شيء من بقايا الرسم . والمشاهدة ولاية العين  
أو الذات أما قوله المشاهدة سقوط الحجاب بتأ أى كلية وهو فوق المكاشفة  
وذلك لأن المكاشفة أولا تأنى حيننا وتنقطع حيننا وثانيا فإن المكاشفة  
تتعلق بالصفات دون الذات ولذلك قال الشيخ لأن المكاشفة ولاية النعت  
وفيها شيء من بقايا الرسم وذلك ضرورى لوجود المكاشف بإزاء المكاشفة  
فالمكاشف حينئذ مع رسمه أى نفسه موضوعا لاذاتا . وتلك هى بقايا  
الرسم فى المكاشف . وأما المشاهدة ففضلا عن دوامها فإنها كما يقول  
الشيخ ولاية العين أو الذات ويريد بتلك الولاية مشاهدة الذات عيانا<sup>(١)</sup>  
لا النعوت وصفاء .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه وهى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : مشاهدة معرفة تجرى فوق حدود العلم فى لوائح نور  
الوجود منيخة بفناء الجمع ، وبما أن المشاهدة من لوازم اليقين وقوته فى  
عينه أو فى حقه فهى ارتفاع عما يوجبه العلم أى الوصف فى مثل هذا المقام  
من حجب مانعة لمعاينة الحقيقة فالمكاشفة تتعلق بالصفات الإلهية فولايته  
ولاية نعوت تأتى عن طريق العلم باليقين ثم حصول عين اليقين إذا قوى  
واشتد الحال فعند ذلك فلقد كوشف فى صاحبه بما لم يكن يعلمه فى محيط

(١) قوله عيانا : يفيد المعاينة ، والمعاينة للذات بالعين فى الدنيا متمتعة قاطبة وأما المعاينة  
بالروح فربما تحصل مع استحالة أن يحيط المخلوق بذات خالقه بتاتا .



العلوم . وأما شهود الذات - وما يتعلق بذلك من مقارنة وزيادة انكشاف  
فأياته للشهود الكاشف للذات أولا ثم للنعوت ثانيا .

والمراد هنا بشهود الذات شهود نور الذات - لاشهود إحاطة وشمول -  
المندرج في قوله تعالى ( الله نور السموات والأرض ) ولهذا كانت المشاهدة  
فوق المكاشفة وأكمل منها وأدوم والفرق بين ولاية النعت أى الوصف  
وولاية العين أو الذات ظاهر جدا لأن من يشاهد الصفات لا بد له أن  
يشاهد ما يتعلق به من أغيار فمن شاهد القدرة مثلا شاهد متعلقها وملزومها  
وهو المقدور ومن كوشف بعظمة العلم علم الله وشموله لكل معلوم  
في الوجود شاهد معه المعلومات الموجودة والتي يشملها العلم وهكذا بخلاف  
من خصص نظره القلبى على شهود الذات وشاهد بحق اليقين أزليتها وبقاءها  
وانفرادها بالوجود الحقيقى دون مبدعاتها وأسبابها ومسبأها إلى آخره فهو  
مشاهد للعين والأول مكاشف بعظمة الصفات فالأول في جمع وفرق والثانى  
في جمع خالص فمن استغرق قلبه في مثل ذلك الشهود استحق اسم المشاهد  
وانطبقت عليه صفة المشاهدة ذلك إذا غاب عن إدراك رسمه وكل ما عنده  
من علم أو عمل أو حال وذلك يكون ضرورة عندما تفاجئه لوائح نور  
الوجود الحق فتنبخ<sup>(١)</sup> ركائبه الى تحمله في طريق السلوك إلى فناء الجمع  
المطلق ، والفرق بين العلم والمعرفة عند القوم أن العلم مجرد إدراك المعلوم  
أو بعضه بصفاته ولو ازمه الى تلزم عنه وأما المعرفة فإنها إحاطة كاملة بعين  
الشيء على ما هو عليه فلا ريب في أن تكون المعرفة فوق العلم على هذا الاعتبار  
ومعنى الوجود عند الشيخ الوجود المطلق وهو حضرة الجمع ويسمى أيضا  
حضرة الوجود .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : والدرجة الثانية : مشاهدة معاينة تقطع  
جبال الشواهد وتلبس نعوت القدس وتخرس السنة الإشارات .

(١) والأناخة هنا مأخوذة من أناخ الرجل بعيره في فناء الدار .

أما قول الشيخ مشاهدة معاينة تقطع حبال الشواهد أى تسقط عنها الشواهد المجموعة من عالم الرسوم وهو عالم الامكان فتسقط الشواهد لأن صاحب هذا المقام يرى الأسباب تصدر عن ذات واحد متقدم وجوده على وجودها حالا وذوقا فهو فى هذا المقام غير محتاج لشواهد الرسوم لتسكنه فى مقام المشاهدة ولأنه أيضا قد تطهر من نعوت النفس وأوصافها المباشرة لمقصده فأسقط رسوم نفسه بعدما أسقط رسوم سواه من الكائنات الممكنة فلبس حينئذ نعوت القدس وتطهر من الالتفات إلى غير مشهوده الأعظم وفنت أيضا اشاراته التى كانت له حينما كان فى حال المكاشفة المحتاجة لاشارات ودلائل كونية وقلبية وخير المقام السابق وهنا قد سكن قلبه ولسانه عن الإشارة لأن الإشارة وإن كانت لا ثقة بحال المكاشفة فانها تسقط جميعا فى حال المشاهدة لأن معرفة العارف حينئذ تكون منبثقة عن لوانح نور الوجود الأول وهو الوجود الحق .

ثم قال الشيخ والدرجة الثالثة : مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع مالكة لصحة الوجود راكبة بحر الوجود وهذه درجه أعلى فى حال المشاهدة وان المشاهد هنا أصبح فى عين الجمع الذى عبر عنه الشيخ بحضرة الوجود فهو متمكن فى حاله وفى مقامه وحينئذ تتوارد عليه أنواع المعارف والمكاشفات لأن مشاهدته تصبح مالكة لصحة الوجود كما يقول الشيخ أى ورود - وردها مورد حضرة الجمع وكذلك يشهد الوجود الامكانى كله لها بصدق ذلك الشهود المطابق لحقيقة الأمر الواقع وهو مقام فى الشهود وأرقى من سابقه .

وهنا أمر يجب علينا أن ننبه عليه وهو الفرق بين هذا الشهود وبين الاتحاد الذى يحتمه مذهب وحده الوجود صاحبه إن الوجود الإمكانى الوجود الوجودى أى وجود الحادث ووجود القديم أصبحا شيئا واحدا وهذا خطأ ينفيه أن الله أحد صمد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ولا يمازج

شيئا ولا يمازجه شيء من الأشياء التي يحتويها الوجود الإمكانى ومن القواعد الثابتة أن الجزء لا يحيط بالكل الكونى<sup>(١)</sup> وهذا أيضا ما ينفي وجود الحلول أى حلول الحقيقة الإلهية فى عامة الكائنات الثلاثة الجاد ، والنبات ، والحيوان (والإنسان طبعاً) وحسبنا فى هذا المقام قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وهذا وذلك يكون مذهب وحدة الوجود وما يقتضيه من حلول أو اتحاد خطأ محضاً .

والمراد هنا وللشيخ وحدة الشهود : شهود الحقيقة لا وحدة الوجود وبقسميه : الوجودى وبعبارة أخرى القديم والحادث والله فى ذاته وفى أسمائه وفى صفاته منزّه عن ذلك كله وبعلمه تكمله عن مثل هذا الخلط علواً كبيراً .

وأنشدوا فى معنى المشاهدة شعراً :

ظهر الوجود الحق فى الأشياء      متجلياً<sup>(٢)</sup> جهاً بغير خفاء  
إن الوجود عن البصائر غائب      من حيث ما هو ظاهر للرأى  
والنور يكشف أن ثمة شاخصاً      متمحكماً فيه بغير مرأى  
فرايته من حيث لا تعلم به      وعلمته من رتبة الأسماء  
والشمس تستطع لرؤية ذاتها      النائق فيها وفرط ضياء

وأنشدوا فى هذا المعنى أيضاً بيتين من الشعر :

ولى فى خيال الظل أكبر عورة      لمن هو فى علم الحقيقة راقى  
شخص وأشكال تمر وتنقضى      وتفتى سريعاً والمحرك باقى

(١) وليس معنى الجزء هنا أنه جزء من الذات ولكنه جزء من ابداعه وفعله والمقصود بالكل هنا الإحاطة والاطلاق وبطل الذات الإلهى بعيداً من معنى الكلية والجزئية المفهومين فى الأشياء .  
(٢) والتجلى : نور تتجلى به الذات وهو غير الحلول أو التوحد مع الحادث الثانى .

## باب المعاينة

قال الله تعالى ( ألم تر إلى ربك كيف مد الظل )

ثم قال الشيخ المعاينة ثلاث إحداها : معاينة الأبصار والثانية معاينة عين القلب وهى معرفة الشئ على نعتة علما يقطع الريبة ولا يشوبه حيرة وهذه معاينة بشواهد العلم ، والثالثة معاينة بعين الروح وهى التى تعين الحق عيانا محضاً والأرواح إنما ظهرت واكرمت بالبقاء لتعين ثناء الحضرة وتشاهد بها العزة وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة (قال الشيخ الحضرة ومراده حضرة الحق) .

أما قول الشيخ المعاينة ثلاث أى أنواع أحداها معاينة الأبصار بالمبصر والثانية معاينة عين القلب وهى معرفة عين الشئ على نعتة علما يقطع الريبة ولا تشوبه حيرة . والثالثة معاينة عين الروح وهى التى تعين الحق عياناً محضاً وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة .

أما معاينة الأبصار فهى معلومه لأنها المعاينة الحسية وهى كم مشترك بين جميع المبصرين بأعينهم . وأما الثانية فهى معاينة عين القلب وهذه مختصة بأهل المعرفة القلبية الذاتية وهى خصيصة للعارفين من أهل طريق الله ومن أقوالهم فى هذا (إن القلوب لها عيون : ترى ما لا يراه الناظرون) .

وفى هذا الكتاب فى أكثر ما يهدف إليه خاص بمثل تلك المعرفة هى المعاينة القلبية أو معرفة عين الشئ على نعتة أى على صفته الحقيقية بحيث يكون هذا العلم قاطعاً لكل ريبة ولا تشوبه أى حيرة وهو أمر معلوم لأهل طريق الله .

ثم قال الشيخ والثالثة معاينة عين الروح وهى التى تعين الحق عياناً محضاً خالصاً لا حدود له والروح الإنسانية لمعة أو ومضة من الروح الإلهى

المطلق وهى النور ( نور السموات والأرض ) الذى قامت به كل حياة فى الوجود الإمكانى فلا بدع أن تعين الحق عيانا محضا فى الدنيا فضلا عن الآخرة لأنها قبس من نوره الذاتى ويدل عليه قوله تعالى ( قل الروح من أمر ربى ) أى من شئونه ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ) أى ولكن ما أوتيتم من العلم هو قليل بالنسبة لعلم الله تعالى .

ثم قال الشيخ والأرواح إنما طهرت وأكرمت بالبقاء لتعاني ثناء الحضرة وتشاهد بهاء العزة تجليها وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة أى حضرة الحق أما قوله والأرواح إنما طهرت وأكرمت لأن الروح طاهرة بفطرتها وبالرجوع إلى أصلها الطاهر المقدس تزداد طهارة ونخلصا من الاغيار وقد أكرمها الله بالبقاء لأن الازل نبعها والأبد مآلها ولهذا وذلك فى تعاني سنا الحضرة دون حجاب إلا ما تقتضيه الرسوم : رسوم المظاهر الكونية فاذا أزيلت عن الروح تلك الحجب التى كانت تحجبها عن نبعها الاقدس فإنها تشاهد حينئذ بهاء العزة الإلهية فى ليست غريبة عنها وكذلك تجذب القلوب لأنها سرها ومددها وقوله إلى فناء الحضرة أى حضرة الحق عز وجل لأن الروح تقوم بها كل القوى فى الإنسان القوة الباصرة والقوة السامعة والقوة العاقلة والقوة الباصرة حدثا وإلهاما بعين القلب والروح وحدة غيبية إلهية فلا مناخلها إلا فى فناء الحقيقة وإن كان بها تقوم الحياة وبها يقوم البصر والبصيرة القلبية والمنطق العقلى والادراك الحسى جميعا وإنما إذا جردت من تلك العلائق كلها فى أمر إلهى عبي لم يصل العلم بعد القديم والحديث إلى ادراك كنهه وقد يطلق على الروح أيضا اسم النفس حينئذ واسم القلب حينئذ فى الروح باعتبار مبدئها الإلهى وهى القلب باعتبار بصرها القلبي (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلب التى فى الصدور) وهى أيضا النفس باعتبار تعلقها فى الجسد وتديرها له ولذلك مدح الله الروح مطلقا وأما النفس فمدحها حينئذ وذمها حينئذ آخر فى تمدح إذا ارتفعت بغير انز الجسد عن جبلة الطينة وحوادثها إلى مطالب سامية وقيم خلقية من لون الروح وتذم إذا تأثرت بمطالب

الجسد وخضعت لتلك المطالب فطبعاً تدم وفي مثل هذا المعنى وذلك يقول الشاعر الالمعى :

يا خادماً الجسم كم تشقى بخدمته  
وتطلب الريح مما فيه خسران  
فاقبل على النفس واستكمل فضائلها  
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وأشدوا هذا البيت أيضاً :

وجودى أن أغيب عن الوجود لما يبدو على من الشهود

## باب الحياة

قال الله تعالى ( أو من كان ميتاً فأحييناه ) .

ثم قال الشيخ اسم الحياة فى هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء :

الحياة الأولى حياة العلم من موت الجهل ولها ثلاثة أنفاس نفس الخوف  
ونفس الرجاء ونفس المحبة والحياة الثانية حياة الجمع من موت النفرقة ولها  
ثلاثة أنفاس نفس الاضطرار ونفس الافتقار ونفس الافتخار .

والحياة الثالثة : حياة الوجود وهى حياة الحق ولها ثلاثة أنفاس نفس  
الهيبة وهو يمت الاعتلال ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال ونفس الانفراد  
وهو يورث الاتصال وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة ولا طاقة للإشارة .

أما شاهد الشيخ فى الآية التى افتتح بها الباب فظاهر وفقط المراد  
بالحياة هنا حياة القلوب وإلا فكم فى الأحياء الذين يعيشون على الأرض  
من موتى وهم أحياء عرفا ولذلك قال الشيخ فى تعريفه للحياة : إن اسم الحياة

في هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء : الحياة الأولى حياة العلم من موت الجهل ولها ثلاث أنفاس : نفس الخوف ونفس الرجاء ونفس المحبة . أما فوله اسم الحياة في هذا الباب يريد به شيئاً غير الحياة المعروفة في النبات والحيوان والإنسان وإنما يريد حياة القلوب ولذا قال الحياة الأولى حياة العلم من موت الجهل فالقلب له بالعلم حياة وله بالجهل موت معنوي ولا سيما العلم بالله العلم بالطريق المؤدى إليه فالعلم بهذا المعنى الذى يحفز إليه الإيمان هو المقصود للشيخ وهذا المعنى ضمنه الشاعر في شطر من بيت حينما قال :

( الناس موتى وأهل العلم أحياء )

ومن كلام لقمان لابنه في هذا المعنى نفسه ( يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل القطر ) وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ( تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكراته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه مبين لمعالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والود عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتهم تسبحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم ويبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام وفى الجهل يقول الشاعر الحكيم .

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم قبل القبور قبور -

وأرواحهم في وحشة من جسومهم فليس لهم حتى المنشور نشور

ويقول آخر في معنى الحياة مع الجهل :

نهارك يامغروك سهو وغفلة وإيلك نوم والردى لك لازم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما غر باللذات فى النوم حالم

وحسبنا فى هذا المعنى قول الشاعر الثالث :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

فالرجل الذى يحيا الحياة الحقيقية يخشى دائما موت قلبه لا بدنه إذ أ كثر العافلين يخافون موت أبدانهم ولا يبالون بموت قلوبهم وقد قيل إن الموت موتان موت إرادى وموت طبيعى والموت الإرادى هو قمع شهوات النفس وتسكين نزواتها المتلفة فهذا يتفرغ القلب والروح لخصائص الكمال وصفات الصالحين الأحياء فإذا عاش العبد كذلك ثم مات الموت الطبيعى كانت بعد موت جسده حياة روحه عامرة بالخير وبناتج الأعمال الصالحة وإجمالا فإن أ كمل النفس حياة أ كملهم علما ونفسا.

ثم قال الشيخ رضى الله عنه ولها أى لهذه الحياة ثلاثة أنفاس : نفس الخوف ، ونفس الرجاء ، ونفس المحبة والأنفاس هنا أنفاس معنوية ضرورية وهى تنفس عن القلب كدره وأوشابه المتأتية من جراء الجهل : أولها : نفس الخوف : أى الخوف من الله وهى التقى أو النقي وهو العلم بأن الله سبحانه وتعالى مطلع على سريرة الإنسان وما يحول فيها من خير وشر ثم نفس الرجاء فى الله بالنجاة مع متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله وهذه المتابعة فى الخير والبر والطاعة تؤدى بصاحبها حتما إلى طريق المحبة ويدل على هذا قول الله تعالى ( أفن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها )



الآية ، فالطاعة مؤدية إلى القرب وفي القرب يرى العبد ممن الحق ويكون شهود تلك الممن مؤديا حتما إلى الحب وليس القرب المقصود هنا قرب مسافة أو مماسة بل هو القرب الحقيقي : قرب القلب من نور الرب . وفي ذلك حقيقة العبودية وسر السلوك وفيه أيضا معنى الوصول المصطلح عليه عند أهل طريق الله وفي هذا المعنى يقول الشاعر الصوفي :

لا كان من لسواك فيه بقية يجد السبيل بها إليه العزل

وهذا معنى ماورد في بعض الحديث القدسي من قوله الله عز وجل (من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا) الحديث .

وهذا نفسه مايعنيه الشيخ من قوله ( نفس المحبة ) فنفس الخوف أى خوف الذنوب مع استقامته بالطاعة يدعوه إلى الرجاء في الله ويذكره بسعة مغفرته وعفوه فينتقل السالك من نفس الخوف إلى نفس الرجاء فإن حصل على هذا النفس وذكر عفو الله ورحمته وإحسانه وانعامه تنفس نفس الحب وفي هذا النفس حقيقة القرب لأنه أشرف أنفاس العبد على الإطلاق .

ثم قال الشيخ : والحياة الثانية حياة الجمع من موت التفرقة ولها ثلاثة أنفاس : نفس الاضطراب ونفس الافتقار ونفس الافتخار .

فنفس الاضطراب يحدث الانقطاع في أهل العبد مما سوى الله فبلجا إليه مضطرا بفكره وقلبه وعمل بدنه إلى ربه . وأما نفس الافتقار (١) فهو الباعث على ذلك الاضطراب إلى الله من ناحية وهو أعلى قوة في الاضطراب من ناحية أخرى لأن الشعور بافتقار العبد إلى ربه يضطره إلى اللجوء إليه

---

(١) ومعنى الافتقار هنا : دوام انكسار القلب إلى الله لا بتقار العبد إليه سواء كان غنيا يالمال أو فقيرا وبإس المراد بالافتقار الفقر المصطلح عليه في عرف الناس .

من ناحية ويثبت ذلك الاضطراب فيجعله اضطرابا دائما من ناحية اخرى فإذا صح له ذلك انتقل إلى نفس الافتخار لأن نفس الاضطراب يذهب رؤية الخلق عن قلب السالك ونفس الافتقار يجعل قلبه متعلقا بربه وهذا وذلك مما يدعو إلى نفس الافتخار بربه لا بنفسه وذلك لحصول القرب والأنس بالرب فيتنفس تنفسا مفتخرا يجد به الروح والريحان والشيخ لا يريد بذلك الافتخار أن يتيه العبد افتخارا على بنى جنسه بل فقط يريد فرح العبد وابتهاجه بقربه من ربه وبفضل ربه عليه والله عز وجل يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وهذا الافتخار يقع معنى الشكر فهو افتخار بنعمة الله ونعمته وليس افتخار العبد بنفسه .

ثم قال الشيخ والحياة الثالثة حياة الوجود وهي حياة الحق وله أنفاس ثلاثة : نفس الهية وهو عمت الاعتلال لأن الهية للحق تدعو العبد إلى الاستقامة فينتفى الاعتلال ونفس الوجود وهو يمنع من الانفصال أى أن العبد يجد في هذا النفس وجوده وجودا حقا يقوم بالحق ويهدى إليه فهو مانع لا انفصال العبد عن طريق الرب ثم نفس الانفراد أى التفريد أى تفريد التوحيد فى الوجود الحق وهو يورث الوصل ضرورة . ثم قال الشيخ وليس وراء ذلك ملاحظ للنظارة ولا طاقة للإشارة أى ليس وراء ذلك ما ياحظه الناظر بالعقل ولا تصل إليه الإشارة باللغة أو بالعبارة فإن هذه الحياة السكائمة فى نفس الوجود هي حياة الواجد للحقيقة وهذا المقام نفسه ما أشار إليه الحديث القدسى فى بقية الحديث المتقدم ( فإذا أحبيته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ) .

فإذا كان الله عز وجل هو سمع العبد فى هذا المقام وهو بصره فبه يسمع وبه يبصر إلى آخره فهناك يسقط اللحظ والإشارة وتسقط معهم كل عبارة وهذا الذى يقصده الشيخ ( بنفس الوجود ) لأنه وجود للحق

بالحق ويريد به وجود العبد بربه فيتنفس به ويسمع به ويبصر به إلى آخره  
لأن هذا النفس يورث العبد الاتصال بربه بحيث لا يبق له مراد في غيره  
ولا إرادة لسواه .

وفي هذا المعنى أنشدوا شعرا :

لطيفة كوننا <sup>(١)</sup> لا تنسى عهدي	ويوم السبت فاذا كر يا حبيبي
وقد أعطيتني عمدا وثيقا	وحفظ العهد من شيم اللبيب
ألم أجعلك سرا في وجود	ونقطة دارة الأمر الغريب
ألم أظهر صفاتي فيك جهرا	واستر ذاك بالجسم العجيب
وأنوار وأسرار تراها	إذا ألقيت سمعك من قريب
إذا ناديت يارب استجب لي	ترى الأسرار تسرع من قريب
وليس إجابتى قولا ولكن	يبذل الجهد فى طوع الحبيب

### باب القبض

قال الله تعالى ( ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ) .

ويقول الشيخ رضى الله عنه : القبض فى هذا الباب اسم يشار به  
إلى مقام الضمان الذين ادخرهم الحق عز وجل اصطناعا لنفسه وهو على  
ثلاث فرق :

فرقة قبضهم الحق إليه قبض التوقى فأخفاهم عن أعين العالمين وفرقة  
قبضهم بسترهم فى لباس التلبيس وأسبل عليهم كلة الرسول فأخفاهم عن  
عيون العالمين وفرقة قبضهم منهم إليه فصافاهم مصافاة سـتـرفـضـن  
بهم عليهم .

(١) لطيفة كوننا : تعبر عن الإنسان لأنه أشرف ما فى الكائنات .

وشاهد الشيخ في الآية بقبض الظل الوارد فيها وتقلصه بعد سبوغه وامتداده وفي الآية يخبر الله سبحانه وتعالى أنه يبسط الظل ويمده ثم يقبضه بعد بسطه إليه قبضا يسيرا ولو شاء الله لجعله ساكنا .

فأخذ الشيخ هذا المعنى وصبه على القبض المراد بهذا الباب وهو الجذب<sup>(١)</sup> الحقيقي ولذا قال الشيخ القبض في هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنآن الذين أدخرهم الحق اصطناعا لنفسه والقبض في اصطلاح القوم ينصب على — معينين معنى يراد به القبض في الأحوال وهو أمر يطرأ على القلب فيمنعه من الانبساط وهو مختص بأحوال القلوب وهو قبض تأديب وقبض تهذيب وهذا ما يختص بالحال وفي المعنى الآخر قبض فرق فقبض التأديب يكون عقوبة على عقله أو مخاطرة سيئه وقبض التهذيب يكون أعدادا لحال البسط الذي يأتي بعده وفي المعنى الثاني وهو قبض الجمع فهو ما يحصل للقلب حال جمعيته على الله ولذلك طريقان : طريق المجاهدة والرياضة وهو طريق السالكين والسائرين إلى الله وطريق القبض أو الواهب الجذب وهو طريق من اختصهم الله برحمته ومحبته من بادية ذي بدء وهم من المحبوبين إليه ولذا كان في طريق الله محب ومحبوب وطالب ومطلوب وسائر ويجذب فالحبوب أو المطاوب لا بد من وصوله إلى الله أما بيد الامتنان وأما بعض الابتلاء والامتحان وفي مثل هذا الحال لا يسع العبد إلا اللجوء إلى مولاه والإفابة إليه وبذا يستمر سلوكه .

وأما سلوك الطالب أو السالك بالطاعة والتقرب فيقدر كفاحه يعطى من قرب ربه فإن وقف قبض عن الطريق وهذا القبض هو قبض التفرقة فيتفرق قلبه عن الله وعن طريقه والعياذ بالله وإلى الأول أشار الشيخ بالقبض . . وقال القبض في هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنآن

---

(١) ومعنى الجذبة هنا : الانحذاب إلى الله وقد يكون المرء في هذا الحال من أحكام الحكماء وليس المراد به الجذب المعروف للعامة وبعض المتعالمين .

والضئان جمع ضئينة وهي الخاصة الثينة التي يضمن بها صاحبها على غيره  
ويصطفئها لنفسه ولهذا قال الشيخ في الضئان الذين اختارهم الحق أعطاه  
لنفسه والادخار هنا افتعال من الذخر وهو ما يعده المرء لحوائجه الخاصة  
والاصطناع هنا بمعنى الاصطفاء والمقصود أن الله عز وجل حال بين هؤلاء  
الضئان من عباده وبين التعلق بغيره ثم صرف قلوبهم وهمهم إليه .

وهم كما يقول الشيخ ثلاث فرق : فرقة قبضهم إليه قبض التوقي فضئهم  
عن أعين العالمين ، ومعناه أنه حال بين هؤلاء الضئان وبين التعلق بالخلق  
وصرف قلوبهم إليه وقاية لهم وضئاً بهمهم وعزائمهم التي لا ينبغي أن  
توجه إلا إليه سبحانه وتعالى وقسمهم الشيخ إلى ثلاث فرق : فرقة قبضهم عن  
غيره وبسطهم إليه وقاية لهم وضئاً بهم عن أعين العالمين وغيرهم عن أعين  
الناس ليصون أسرارهم عن غيره لنفسه فلم يطلع الناس على أحوالهم السنية  
وهمهم العلية ضئاً بهم وأولئك أهل العزلة والانقطاع إلى الله عن الناس  
وقت فساد الزمان ولعلمهم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث  
له ( ورجل معزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شر  
وهذا يحسن ويحمد في بعض الأحوال لا في جميعها وإلا فالصبر على أذى  
الناس والإحسان إليهم أفضل ) ثم قال وفرقة قبضهم بسترهم في لباس  
التليس وأسبل عليهم أكلة الرسوم فأخفاهم عن عيون العالم والكلالة من معناها  
الستائر من كمال يكال أى أسبل وستر والكلالة في العرف ما يطلق عليه الناس  
اصطلاحاً ( الناموسية ) وتلك الفرقة من أحباب الله هم المخالطون للناس  
ظواهرهم دون بواطنهم لأن الله يستر حقائقهم وأحوالهم عن الخلق فالناس  
في لبس من أمرهم أصالحون هم أم طالحون وغالباً ما تكون هذه الصفة من صفات  
أهل القوة الذين ذكرناهم في غير موضع وخصوصاً في باب الفتوة فهم  
يشاركون الناس في لباسهم وأعمالهم وأنكحتهم بشرط ستر أحوالهم مع الله  
متحليين بطلاقة الوجه وحسن العشرة فإذا نظر الناس إليهم قالوا إنهم من  
أبناء الدنيا وإذا رأوا ما هم فيه من مكارم الأخلاق وعلو الهمة وملازمة

الذكر والشكر رأوا أمورا ليست من أمور أبناء الدنيا وإنما هي من أمور أبناء الآخرة فيلتبس بطبيعة الحال حالهم عليهم وهم يعيشون مع الناس مستورين عنهم بأسبابهم وملابسائهم دون أن يظهروا فيهم بأى إشارة تدل على حقائقهم وأولئك من أهل الرسوخ في طريق الله وقد صانهم الله عن معرفة سواد الناس تسكر بما لهم لئلا يفتتن الناس بهم فهم مع الناس بأبدانهم ومع الله بقلوبهم .

ثم قوله وأسخ الله عليهم كاة الرسوم أى أجرى عليهم أحكام الخلق بحيث يساكنونهم ويعاشرهم ويعاملونهم وهم مع ذلك بقلوبهم فى واد والناس فى واد آخر والذى سترهم عن الناس ومعرفة حقائقهم هو مشاركتهم للناس فى أعمالهم ومداخلهم ومخارجهم وهذا معنى قول الشيخ سترهم بكاة الرسوم والرسوم هى الاعمال والأسباب التى يقوم بها جميع الناس .

ثم قال الشيخ ( وفرقة قبضهم منهم إليه فصفاهم مصافاة سر فضن بهم عليهم ) وهذه الفرقة هى الأعلى مقاما من الفرقتين المتقدمتين وهو مقام أحبابه الذين سترهم عن نفوسهم فلا يرونها لكالم ما أطلعهم عليه وشغلهم به من حبه والاهتمام بإقبالهم عليه وإقباله عليهم فهم وإن كانوا فى أعلى المقامات فلا يلتفتون إلى مقاماتهم بل يتجاهلون قيمة أنفسهم لشهودهم عظمة ربهم وابتهاجهم بقربه فقلوبهم عامرة بالأسرار وأجسامهم خالصة عن الأغيار فهو بهذه الوسيلة أحبهم وحبيبهم فيه وسترهم عن أنفسهم وحتى عن مقامهم فى حضرته وذلك ليصافهم كما يقول الشيخ مصافاة سر فيجعل مواجدهم وأسرارهم ولطف مداركهم متجهة إليه وغارقة فى فضله وهذه الوسيلة ضن بهم عليهم وأنفاسهم عن أنفسهم به فقبض قلوبهم إليه وجذب أرواحهم إلى معارج نفسه فهو قبض كريم من رب عظيم لقوم كرماء وقلوب عارفة ملأى بالصفاء .

وأشدوا فى مثل هذا المعنى قولهم :

أيا من ليس لي منه وإن عذبتني بد  
ويا من مال من فني مثلاً ما له حد  
كل شيء سوى ودم فقد ما ضرني فقد

وأنشدوا أيضاً هذا البيت :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي وبداء الهوى تموت الكرام

### باب البسط

قال الله تعالى ( يذروكم فيه ) ويقول الشيخ رضى الله عنه : البسط أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم ويسبل على باطنه رداء الاختصاص وهم أهل التلبيس وإنما بسطوا في ميدان البسط لأحد ثلاثة معاني لكل معنى طائفة : طائفة بسطت رحمة للخلق يباسطونهم ويؤانسونهم فيستضيء الناس بنورهم والحقائق مجموعة والسرائر مصونة وطائفة بسطت لقوة معانيهم وتصميم تآطروهم لأنهم طائفة لا تخالج شواهد شهودهم ولا تفرق رياح الرسوم موجودهم فهم منبسطون في قبضة القبض ، وطائفة بسطت أعلاماً على الطريق منهم أئمة الهدى ومصابيح السالكين .

ومعنى قول الشيخ أن البسط يرسل شواهد العبد في مدارج العلم ويرسل من الإرسال أو الإدخال لعل هذا شاهد الشيخ من الآية ( يذروكم فيه ) بمعنى بدخلكم أى يدخل شواهد العبد من لمحات وبوارق إلهية تبدو له في مدارج العلم إكالا لحاله والشواهد من دأبها أن تكون في مكان الوسط بين المعلوم والمشهود المعاني مع إسبال رداء الاختصاص على باطنه ومعنى الاختصاص هنا الاختصاص المشاهد بمعنى المشاهدة وهو مقام الذين خصهم الله بالشهود بعد العلم ، ثم قال الشيخ وهم أهل التلبيس أى أهل الفتوة الذين

يلبسون على الناس حالهم أى يخفوه ، قال وإنما بسطوا بميدان البسط أى الخارجين من حال القبض إلى ميدان البسط لأحد ثلاثة مقاصد ولكل معنى طائفة : طائفة منهم وهم أهل الفتوة كما تقدم بسطوا رحمة للخلق ببساطونهم وهم يبطنون الانقباض بأحوالهم عنهم ويؤانسونهم بالتفنى عليهم أى إخفاء مكارمهم من صفات الفتوة على الخلق فيؤانسونهم وببساطونهم ولذلك يسمى القوم أهل هذه الطائفة والذين اختصموا بهذا الحال ( بالبهاليل ) ومعنى البهلول السكرم النفس واليد ويضاف إلى ذلك صفة النبيل والعلو أيضاً فيستضى الناس بنورهم أى والحال والحقائق بمجموعة والسراير مصونة والواو هنا للحال أى حالة أن حقائقهم بمجموعة فى بواطنهم وسراير النبيلة التى اختصوا بها مصونة فى سرايرهم السكرية التى ربما أخفوها على الناس وتظاهروا بالمباشطة وضروب المرح هذا فى الطائفة الأولى ثم قال الشيخ : وطائفة بسطت لقوة معانيهم وتصميم مناظرهم أى خرجوا من حال القبض إلى حال البسط لما فى قلوبهم من معان قوية وأما قوله وتصحيح مناظرهم أى معارفهم المنظورة بأرواحهم وقلوبهم ثم قال لأنهم طائفة لا تخالف الشواهد مشهودهم والشواهد قدمنا أنها درجة بين العلم والمعينة أى والشهود فتسقط عنهم الشواهد فلا تخالج مشهودهم أى ما يشاهدونه من الحقائق ثم قال ولا تفرق رياح الرسوم والرسوم ظلال الحقائق ومنها الشواهد موجودهم أى أن الشواهد المتأنية من تلك الرسوم لا نذهب رياحها موجودهم أى مواجيدهم من الحقائق ( فهم منبسطون فى قبضة القبض ) لكاملهم ورسومهم وأكمل منهم ومن الطائفة الأولى الطائفة الثالثة وهى طائفة الكمل من أهل طريق الله وأولئك بسطوا أى بسطهم الله وأوجدهم أو أخصهم أعلاما على الطريق أئمة للهدى يروون من عطش ويدلون من استدال ويرشدون المسترشد إلى طريق الحق فأولئك كما يقول الشيخ أقيموا مصاييح للسالكين مهتدون بهديهم إلى طريق الله المستقيم .

يسقى ويشرب لا يلهيه سكرته      عن النديم ولا يلهون عن الكاس  
أطاعه سكره حتى تحكم فيه      حال الصحادة وذا من أعجب الناس



## باب السكر

قال الله تعالى حاكياً عن كلمته موسى عليه السلام ( قال رب أرني  
أنظر إليك ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : السكر فى هذا الباب اسم يشار به إلى  
سقوط التمالك فى الطرف وهذا من مقامات المحبين<sup>(١)</sup> خاصة فإن عيون  
الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه ثم قال وللسكر ثلاث علامات :

الأولى : الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم واقتحام لجة الشوق  
والتمكن دائم .

والثانية : الفرق فى بحر السرور والصبر هائم وماسوى هذا وهى العلامة  
الثالثة فخيرة تتحلل اسم السكر جهلاً أو هيئناً يسمى باسمه جوراً قال وما  
سوى ذلك فسكاه يناقض البصائر كسكر الحرص وسكر الشهوة . وربما  
كان شاهد الشيخ فى الآية غيبة موسى لاندھاشه عن أنه لا يمكنه النظر إلى  
ربه بمعنى رأسه ثم قال الشيخ رضى الله عنه السكر فى هذا الباب يشار به  
إلى سقوط التمالك فى الطرب أى إنه الحال التى لا يتمالك فيها الشخص تماماً  
عن أن يطرب لما يشاهد وهذه الدرجة تسمى سكراً مجازاً ثم قال وهذا  
من مقامات المحبين خاصة أى ليس من مقامات المحبين أو الكمل الذين  
زادهم الله بسطة فى العلم والمعرفة فانهم لتمكنهم بما يكون أنفسهم فتمتنع عن  
أظهار الهيام أو الدهش للذين قد يظهران بمظهر السكر<sup>(٢)</sup> ولذلك قال

(١) وهو غير مقامات المحبين وقد بينا الفرق فيما مضى .

(٢) ويوضح ذلك ما حدث لأخوين فى الله حاله ذكر وتواجد ، فتواجد أحدهما وظل  
الآخر ساكناً ، فقل له صاحبه : أليس لك قلب ( أى فتواجد ) فتلا الآخر قول الله تعالى :  
( وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر من السحاب ) .

الشيخ فإن عيون الفناء أى الفناء فى كمال المحبة لا تقبله لأن المدهش أو الهائم سكرًا فيه بقية من وجود الرسم ثم قال ومنازل العلم لا تبلغه أى لا تقره ولا توافق عليه لأن العلم قرين الصحو فيكون ذلك أما عن الجهل وأما عن الدهش الذى يأخذ اسم السكر ولذا قال الشيخ واقنحام لجة الشوق والتمكن دائم أى دائم فى حال أهل الفناء فى الحب المتمكنين ففناؤهم أخذ منهم البقية من رسومهم وروعيتها من الهيام المسمى سكرًا إلى الشهود بسبب الشوق الشديد والتمكن الدائم فى أحوالهم.

والعلامة الثانية : الفرق فى بحر السرور والصبر هائم وهذا حال المستعدين للفناء طلبًا لشهود البقاء ولذا كان صبرهم هائمًا أى غير مستقر لشوقهم الشديد إلى المعاينة والتحقيق بدلًا من الأخبار والشواهد .

ثم قال الشيخ وما سوى هذا من أنواع السكر وهى العلامة الثالثة فكلمة سكر تناقض البصائر لأنه يتحل صاحبه اسم السكر جهلاً أو يكون هيئاً بشئ سوى الحقيقة يسمى باسمها حواراً كالدعوى وهذا كله مما يناقض البصائر أى بصائر العارفين فلا يطلقون عليه اسم السكر الحقيقى الذى يصطلحون عليه فى معارفهم ومثاله سكر الحرص وسكر الجهل وسكر الشهوة فهو سكر وهيمان فى حب الرسوم والأغيار لا فى سبيل حب الخالق - والمعانى الإلهية .

وأنشدوا فى هذا المعنى قولهم :

قم يا نديمى إلى المدامة واسقنا	خمرًا تضىء برشفها الأرواح
أو ما ترى الساقى القدير يديرها	فكأنها فى نورها مصباح
هى أسكرت فى الخلد آدم أولاً	فكسته منها حلة ووشاح
وكذلك نوح فى السفينة أسكرته	فله بذلك أن ونواح
وكذلك تجلت للسكر نورها	ألقى العصا وتسكرت ألواح

وكذلك عيسى في هواها هائمًا متولها في حبها - وواح  
ومحمد لما تجلت أمها فاختره لشرابها الغيب -  
فتشبهوا أن لم تكونوا منهم إن التشبه بالرجال فلاح

## باب الصحو

قال الله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق) :

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام  
البسط والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطلب طاهر من الحرج  
فإن السكر إنما هو في الحق والصحو إنما هو بالحق وكل ما كان في عين الحق  
لا يخلو عن حيرة لاحيرة الشبهة بل حيرة في مشاهدة أنوار العزة وما كان  
بالحق لم يخل من صحة ولم يخف عليه من نقيصة ولم تتعاوره علة والصحو  
من منازل الحياة وأودية الجمع ولوائح الوجود .

ولعل شاهد الشيخ في الآية التي استهل بها ( الباب حتى إذا فزع عن  
قلوبهم ) أى الدهش ثم ارتحل عنها صحو من دهشهم ( قالوا ماذا قال ربكم  
قالوا الحق ) .

ثم قال الشيخ في تعريف الصحو : الصحو فوق السكر وهو يناسب  
مقام البسط لأن البسط حضور في الانبساط والسكر غيبة فهو إلى حال  
البسط أقرب ولذا قال الشيخ الصحو مقام صاعد عن الانتظار أى نازع  
إلى عدم الانتظار في السكر لأنه صحو وهو مغن عن الطلب لأنه حال  
واقع موجود ومفارق لحال غيبه وهو حال السكر فلهذا ولذا يكون الصحو  
طاهر أى متخلص من الحرج والطهارة هنا بمعنى الخلو وسبب خلو الصحو  
من الحرج أن السكر كما يقول الشيخ إنما هو في الحق أى كائن في سبيل طلب  
الحق والصحو إنما هو بالحق وذلك هو الفارق بين كائن في طلب الحق وكائن  
بالحق نفسه . وكل ما كان في عين الحق أى في سبيل طلب عين الحق لم

يخل عن حيرة تم قال الشيخ لاحيرة الشبه بل حيرة في مشاهدة أنوار العزة  
 أى إما هى حيرة فى طريق تحقيق المشاهدة لأنرار العزة ثم قال وما كان بالحق  
 لم يخل من صحة وهذا تجوز من الشيخ وكان الأولى به أن يقول فهو صحيح  
 بالضرورة دليل قوله بعد ذلك ولم يخف عليه من نقیصة الشىء الذى لا تخشى  
 عليه النقیصة يكون كاملاً أو على الأقل صحيحاً من جميع وجوهه وذلك  
 بدليل قول الشيخ نفسه ولم تتعاوره علة أى لا تشوبه أو لا تخالطه علة  
 ثم قال والصحو من منازل الحياة أى الحياة الإلهية الخالصة — الكاملة —  
 ومن أودية الجمع أى الجمع على الله بدليل قوله ولوائح الوجود أى الوجود  
 الوجوبى وهو بخلاف الوجود الامكانى الزائل .

وأنشدوا :

لما رأيتك مشرقاً فى ذاتى	بدلت من حالى ذميم صفائى
وتوجهت أسرار فكبرى سجداً	لمت محاسنها جميع شتى
وبلورت أحوالى فصرت مسبراً	فى الصحو عن سكرى بصدق نياتى
ونحولت أحوال سرى فى العلاء	أفئدت عن محو وعن اثبات
وحدث صفى فرحت مروحاً	نظراً لما أشهدت من آياتى

## باب الاتصال

قال الله تعالى « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى »  
 ثم قال الشيخ رضى الله عنه والاتصال على ثلاث درجات :  
 الدرجة الأولى : اتصال الاعتصام ثم اتصال الشهود ثم اتصال الوجود  
 فاتصال الاعتصام تصحيح القصد ثم تصفية الإرادة ثم تحقيق الحال .

والدرجة الثانية : اتصال الشهود وهو الخلاص مع الاعتلال والغنى  
عن الاستدلال وسقوط شتات الأسرار .

والدرجة الثالثة : اتصال الوجود وهذا الاتصال لا يدرك منه نعمت  
ولا مقدار إلا اسم معار ولمح إليه مشار .

هذا ويقول الشيخ في معنى الآية التي صدر بها باب الاتصال أيأس  
العقول وقطع البحث بقوله ( أو أدنى ) أى وصف القرآن وهو كلام الله  
تعالى حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه دنا فتدلى أى بلغ أعلى  
مبالغ القرب فكان قاب قوسين أو أدنى يريد الشيخ أن يقول بأن  
القرآن فى نص هذه الآية قد أيأس العقول عن أن تصل إلى ذلك الآفاق  
من الرفعة الروحية فقطع البحث أى السبيل على البحث العقلى الذى لا يمكنه  
بوسائله الخاصة ومنطقة المعلوم أن يحوم حول مثل تلك الآفاق فضلا عن  
الوصول إليها ثم قال والاتصال على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى اتصال الاعتصام وهو التمسك بالكتاب والسنة  
والعمل بما تهدى إليه من هدى للمعمل الصالح وقال ثم اتصال الشهود ومعناه  
اتصال شهود العبد لعظمة الرب ولخصائصه التى لا يشاركه فيها غيره .  
وقال الشيخ ثم اتصال الوجود ومعناه التحقق بالوجود الحق الخالد الدائم  
بالأعراض عن الاغترار بالوجود الظاهر الفانى وأن خدعت بعض العقول  
بظواهره ومظاهره ثم بين الشيخ معنى الاعتصام وجعله بتصحيح القصد  
ويريد قصد وجه الله فى العلم وفى العمل ثم تصفية الإرادة - بتفريدها  
لهذا القصد دون غيره بحيث لا تدنى عنه بغرض من الأغراض الزائلة أو  
بقيمة من القيم الفانية وقال ثم تحقيق الحال أى ألا يكون هذا مجرد علم  
ولما يكون بالنطبق تطبيق العلم على العمل وتطبيق المقام على الحال .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : اتصال الشهود أى بعد ذلك الاعتصام

والخلاص . ثم عرف اتصال الشهود كيف يكون فقال هو الخلاص من الاعتدال أى من العلل المانعة لذلك الشهود ثم قال والغنى من الاستدلال أى عدم الابتداء مثل الابتداء من رجوع . ثم أراد أن يعود ثانية مبتدأ من جديد وبالاخلاص من الاعتلال والغنى عن الاستدلال أى الرجوع يحدث ضرورة سقوط شتات الأسرار أى تشتتها أى تشتت السر وهو عين القلب أيدى سبا بواسطة الاعتلال وتوزع النفس حول العديد من المطالب التى لا تنجى ولا تدوم والانشغال بها عن المطلب الحق وهو الاعتصام لتصحيح المقصد الأعلى .

ثم قال والدرجة الثالثة : اتصال الوجود أى التمكن فى الاتصال بالوجود الحق الدائم الخالد وقد وصف الشيخ هذا الاتصال وذلك التمكن بقوله إنه اتصال لا يدرك منه نعت أى لا يوصف لأنه فوق الإشارة والعبارة ولا المقدار أى ولا يدرك له مقدار لأنه مطلق وفوق كل تقدير وتقسيم ثم استثنى الشيخ فقال إلا اسم معار أى عدا شئ واحد هو التسمية باسم الوجود لأن الوجود المطلق لله وحده واستثنى الملح أيضاً أى ملح هذا الوجود المطلق بنور البصيرة يريد أن هذا الاتصال لا يدرك منه إلا الاسم وإلا أن يلح بنور البصيرة فيشار إليه بشواهد معنوية مجردة عن الحس والمحسات .

### وأنشدوا

يا غائباً والحق فيه حاضر	أتغيب عنه وما شهدت سواه
من لم يشاهد بالبصيرة ذاته	فلقد أحاط به حجاب عماء
من لا يرى فى كل حال غيره	فمن المحال عليه أن ينسأه
من كان فى الملكوت يسرى فكره	فالغور بالحسنى ثواب تراء
سبحان من خرق الحجاب لبعده	وهدها منهم قصده فرآه

سبحان من ملأ الوجود أدلة ليلوح ما أخفى بما أبداه  
سبحان من لو لم تلح أنواره لم تعرف الأضداد والأشباه

## باب الانفصال

قال الله تعالى « ويحذركم الله نفسه » .

تم قال الشيخ رضى الله عنه ليس من المقامات شيء فيه من التفاوت  
ما في الانفصال ووجوه ثلاثة .

الأول : الانفصال هو شرط الاتصال وهو الانفصال عن الكونين  
بانفصال نظرك إليهما وانفصال توقفك عليهما وانفصال مبالاتك بهما .

والثاني : انفصال عن رؤية الانفصال الذى ذكرنا وهو ألا يترأى  
عندك فى شهود التحقيق شيء يوصل بالانفصال منهما إلى شيء .

والثالث : انفصال عن الاتصال وهو انفصال عن شهود مزاحمه  
والانفصال عن السبق فإن الاتصال والانفصال على عظم تفاوتهما فى الاسم  
والرسم فى العلة سياتى .

ولعل شاهد الشيخ فى الآية : التحذير مما يوجب الفتنة أو الاستدراج-  
للسالكين فى طريق الله ، تم قال الشيخ ليس من المقامات شيء فيه من  
التفاوت ما فى الانفصال ويريد بذلك التعجب من هذا التفاوت بجعل  
الانفصال سبباً للاتصال وهو ماسيئته فى الأوجه الثلاثة التى عددها فى  
بيان هذا الباب حيث قال ووجوه ثلاثة .

الأول : الانفصال هو شرط الاتصال وهو الانفصال عن الكونين  
انفصال نظرك إليهما توقفك عليهما وانفصال مبالاتك بهما وفى قوله

( الانفصال هو شرط الاتصال ) موضع تعجبه من هذا التفاوت الذى يجعل الانفصال سبباً فى الاتصال مع أنه نقيضه ولكن له فى ذلك وجه معقول وهو قوله الانفصال عن الكونين والكونين : الدنيا والآخرة فمن أراد الصدق فى الاتصال بالله وبجنته العظمى من المعرفة ألا يرى فى سبيل هذا الاتصال من شئون الدنيا أو شئون الآخرة سبباً يعوق هذا الاتصال ولو كان السبب العمل الآخرة ومفهوم أن الانشغال بالدنيا معوق عن ذلك الاتصال فلينفصل قلب الطالب عن التعاقق بأسباب الدنيا وأن اشتغل بها فى سبيل واجب المعاش بحواسه وعقله .

وأما أسباب الآخرة فهى فى هذا المقام عاتق أيضاً عن ذلك الاتصال لأن طالب الآخرة مغاير فى قصده ضرورة لطالب وجه الله فإن طالب الآخرة يطلبها حباً فى الثواب وفراراً من العقاب وطالب وجه الله منفصل تماماً عن التعليق بأسباب الدنيا أو بأسباب الآخرة . وأن عمل لهما انبعاث لشرع الله تعالى ولكن مقصده فى هذا العمل وجه الله وحسب وهو سبب الاتصال المنشود فكان سبب اتصاله بالله انفصاله عن كل سبب آخر ودل على ذلك بقوله « وهو الانفصال عن الكونين بانفصال نظرك إليهما » وليس هذا فقط وإنما قال وانفصال توقفك عليهما وفيه معنى التعاقق بهما ولذا قال ( انفصال مبالاةك بهما ) .

ثم قال والثانى : أى الوجه الثانى : رؤية الانفصال الذى ذكرنا ويريد أن يقول أن تنفصل عن ذلك الانفصال لأن نظرك إليه واعتدادك به فيه من رؤية النفس ما فيه والمراد الانفصال عن الكونين وما فيهما من سبب نفسى أو دنيوى أو اخروى ثم عقب بقوله وهو ذلك الانفصال ألا يترامى عندك فى شهود التحقيق شىء يوصل بالانفصال إلى شىء منهما أى أن انفصالك عنهم يجب أن يخلو بتاتا من أى حال كروية انفصالك واتصالك لأن



الانفصال لم يحدث منك بل هو توجيه من الله وكذلك الباعث على الاتصال بالله إما كان من ممن الله عليك وليس لك في كلا الحالين من فعل أفضل على أن الاتصال والانفصال هاهنا أمور نفسية ذاتية ليست من الأمور المحسنة ولا علاقة لهما بالأعمال كالطاعة والمعصية الواقعة بالفعل كاتصال شيء بشيء أو انفصال شيء عن شيء وإنما الاتصال هنا والانفصال أولاً هما أمران نفسيان ذاتيان خارجان عن الاتصال والانفصال اللذين تقع عليهما الرؤية الحسية فلا يزالان بالوهم الذي يوهم وجود سبب غير الغاية الإلهية يوصل شيئاً بشيء أو يفصل شيئاً عن شيء وهذا معنى قوله وهو ألا يترأى عندك في شهود التحقيق شيء يوصل بالانفصال منهما إلى شيء..

ثم قال الشيخ والثالث أى الوجه الثالث : انفصال عن الاتصال وهو انفصال عن شهود مزاحمة الاتصال عن السبق من رؤية شيء منهما بنفسك أو لنفسك فتزاحم بذلك الحقيقة وهى عين السبق فى الازل أى سبق فعل الله وأن اتصالك به كان صادراً عنه وبه وليس منك ولا بك فإن الاتصال والانفصال هنا أمران اعتباريان ولذا كان كما يقول الشيخ ( على عظم تفاوتهما فى الاسم والرسم فى العلة سيان ) لانهما أمران اعتباريان يعبر عنهما بالمجاز لمجرد البيان فى التحقيق لا مجرد الوقوع فى الكيان الحسى فإن أدخلت نفسك فى الانفصال عن الأسباب الدنيوية والأخرية للانفصال بحسبهما فقد أدخلت الوهم على نفسك وهضمت حق المشيئة الأزلية فى تقريبك بانفصالك عما يشغل قلبك عن الله أو اتصالك بالوسائل المقوية إلى الله فإن ذلك يكون كما يقول الشيخ مزاحمة الاتصال لعين السبق الأزلى بما فى علم الله من معنى هياها لك .

وأنشدوا :

يبكى إذا برق الحمى وهنا سرى متألماً  
ريح الصبا مرت على تلك الربى فاستنشقا

يفنى الزمان ودمعه فى حبكم ماقد رقى  
إن مات دون وصالكم فلكم إذن طول البقا

\* \* \*

## (القسم العاشر : قسم النهايات وهو عشرة أبواب)

باب المعرفة ، باب الفناء ، باب البقاء ، وباب التحقق ، وباب  
التلبس ، باب الوجود ، باب التجريد ، باب التفريد ، باب الجمع ،  
باب التوحيد .

### باب المعرفة

قال الله تعالى : ( وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض  
من الدمع مما عرفوا من الحق ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه المعرفة إحاطة بعين الشئ . كما هو وهى على  
ثلاث درجات والخلق فيها على ثلاث فرق .

الدرجة الأولى : معرفة الصفات والنعوت وقد وردت أساميها بالرسالة  
وظهرت شواهدا فى الصبغة بتبصير النور القائم فى السروطيب حياة العقل  
وذريعه الفسك وحياة القلب ويحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار  
وهى معرفة العامة لا تنعقد شرائط اليقين لإلها وهى على ثلاثة أركان .

أحدها إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه ، ونفى التشبيه عنها من غير  
تعطيل والأياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها ثم قال والدرجة الثانية  
معرفة الذات مع اسقاط التفريق بين الصفات والذات وهى تثبت بعلم  
الجمع وتصفو فى ميدان الفناء - وتستكمل بعلم البقاء وتشارف بعين  
الجمع وهى على ثلاثة أركان .

إرسال الصفات على الشواهد وإرسال الوسائط على المدارج وإرسال العبارات على المعالم وهى معرفة الخاصة التى تؤنس من أفق الحقيقة .

ثم قال والدرجة الثالثة : معرفة مستغرقة فى محض التعريف لا يوصل إليها الاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة وهى على ثلاثة أركان :

مشاهدة القلوب والصعود عن العلم ومطالعة الجمع وهى معرفة خاصة الخاصة

أما شاهد الشيخ فى الآية فهو واضح فى قوله تعالى ( بما عرفوا من الحق ) ثم قال الشيخ المعرفة احاطة بعين الشئ كما هو أى الاحاطة بذات الشئ لا بوصفه فإن الاحاطة بوصف الشئ تتعلق بالعلم لأن موضوع العلم : العلم بأوصاف الاشياء . وظواهرها المحسوسة والمعقولة وليس بعلمها ولا بالحقائق المسببة لها أو الصادرة عنها فإن قولك أعرف فلانا أى أعرفه كله بالذات معرفة عينيه وأما قولك أعلم من فلان خلقه أو فضله أو فهمه فهو علم . أما الوجه الأول فإنه معرفة تملك الاحاطة بالذات وأوصافها وهذا معنى قول الشيخ الاحاطة بعين الشئ كما هو ذاتا وهوية ثم قال وهى أى المعرفة على ثلاث درجات والخلق فيها على ثلاث فرق .

ثم قال الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعوت وهى العلم اليقينى الداخلى فى باب المعرفة بصفات الله عز وجل ونعوته التى تلزم عنها أفعاله من الإيجاد والإبداع والتكوين والإحياء والامداد الخ ويوضح ذلك كله قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام لفرعون عند سؤاله ( من ربكما يا موسى ) ( قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ) ثم قال وقد ورد أساميها أى الصفات بالرسالة أى الرسالة المحمدية والدين الإسلامى الحنيف جاء وحيا بواسطة رسوله الملك جبريل عليه السلام فى القاءه أو خطابا مشافهة ظاهرا فى روع عبده محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وظهرت شواهدا

فى الصبغة أى صبغة الله وفطرته التى فطر الناس عليها ومن أحسن من الله صبغة وذلك كما يقول الشيخ بتبصير النور القائم فى السر أى النور الإلهى سر القلب وهو الفؤاد ثم قال وطيب حياة العقل أى العقل القلبى الذى يهدف دائما إلى الحق وبحيد وبجنى عن الباطل وذلك بزرع الفكر أى بزرع التفكير السليم وحياة القلب أى الفكر الذى أساسه حياة القلب .

قال ويحسن النظر أى المبنى على حسن النظر بين التعظيم السليم الذى يكون موقعه بين تعظيم الحقيقة وحسن الاعتبار بالشواهد: تعظيم الحقيقة بالقلب . فالمرء إزاء تلك المعرفة بين تعظيم للحقيقة واعتبار بشواهد المعقولة . ثم قال الشيخ وهى معرفة العامة أى تلك وإلى هذا الحد فإنها معرفة العامة ومراده بالعامة ليس عوام الناس كما يخال وإنما يريد عمومهم وغالبيتهم تلك المعرفة التى لا تمنعدها كما يقول الشيخ شرائط اليقين أى الإيمان الصحيح إلا بها وهى على ثلاثة أركان أحدها ( إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه ) أى إثبات الصفة كما جاءت من الله فى القرآن من طريق الوحي كاسمه الحى والعليم مثلا اللذين ينبعان من صفى الحياة والعلم دون تشبيه بمائل من صفات الخلق فإن علم الله يغاير علمنا بالاتساع والاحاطة وإن كان علمنا ينبع من علمه وحياة الله لا تشبه حياة غيره من الأحياء الذين يحيون بها وعنها فإن الذات الإلهية تنفرد بحياة خاصة بها ومناسبة لها وهى مطلقة لا يشاركها فيها غيرها ثم قال الشيخ ونفى التشبيه عنها أى نفى إقامة التشبيه بينها وبين غيرها من صفات المخلوقات أو تعطيل لما أى تجريد ما من الفاعلية فتصبح سلبية ( كما عند المعتزلة ) هذا مع الأياس من إدراك كنهها كما يقول الشيخ لأن إدراك كنه الحقيقة التى تبرغ الأسماء والصفات عنها مستحيل لأنها ذات الله تعالى فأدراك كنهها ممنوع لتأويل الصفات الإلهية بزعم إدراك كنهها أو تشبيهها بصفات المحدثات وذلك يكون تحصيل حاصل يؤدى إلى الدور والتسلسل .

ثم قال والدرجة الثانية : وهى أعلى من الأولى ضرورة معرفة الذات

مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات والتفريق هو جعل الصفات أمراً خارجاً عن الذات ومغايراً لها والواقع ينفي ذلك لأن الصفات تنبع من عين الذات وهي خصائص لها .

وأما قول الشيخ وهي تثبت بعين الجمع فمعناه أن ذلك يتكشف أكثر ما يتكشف للعارفين بالله الذين بلغوا من حدود العلم أعلاها ودخلوا في رحاب المعرفة الواسعة الشاملة . قال وهي على ثلاثة أركان : إرسال الصفات على الشواهد ومعناه إرجاع الشواهد الدالة على الصفات إلى الأصل الثابت الذي كانت الصفات من خصائصه وهو الذات الإلهية المطلقة وبهذا تكون الصفات الإلهية هادية للشواهد عليها لأن الشواهد تنبعث عن الأعمال والأعمال من لوازم الصفات ثم قال (إرسال الوسائط على المدايرج) والواسطة تكون مدرجة إلى الحقيقة التي تدل عليها فالوسائط لعرفان الذات أو الصفات أى الذات الإلهية أو صفاتها أو أفعالها فالدلائل والشواهد تندرج فيما يلزم عن الصفات ثم قال (إرسال العبارات على المعالم) فإن الذات الإلهية أو صفاته لا تصل إلى حقيقة العبارات لأن العبارات إنما تنصب على المعالم والمعالم هنا أعيان الأشياء التي هي آثار لأفعال الحق ثم قال وهي معرفة الخاصة أى المعرفة التي لا يبلغها من الناس إلا خاصتهم كالعارفين بالله وأوليائه . ثم قال التي تؤنس من أفق الحقيقة أى شواهد المعرفة التي تؤنسهم بعرفانها وهي منبعثة من أفق الحقيقة وليس من مجالات الخليفة وتلك الشواهد الإلهية تنبعث عن نور الحق خالصة لهداية السالكين فهو مبدأ الطريق ووسطه وغايته وهي محرك عزائمهم إلى السير ببلوغ كشف الحجب عن الحقائق الإلهية فمن كان لا شاهد له من الله يبدو فلا سير له ولا سلوك وأعظم تلك الشواهد تلك الشؤون الإلهية التي هي من لوازم الصفات العلية صفات محبوبهم وهي السبيل إلى مطلوبهم وتلك هي الأعلام الدالة على المعالم : معالم الطريق إلى الحقائق الإلهية وحينما رفعت لهم الأعلام وبدت لهم المعالم (وهي

الأحوال والمقامات ) فمروا في السير مجدين بغية الوصول إلى الحقائق التي تهدي إليها وتدل عليها ولذلك قال الشيخ ( إنها تثبت بعلم الجمع وتصفو في ميدان الفناء وتستكمل بعلم البقاء وتشارف أى تتطلع بعلم الجمع أى إلى الحقيقة وهذا أيضا معنى قوله بعد ذلك وهى معرفة الخاصة التى تؤنس أى تؤنسهم من أفق الحقيقة أى تبدو من ذلك الأفق الشامخ المتسامى فتؤنسهم .

ثم قال والدرجة الثالثة : معرفة مستغرقة في محض التعريف أى مستغرقة كلية في محض التعريف الإلهى لهم وقد سئل الصديق الأعظم رضى الله عنه بم عرفت ربك؟ قال ( عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى ) وتلك معرفة لا يوصل إليها الاستدلال ووسائل المنطق المعلوم . كما يقول الشيخ ولا يدل عليها شاهد أى من شواهد العلم ولا تستحقها وسيلة أى وسيلة من وسائل النفس نفس السالك تستحقها أى تستحق تلك المعرفة فتكون موصلة إليها إلا بالله .

ثم قال وهى على ثلاثة أركان أى تلك المعرفة اللدنية الإلية أولها : مشاهدة القلوب ثم قال والصعود عن العلم أى المشاهدة بالقلوب الصاعدة عما يعطيه العلم من شواهد علمية كونية ( وهى الركن الثانى ) ثم قال ( ومطالعة الجمع ) أى مطالعة مقام الجمع بعين المكاشفة وهى الركن الثالث ثم قال وتلك معرفة خاصة الخاصة . أى معرفة الذين اصطفاهم الله فاختصهم برحمته ثم أوصلهم بفضلهم إلى آفاق معرفته .

هذا وللقوم في مجال تلك المعرفة أقوال تؤثر عنهم فمنهم أنه لما سئل الجنيد عن العارف أى العارف بالله قال ( لون الماء لون إنائه ) أى أن العارف كمخلوق يتلون بحسب فيوضات مبدعه على قلبه فهو ملون في أقسام العبودية، فبينما تراه مصليا إذ بك تراه ذا كرا أو قارئاً أو معلماً أو متعلماً أو

مجاهداً فهو مع أهل الأسباب متسبب ومع المتعلمين متعلم ومع العلماء عالم ومع العارفين عارف فينتقل في كل منزلة من منازل العبودية وهو مستشرف بنظر قلبه إلى معبوده الذى لا يتلون ولا يتغير وقال يحيى بن معاذ (العارف كائن بائن) أى كائن مع الخلق بظاهره بائن عنهم بقلبه وأنه كائن مع الله بموافقته وبائن عن خلقه بمخالفتهم فى نزعاتهم ونزواتهم ثم هو داخل فى الأشياء بالله وخارج عنها له على أن غالب الناس يدخل فيها ولا فكاك له من الخروج عنها وأما العارف فهو داخل فى الأسباب بربه وخارج عنها بمعرفته لربه فهو حر من رقها . وقال ذو النون المصرى وهو من أبلغ القول فى المعرفة ومن أقوى الدلائل على عدم التفرقة بين الشريعة الحقيقية : علامة العارف ثلاثة ( لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطناً من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ) ( الشرع ) ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارمه وفى معنى قوله ( لا يعتقد باطناً من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ) فإنه يشير بهذا إلى ما يفعله الجاهلون من المنتسبين إلى طريق الله ظلماً فإنهم قد تقع لهم أوهام يظنونها مواجيد من مواجيد الحقيقة وواردات من وارداتها وهى تخالف حكم الشرع فعلاً فيتركون ظاهر حكم الشرع اشتغالا بمواجيدهم الموهومة وذلك لجهلهم بحقائق الطريق وآداب الشرع وفى معنى المعرفة الحقيقية يقول أبو سعيد الخراز :

( المعرفة تأتى من عين الوجود وبذل المجهود وبهذا يشير إلى أن المعرفة فى الاستعداد إليها وفى الاستحقاق لحصولها امر إلهى مع أنها وهى تحتاج إلى بذل المجهود فى الأعمال الصالحات وهى أوامر الشريعة وهى بذور الأحوال التى هى مواهب يكافئ بها العبد على أعمال الجوارح وإن كانت المعرفة نفسها تأتى من عين الوجود أى الوجود الحقيقى أو وجود الحقيقة وتلك لا تنال بمجرد العلم أو البحث والجدول ولكنها تنال نتيجة العمل الصالح المطهر للجوارح والمنبه للقلب لصحوه وفطنته لأن يفهم السلوك الحق الإلهى

فى طريق الرب ولذا يقول محمد بن الفضل ( المعرفة حياة القلوب مع الله-  
ونحن نزيد على قوله وعمل الجوارح على طاعة الله .

وقال بعض العارفين رضى الله عنهم : إن مجالسة العارف تدعوك من  
ست إلى ست من الشك إلى اليقين . ومن الرياء إلى الخلاص ومن الغفلة  
إلى الذكر ومن الرغبة فى الدنيا إلى الرغبة بقلبك عنها وتدعوك من الكبر  
إلى التواضع ومن سوء الطوية إلى حسن النية :  
وأنشدوا:

من شدة القرب منى	ظننت أنك أنى
فقلت ما قلت جهلا	وذاك من سوء ظنى
وحين حققت أمرى	والوهم قد زال عنى
أدركت هذا وذاك	ثم الفنا صار فى
وصرت عن غيب غيبى	بما أقول أكنى
أزال عنى الترجى	على به والتنى
والعلم كالجهل عندى	سواء وزال التظنى
إذ كل ذلك خالق	والخلق ما عنه يعنى
وليس يشبه ربه	شئ فدع التظنى
أنا الموحّد ذوقا	فخلنى يا مشنى

### باب الفناء

قال الله تعالى ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام )  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه : الفناء فى هذا الباب : إنس لاضمحلال  
مادون الحق علما ثم ججدا ثم حقا وهو على ثلاث درجات :



الدرجة الأولى : فناء المعرفة في المعروف وهو الفناء علما وفناء العيان في المعان وهو الفناء جحدا وفناء تطلب في الوجود وهو الفناء حقا .

والدرجة الثانية : فناء شهود التطلب لاستقاطه وفناء شهود المعرفة لاستقاطها وفناء شهود العيان لاستقاطه .

والدرجة الثالثة : الفناء عن شهود الفناء وهو الفناء حقا شأنما برق العين راكب بحر الجمع سالكا سبيل البقاء .

أما شاهد الشيخ في الآية فهو ظاهر وأن كان يوجد فرق بين الفنائين ولكنهما يفضيان إلى بعضهما .

وأما قوله الفناء في هذا الباب تخصيصا لما قدمنا من تشابه أنس لاضمحلال مادون الحق علما يعني أن العلم القائم بالوجودات هو علم بما مصيره للفناء من حيث الأيلولة إلى الله فإذا أشرف على أفاق في المعرفة أوسع من مقام العلم الظاهر جحدا ما كان يعلمه لسعة ما تعرف إليه ودوامه ثم حتما أي كان مستحقا من حيث أنه قد عرف في النهاية أن سبب وجود الخلق وجود الحق وأن صيرورة الخلق إلى الفناء في أبدية الحق ثم قال وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : فناء المعرفة في المعروف وهو الفناء علما أي تصحيح ما كان يعرفه علما بما عرفه عن التحقيق من طريق المعرفة التي هي أوسع آفاقا من العلم وفسر الشيخ ذلك بقوله وفناء العيان في المعان أي فناء شواهد العيان أي شواهد عالم العيان في الحقيقة المعانية من طريق المعرفة الصحيحة وهو الفناء جحدا أي جحودا لما كان يعلم عن عالم الرسوم عند رحاب ما عرف من الحقيقة في عالم الدوام والبقاء ثم قال وفناء التطلب في الوجود أي فناء طلب الطالب للحق في وجود الحق وهذا يبقى التطلب من حيث أصبح ذلك الوجود الثابت ظاهرا معانينا له بعين اليقين أو بحقه وهو الفناء

حقا كما يقول الشيخ أى فناء ما يزول من الرسوم فى وجود من لم يزل  
وينزهه سبحانه عما كان يرى فى علمه من أشباح زائلة أو لها ظلال الحقيقة  
من أعيان الموجودات وآخرها ظلال يستلزم فناء العلم فيها وبالتالى فناء نفس  
المعرفة فى المعروف .

وهو أيضا فناء المعاينة أى فى وجوه المعان وهذا المقام من مستلزمات  
فناء المعرفة فى المعروف وهذا الفناء يستلزم جرده ما كان يعرفه من وجود  
الأعيان الزائلة التى كانت حجبا عن مقامه وهذا مقام الشهود وكان فى  
جردها فناء الطلب وفناء الطلب غيبة فى الوجود : أى وجود المطلوب  
وهو الفناء حقا كما يقول الشيخ .

ثم قال والدرجة الثانية : فناء شهود الطلب لاسقاطه لأن الطلب يكون  
عند غيبة المطلوب وقد صار المطلوب مشهودا لوجوده وبظهوره للشهود  
يتم فناء شهود المعرفة أيضا لأن شهود المعرفة إنما يكون فى غيبة المعروف  
فإذا صار المعروف حاضرا سقط ذلك الشهود الذى هو شهود المعرفة  
وأيضا سقط شهود الحقيقة ثم هو معنى قول الشيخ (اسقاطه) ولا يسقط  
الطلب إلا فى حضور المطلوب ثم ( فناء شهود العيان لاسقاطه أيضا ) لأن  
العيان إنما يكون وسيلة لشهود المعان فيطلب لأجل ذلك فإذا حصلت  
المشاهدة والمعاينة فعلا سقط طلب الشهود فى معنى الشهود نفسه وهو الأمر  
الذى كان يطلبه السالك فى سبيل شهوده .

ثم قال والدرجة الثالثة : الفناء عن شهود الفناء وذلك بالانتقال من  
شهود الطلب والمعرفة والفناء بسبب واحد هو شهود العيان للحقيقة فتسقط  
كل العوامل وسائر المعانى التى كانت تعين السالك على تطلب معاينة  
مشهوده وذلك هو الفناء حقا كما يقول الشيخ ثم قال إن السالك يشهد الفناء  
شأما برق العين أى ملاحظا نور العين التى كان يطلب معاينتها وهى الحقيقة  
فيفنى كل ما عداها وكل ذلك يتم للسالك حال كونه راكبا بحر الجمع

سالك سبيل البقاء والبقاء هو حزم 'حاصل ضرورة بعد تفقه' .  
 في طريق الله أولا يطلب ثم يخوض بحر 'شهود' ليشهد فإن شام أى حد  
 برق العين أى نور الحقيقة سقط حين الفناء لأنه قد صار راكبا بحر  
 الجمع سالك سبيل البقاء وهذا المقام مقدم 'جمع على الله لا تحويه عبارة  
 ولا تصل إليه إشارة' كما يقول الشيخ فى بعض 'أوراقه' السابقة فلا يعبر عنه  
 إلا من طريق المجاز كما يعبر الشيخ فيكثير من قول غيرات 'سقاط الطالب  
 واسقاط الشهود وفناء شهود العيان وشيم برق العين وهكذا .

وقالوا فى معنى الفناء رجزا :

لو جرى معنساء فى الفؤاد	جرى الغذاء فى جملة الأجساد
عندها جازى مرآة القلب (١)	لوح الغيوب وهو غير مخبى
فادرك المعلوم والمجهول	حيث ارتضى لتركها قبول (٢)
حتى إذا جاء بطور القلب	خوطب إذ ذاك بكل خطب
فقبل لو عرفتنى بكونى	قبل إذن فاخلع نعال الكون
كذا ليفنى عن رؤية العوالم	ولم ير فى الكون غير العالم
ثم يفتى لفلک الحقيقة	فقبل هذا غاية الطريق
ثم أتمجى فى غيبة الشهود	فاطلب القول أنا معبودى (٣)
وعند رفضه الخلق نحو الحق	كى ما يرى واجبات الرق
فيكلم الناس بكل رمز	ويلغز فى التعبير أى لغز
وعندما سلك السالك	أقامه شيخنا لكل سالك

(١) مقصود الراجز : المرأة حذف الهمزة لوزن الشعر .

(٢) فادرك المعلوم والمجهول أى ادرك مع ما كان معلوما من الآثار والأغيار الذى كان  
 مجهولا له وهو الحقيقة فنعى بعرفان الحق ما ليس بحق .

(٣) قوله هنا أنا معبودى : لا يريد التأله أو الخلول أو الاتحاد إنما يريد أن يقول أن  
 معبودى حقيقى وأما أنا كجسم ونفس ففان وزائل كقبعة الكائنات .

## باب البقاء

قال الله تعالى ( والله خير وأبقى ) ثم قال الشيخ رضى الله عنه : البقاء  
اسم لما بقى قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما .

الدرجة الثانية : بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودا لانعتا .

الدرجة الثالثة : بقاء من لم يزل حقا باسقاط من لم يكن محرا .

أما شاهد الشيخ فى الآية فواضح وأما قوله ( البقاء اسم لما بقى قائما  
بعد فناء الشواهد وسقوطها ، فعناه أن الشواهد وجدت لتدل على شهود  
غائب عن معاينة المشاهد فيستدل على وجود خالقه بحملة من الشواهد  
الوجودية الدالة عليه كالإبداع والنظام فى الكون والحياة وغير ذلك فإذا  
عابن المشاهد ما كان يطلب شهوده سقطت شواهد التى كانت دليلا للطلاب  
على وجود مشهوده وهو الله الذى كانت ذاته وخصائصها مغيبة عنه قبل ذلك  
وهذا معناه بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما كما يقول الشيخ  
وسقوط العلم عينا يحصل بشهود ما كان معلوما له فيفنى العلم بوجود الشهود  
الذى كان غائبا عينا لا علما — وإن كان العلم حاضرا — أى ليس بمجرد العلم  
بقائه كما تغنى المعاينة فى المعابن والعلم فى المعلوم والمعرفة فى المعروف  
وهكذا .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية . بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وهذا  
يكون حاصلا بالضرورة إذا وصل السالك لمثل هذا المقام وبقاء المشهود  
يكون وجودا وتحققا لانعتا ولاوصفا من طريق الشواهد والدلائل والقرائن  
الدالة على وجوده بالعلم .

ثم يقول والدرجة الثالثة وهى أرقى من الدرجتين السابقتين بقاء من لم يزل حقا أى تحقيق بقاء من لم يزل حقا أزلا وحاضرا وأبدا وذلك بإسقاط ما لم يكن من الأشياء والكانتات موجودا إلا معانيه التى هى حجب محو أى إسقاطها محو بعد المعاينة وفناء الشهود وفناء الطلب وما مائل ذلك وتطلق هنا مجازا لأن المقصود بها الذات الإلهية المغيبة عن الإدراكين الحسى والعقلى إلا ما كان من لمح البصيرة أو كما يعبر الشيخ دائما ( بشيم برق البصيرة ) .

ولنا فى هذا المعنى من قصيدتنا العينية أبيات :

جمال التى أهوى عزيز ممتنع	فرايت اسمها فى كل شىء أطلعه
أراها بها فى كل معنى رأيت	وتنزيها عن رؤية العين شائع
فما الشمس إلا من مظاهر حسننها	وما البدر إلا نورها فيه طالع
وما الكون إلا نقطة من جمالها	وما الروح إلا سرها فيه واقع
وما الكل إلا لقطة من لحاظها	وفى جمعها الضدين يانت بدائع

\* \* \*

## باب التحقيق

قال الله تعالى ( أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه التحقيق تخليص مصحوبك من الحق ثم بالحق ثم فى الحق وهذه أسماء لدرجات ثلاث .

الدرجة الأولى : تخليص مصحوبك من الحق بأن لا يخالج عليك عليه .

والدرجة الثانية : بأن لا يتنازع شهودك شهوده .

والدرجة الثالثة : بأن لا يناسم رسمك سبقه فتسقط الشهادات وتبطل العبارات وتفى الإشارات .

أما شاهد الشيخ فى الآية قول الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين طلب تحقيق الوصف بالمعينة أو لم تؤمن قال إبراهيم بلى أى أو من ولكن ليطمئن قلبى بالشهود بعد العلم والمعينة والوصف للحقيقة .

ولذلك قال الشيخ فى الدرجة الأولى أن التحقيق تخليص مصحوبك من الحق علما بتحقيقه وذلك على قدر كفايتك فى التحقيق لاعلى قدر كفاية الخالق فى علمه وذلك لكى لا يخالج عليك الضيق عليه الواسع والمخالجة هنا معناها المخالطة للمنافسة وذلك لا ينبغى ولا يمكن لأن عليك محدود بالنسبة لعلمه كما قدمنا ومعرفتك قاصرة عن الإحاطة بما يعلمه الحق من شئون عالمى الغيب والشهادة .

ثم قال الشيخ والدرجة الثانية : بأن لا ينزع شهودك شهوده .

وذلك بأنك إنما تشهد منه نوره الذى يتجلى به على قلبك لاشهود ذاته على التحديد فشهودك مهما اتسع محدود بمحدودية طاقتك وأما شهوده أى شهود الحق لذاته ولغيره فشهود مطلق لا يحاط بكهنه ولا يدرك مداه .

ثم قال وأما الدرجة الثالثة : فبأن لا يناسم رسمك سبقه أى فذلك لأن رسمك الزائل لا يتناسم مع سبقه ومعنى المناسمة : مزاحمة له سبحانه فى العلم كما لو هبت ريح من الشمال وريح من الغرب فتناستما مزاحمة . وهناك وعند المواجهة مواجهة شهودك مع وجود رسمك المحدود لشهوده أى شهود الحق المطلق لذاته وأسمائه وصفاته على سعته وما يلزم عن ذلك من خلق وإبداع عند كل ذلك يسقط رسمك ويبقى وجوده الحق فكيف يتم التناسم بين شهودك المحدود بوجود رسمك مهما اتسع ذلك الشهود مع شهود الحق المطلق الذى عنده تسقط الشواهد وتبطل العبارات وتفى

الإشارات كما يقول الشيخ ذلك لأنها رسوم نسبية وجدت لتدل على حقيقة مطلقة فإذا واجهت الحقيقة تلك الرسوم بطلت ومحيت بما فيها من عبارات وإشارات .

وانشدوا في هذا المعنى قولهم :

فاذكرونا مثل ذاكرانا لكم      رب ذكرى قربت من نزحا  
واذكروا صبا إذا غنى بكم      شرب الدمع وعافى القـدحا  
وانشدوا أيضا قولهم :

إذا صار قلب العبد للسر معدنا      تلوح بأعطافه بهجة السنا  
وإن فاتته المعنى علمته غمامة      فأصبح في أفعاله متلونا

### باب التلبيس

قال الله تعالى ( وللبسنا عليهم ما يلبسون ) .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه : التلبيس : نوره يشاهد معار عن موجود قائم وهو اسم لثلاثة معان .

أولها : تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة وهو تعليقه الكوائن بالأسباب والأماكن بالأحايين وتعليقه المعارف بالوسائط والقضايا بالحجج والأحكام بالعلل والانتقام بالجنايات والمثوبة بالطاعات وأخفى الرضى والسخط للذان يوجبان الوصل والفصل ويظهران السعادة والشقاوة .

والتلبيس الثانى : تلبيس أهل الغيرة على الأوقات باخفائها وعلى الكرامات بكتنائها والتلبيس بالمكاسب والأسباب والتعلق الظاهر بالشواهد والمكاسب والمظاهر تلبيسا على العيون الكلية والعقول العلية مع تصحيح التحقيق عقدا وسلوكا ومعاينة وهذه الطائفة رحمة من الله تعالى على أهل التفرقة والأسباب فى ملابتهم .

والتلبيس الثالث : تلبيس أهل التمكن على العالم ترهما عليهم بملابسة الأسباب والمكاسب توسعة . على العالم لا لأنفسهم وهذه درجة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ثم الأئمة الربانيين الصادرين عن وادى الجمع المشيرين عن عينه .

يفسر الشيخ التلبيس وهو شاهده في الآية بالتورية بلاغة وفسر التورية بأنها تورية بشاهد معار أى بشاهد من القول من طريق الاستعارة معبرا عن موجود قائم مشار إليه بالتورية . ثم قال وهو اسم لثلاثة معان .

قال أولها : تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة وحقيقة التلبيس إلbas شىء بمظهر شىء آخر ويراد الإشارة إليه خفية من طريق الاستعارة والتورية وهذا معنى تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة الذين لا يرون إلا ظواهر الأشياء والأسباب الظاهرة بصرف النظر عن حقائقها الخفية الغيبية . ثم قال الشيخ وهو تعليق السكوائن بالأسباب والأما كن بالأحايين ويريد إخفاء ظهور صفات المكون : ظاهر الكون من الأزمنة والأحايين ذلك التعدد الذى من شأنه إخفاء — الحقيقة المتوحدة فإذا أردنا التعبير عن الحقيقة الكلية القائمة وراء الكائنات جعلنا سبيلنا إلى ذلك التورية بالقول للاستدلال بوجود المظاهر على وجود الحقيقة ومن أمثال ذلك قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) . ثم قال الشيخ وتعليقه أى تعليق الحق (على المعارف بالوسائط والقضايا بالحجج) على أن معارفنا المكتسبة مستمدة من النظر فى الحقائق الكونية وهى من علم الله كعلمنا بالنجوم أو بطبقات الأرض أو بالحساب والهندسة وما إلى ذلك كلها مأخوذة عن آثار أفعال الله فى الكون وهذا معنى تعليق الحق للمعارف على الوسائط وكذلك القضايا بالحجج وأصل القضايا الفعلية مكسوبة بما يتقدمها من بدائه أولية فإذا التمسنا حجة على قضية من القضايا المنطقية اعتمدنا فيها أول ما نعتمد على البدائه والمسلمات الأولية وهذا معنى تلبيس القضايا بالحجج أى القضايا



الأولية بالحجج الفعلية ولذلك قال الشيخ والأحكام بالعدل أى إيضاح الأحكام الطبيعية بعلمها كذلك تعليق الانتقام بالجنايات والمثوبة بالطاعات إلخ . أى جعل سبب انتقام الحق وعقوبته بالجنايات والمثوبة بالطاعات مع أن حكمة الله وتدبيره كانا وراء ذلك وأخفى وراء العقوبة والمثوبة الرضى والسخط الإلهيين اللذين يوجبان أصلاً الوصل والفصل أى التقريب والإبعاد ويظهران السعادة والشقاوة أى وجعلهما مظهران للسعادة والشقاوة .

ثم قال الشيخ والتلبيس الثانى : ( تلبيس أهل الغيرة على الاوقات باخفائها وعلى الكرامات بسكتائها ) ومعنى هذا إخفاء السالكين المجدين فى طريق الحق أوقاتهم مع الله أى منع الله لهم فى أوقاتهم من التجليات باخفائها على عامة الناس لأنها أسرار يذنبهم وبين الحق يسترونها غير عليها وذلك كما يقول الشيخ تلبيس أى إخفاء الكرامات التى يكرمهم بها ربهم بواسطة كتمانها عن الخلق وعدم البوح بها أو أظهارها لهم . ثم قال الشيخ والتلبيس بالمكاسب والأسباب أى ويلبسون بمعنى يخفون . بالمكاسب والأسباب أفعال وأفضال المسبب وهو الله وكذلك يفعلون فى تعلقتهم الظاهر بالشواهد والمكاسب العلمية والوهمية تلبيساً على العيون الكليّة كما يقول الشيخ والعقول العلية مع تصحيح التحقق عقدا وسلوكا أى يفعلون ذلك مع صحة تحقيقهم عقدا أى معتقدا وأيضاً تحقيقهم فى السلوك معاينة وشهودا ثم قال الشيخ وهذه الطائفة رحمة من الله تعالى على أهل التفرقة ويريد بالطائفة أهل طريق الله من الواصلين السكمل وأوليائه من حيث أن ملابساتهم للأسباب وظهورهم يتأخذا رحمة بأهل التفرقة الذين لا يرون إلا مظاهر الأشياء مع أنهم هم حقائقها دون — مظاهرها لانهم أهل تحقيق فاصطباغهم بمظاهر أهل الظواهر فى أعمالهم وملابساتهم رحمة بالناس الذين لا يفهمونهم فى مواجيدهم الآلهية المستترة بلباس التلبيس لما وراء تلك المظاهر .

ثم قال الشيخ والتبليس الثالث : تبليس أهل التمكين على العالم ترهما — عليهم أى تبليسهم على الناس ما هم فيه من التمكين رحمة بهم لأنهم إذا خاطبوا أو عبروا لهم عن مواجيدهم الحقيقية سخرُوا بهم ولم يصدقوهم لتطبعهم وانطباع رأيهم بالعادة على جهل الحقيقة وتحققهم بالمظاهر الكونية من حيث أنهم لا يرون حقيقة غيبة أخرى وراءها فالتبليس من أهل الله فى أحوالهم عليهم توسعة للناس لا لأنفسهم فإنهم من دأبهم الأخذ بالحقائق دون المظاهر وإن حد منهم التبليس والاختفاء وإنما يظهرون باعتقاد المظاهر تبليسا وقد أشار إلى مثل هذا الأدب فى التعامل سبى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بقوله لأبى العباس المرسى ( لىكن الفرق فى لسانك منظوقا والجمع فى جنانك مشهودا ) ومعنى هذا أن تتكلم مع الناس بالفرق أى برؤية الأسباب والرسوم الظاهرة دون الحقائق وأن تجعل مع هذا شهود الحقيقة فى قلبك ملحوظا أى موجودا وهذا أيضا يكون تورية أو تبليسا من أهل المعرفة على غيرهم رحمة بهم سترأ لأحوال أنفسهم يفعلون ذلك لأنهم من أهل التمكين ثم قال الشيخ وهكذا كانت تلك الدرجة درجة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم درجة الأئمة الربانيين الصادقين كما يقول الشيخ عن وادى الجمع لأهم يصدرُونَ فى معارفهم عن شهود الجمع أى شهود حقيقة واحدة فعالة فى الوجود هى الحق سبحانه وتعالى بسائر أسمائه وصفاته وأفعاله والكل من أفعاله ولذا قال الشيخ المشيرين عن عينه أى أولئك الذين يصدرُونَ عن الحقيقة نفسها فإنهم أيضا يشيرون عن عين الحق ولما كانت مراجيدهم ومعارفهم فى علوها وسموها خافية عن عامة الخلق وروا عنها ولبسوها فى عبارات تمت إلى الظواهر بصلة لى تكون مفهومة ولا يقع عليها اعتراض المعترضين من العامة .

وأنشدوا فى الدرجة الأولى أى التبليس الأول قولهم :

زجرت فؤادى فلم يتزجر ويطلب شيئا ومنه يفر

يسير إلى الحق مستظمرا وإني عليه شفيق حذر  
فقال رويدا فمن لم يكن مع الحق فإن فلا يستقر  
وأنشدوا في التلبيس الثاني أى الدرجة الثانية البيتين الآتين :  
لست من جملة المحبين إن لم اجعل القلب بينه والمقام  
وطوافي أخاله السير فيه وهو ركني إذا أردت استلاما  
وأنشدوا في التلبيس الثالث أى الدرجة الثالثة وهى درجة أهل الجمع .  
لقد تاه فى تيه التوحد وحده وغاب<sup>(١)</sup> بقربه منك حين طلبته  
ظهرت لمن أثبتته بعد بينة فكان بلا كون كأنك كنته

### باب الوجود

وفيه يقول الشيخ رضى الله عنه : قد أطلق الله عز وجل فى القرآن  
السكرىم اسم الوجود على نفسه فى مواضع فقال ( يجد الله غفورا رحىما )  
( ووجد الله عنده ) ( لوجدوا الله توأبا رحىما ) ثم قال الشيخ الوجود اسم  
للظفر بحقيقة الشىء وهو اسم لثلاثة معان .

الأول : وجود علم لذنى يقطع علوم الشواهد فى صحة مكاشفة  
الحق إياك .

الثانى : وجود الحق وجود عين منقطعا عن مصاغ الإشارة .

والثالث : وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق فى  
الأزلية .

وفسر الشيخ شواهد من كلام الله بتعريفه ذلك التعريف الجليل الذى

---

(١) غاب : هنا بمعنى فنى عن نفسه وغاب عنها بالحقيقة .

يقول فيه لوجود اسم للظفر بحقيقة الشيء . يعنى الوجود الحقيقى العلى<sup>(١)</sup> لوجود الشيء لاظواهره التى يبدو الشيء عليها فإن وراء كل مظاهر الطبيعة من أعيان الأشياء وهيئاتها وأوضاعها عللا قانونية خفية تنتهى من نهايتها إلى علة واحدة أزلية وهى وجود الحق عز وجل ذلك الوجود المتمتع بوجود طاقة فعالة تفعل فى الكائنات خلقا وابداعا وإيجادا ثم تحويلا وتلاشيا لأن له الوجود الحق المطلق وكل وجود عدا وجوده فوجود معار لأنه وجود اعتبارى ظاهرى متحول وأما وجود الحق فهو الوجود الحقيقى الثابت الأزلى قديماً وحالاً وأبداً وكل هذا يفسر معنى قول الشيخ الوجود اسم للظفر بحقيقة الشيء وهم اسم لثلاثة معان :

المعنى الأول : وجود علم لدنى يقطع علوم الشواهد بصحة مكاشفة الحق إياك ) .

وفى الواقع أن كل العلوم حسية أو عقلية أو حدسية كلها فى الأصل كالمئة فى الفطرة ( فطرة الكون فى وضعه ) وفطرة الناظر لحقائق الكون بالعقل أو بالحس أو بالإلهام فى ذاته منذ خلقته وإنما تظهر العلوم والمعارف من عالم الإمكان إلى عالم الفعل بوسائل ثلاث وأما من طريق الإلهام والحدس وهذا الطريق هو الأعم والأوسع . وأما من طريق التفكير العقلى ويؤثر هذا التفكير أيضاً بالبيدات الأولية التى هى ضرب من الإلهام أو الحدث ثم يبنى عليها سائر ضروب الشواهد والأقيسة والمقارنات والنتائج المنطقية التى يتم بها إدراك العقل الفاعل للشيء الكائن المدرك وثلاثة الوسائل الشهود بالحس فترى الحواس الأشياء واسطه إشعاعات نورية تنبعث من الشمس المحس إلى العضو الحاس وهو البصر وكذلك

---

(١) أى أن الوجود الحقيقى هو الوجود السببى العلى الذى عن وجوده الوجودى لزم وجود الأشياء الامكانية فلا يقال لأى وجود أنه حقيقى سوى هذا الوجود .

الشم تصل إليه ذريرات دقيقة منبعثة من الشيء المشم إلى أنف الشخص  
الشام والسمع كذلك ذبذبات تتزاحم فتصدم الهواء وتسلك فيه متطوره  
حتى تصدم طبلة الأذن ومن ثم إلى الحس المشترك ثم إلى التعقل صدمات  
مختلفة ضعفا وشدة وكذلك الذوق فإنه إحساس من العصب اللساني  
باختلاف ذوق ذرات الشيء — المذاق فيتأثر به العصب الذوقي تأثرا  
مخصوصا وكذلك اللمس هو إحساس متفاوت الدرجات واقع على العصب  
اللمسي فيتأثر به تأثرا ذبذبيا حتى يصل إلى المخ ويجمع معطيات كل الحواس  
الخمس شيء في المخ اسمه الحس المشترك الذي يحلل كل رسائل الحواس  
ومحساتها ويوصل نتائجها إلى الفكر كظواهر معقولة فيعمل فيها الفكر بحثا  
عن نتائجها المعقولة لتلك الرسائل أى النتائج المحسوسة . تلك المؤثرات الآتية  
للذهن من الخارج عن طريق الحواس فتصرف العقل بها تصرفا عقليا  
لفهم نتائجها المعقولة والعقل المتفكر نفسه عبارة عن ظاهرة بكان أعمه  
منه وأعلى وذلك الكائن هو ( الذات ) الذات الإنسانى المعبر عنه حينئذ  
بالروح وحينئذ بالقلب وحينئذ بالنفس والمعبر عن معلوماته حينئذ بالإلهام وحينئذ  
آخر بالحدس أو بالذوق الذاتى وبالخاصة السادسة الخ . ومع هذا الشرح  
كله تفهم معنى قول الشيخ وحوود علم لدنى يقطع علوم الشواهد ومعنى العلم  
اللدنى هو العلم الملمهم من الذات الإلهى ينصب فى روع الذات الإنسانى  
تلقائيا من لدن الحق سبحانه وتعالى وهو أعلى العلم بل أسمى المعارف إطلاقا  
وهو معرفة يأتى دليلها قاطعا مانعا فى صحة الشواهد ثم يقول الشيخ وذلك  
بسبب مكاشفة الحق إياك وهذا الباب باب عميق آتينا فيه بما يوجه القارىء  
ظاهراً وباطناً إلى طريق شهود الحقائق الكونية الإلهية بقدر الإمكان  
والباب باب الوجود فهو أوسع أبواب المعرفة وقد عرفه الشيخ بعبارته  
البليغة التى يقول فيها الوجود اسم للظفر بحقيقة الشيء أى على ما هو عليه  
فى الواقع ثم ترقى الشيخ من ذلك كله إلى المعنى الثانى وهو يشير إلى وجود الحق  
وجود عين وجود ذاتيا منقطعاً عن مساغ الإشارة أى أن الوجود الإلهى الذاتى

ينقطع عنه كل دليل يسوغ الإشارة إليه فلا تصل إليه الإشارات ولا تدرك مداه السامى سائر العبارات وهذا الموضوع موضع حيرة الخلق من علماء وفلاسفة وطلاب للحقيقة .

وكل يدعى وصلاً بليلى وإيل لا تقر لهم بذلك

ولا تبدو إلا لقوم وجه الله ذواتهم وأرواحهم وقلوبهم للطريق الحقيقى الذى به يستدلون وبه يشاهدون فيعرفون ذلك الوجود الإلهى الحق عرفان — معاينة يتخلل بالروح والقلب لا بالإشارة ولا بالعبارة ولا بالعلم ولا بالتعبير والرسم والتفكير المنطقى والعلمى وهذا معنى قول الشيخ وجود الحق وجود عين منقطعا عن مساعى الإشارة .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه فى المعنى الثالث إنه وجود مقام اضمحلال رسم<sup>(١)</sup> الوجود فيه بالاستغراق فى الأزلية .

وبعد أن حقق الشيخ وجود الحق الذى لا تصل إليه العبارة ولا تسوغ فيه الإشارة عدل إلى معنى فيه شرط لتلك المعرفة وهذا الشرط اضمحلال رسم الوجود الاعتبارى كله أى كل وجود عدا وجود الحق سبحانه وتعالى واطمحلاله وجوداً ورسماً لاستغراق وجوده الظاهرى فى وجود الأزلية الإلهية الغيبية وهذا هو الوجود الحقيقى وصدق الله العظيم حيث يقول (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وسبحان من له ملك عالمى الغيب والشهادة وهو العلى العظيم .

وأنشدوا فى هذا المعنى للشاذلى رضى الله عنه :

أتيناك بالفقر ياذا الغنى فأنت الذى لم تزل محسناً

(١) أى الوجود الامكانى المحدث ثم الفانى والذى مآله فى الحالىن إلى مبدعه وهو الله عز وجل .

وعودتنا كل فضل عسى      يعود الذى منك عودتنا  
مساكينك الشعث قد ولّوا      بحبك إذ هو أقصى المنى  
فما فى الغنى واحد مثلكم      وفى الفقر لا عصابة مثلنا  
رأيناك فى كل أمر بدا      وليس من الأمر شيء لنا  
سترت اسمك غيره ها أنا      أموه بالشعب والمنجى  
إذا كنت فى كل حال معى      فعن كل شيء أنا فى غنى  
فأنتم هم الحق لا غيركم      فياليت شعرى أنا من أنا

### باب التجريد

قال الله تعالى ( فاخلع نعليك )

ثم قال الشيخ رضى الله عنه التجريد انخلع شهود الشواهد وهو على  
ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تجريد عين الكشف عن كسب اليقين .

والدرجة الثانية : تجريد عين الجمع عن درك العلم .

والدرجة الثالثة : تجريد الخالص عن شهود التجريد .

وخلع النعلين فى اصطلاح أهل طريق الله معناه خلع الكونين عن  
عين القلب والكونين هما : الكون الدنيوى والكون الآخروى وهذا يعنى  
انخلع القلب عن شهود الشواهد الآتية من الكون بشهود الحقيقة ثم قال  
وهو على ثلاث درجات .

الدرجة الأولى : ( تجريد عين الكشف عن كسب اليقين ) وذلك  
التجريد يكون بالاستغناء عن اليقين المكسوب بالعلم والشواهد المسمى علم  
اليقين وهو اليقين المكسوب بالتعلم سماعا أو اطلاعا لأن هذا إن نفع فى

البدايات فلا يصلح للنهايات والمراد استبداله باليقين الحق المشهود مشاهدة  
وعيانا وهو عين اليقين .

ثم قال والدرجة الثانية ( تجريد عين الجمع عن درك العلم ) وذلك أن  
صح للسالك في طريق الله لا يصلح للواصل إلا بالشهود الخالص لعين اليقين  
أو لحقه حيث جرد عرفانه الناشئ عن الكشف والعيان لعين الجمع عن  
درك العلم في الدرك معنيان : أما عن درك العلم له بالنسبة لدرجة العيان وهو  
المعنى الثانى لعله يريد أن السالك إذا تحقق بعين اليقين نزاهة ذلك الشهود العيانى  
عن أن يدرك العلم المعروف وهو شأن الدرجة الأولى أى درك العلم بعين  
اليقين المكسوب كسبا لاشهودا .

ثم قال والدرجة الثالثة : تجريد الخلاص أى تجريد هذا الخلاص  
بالارتفاع والتسامى الحاصلين عن شهود عين لليقين أو حق اليقين فيريد  
الشيخ ويطلب من السالك لطريق الحق تجريد هذا الخلاص عن شهود  
التجريد أى حتى تجريد ، عن شهود أنه يشهد ذلك التجريد وذلك لى  
لا يكون شاهد ومشهود ثم فناء هذا الشهود فى الحقيقة المشاهدة وذلك  
يسمى عند القوم تجريد الشهود .

وأنشدوا فى هذا الباب :

برزت سليمى من أثناء المخيم	فأرتنا البدر من تحت اللهم
وحدا الحادون لما أبصروا	وجهها فى الليل صبحا قد ألم
فعدرناهم وليس عجيبا	أن يرى وجه لسلمى فى الظلم
كضياء الصبح أو بدر الدجى	وجهها أكمل نورا وأتم
لورآها البدر انتفى راجعا	خجلا من وجهها واحتشم



ولورأتها الشمس لم تطلع ضحى ثم صارت حدين هم وندم  
عذبت قلبي بهجران به عذبت العشاق قبلي في القدم

\* \* \*

## باب التفريد

قال الله تعالى ( ويعلمون أن الله هو الحق المبين ) .

قال الشيخ رضى الله عنه التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ثم  
بالحق ثم عن الحق .

وقال أما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات :

تفريد الإشارة بالافتخار بوحا وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعة  
وتفريد الإشارة بالقبض شيرة .

وأما تفريد الإشارة عن الحق : فانبساط ظاهر يتضمن قبضا خالصا  
لهداية إلى الحق والدعوة إليه .

أما شاهد الشيخ فى الآية فهو أن الله هو الحق الأعلى المبين الواجب  
له التفريد ثم قال الشيخ التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق أى تخليص  
كل ما يشير إلى الحق بالإشارة أو بالعبارة من جوب الرسوم (المجاز)  
ومحدودية الإشارات وضيق العبارات وذلك يكون بالحق نفسه وهو  
المعرف والموصل والهادى إلى طريق الصواب فإذا ارتفعت الهمة إلى  
التعريف للحق بهذا المعنى كان ذلك التعريف عن الحق الهاما أو ارشادا  
أو هداية ثم قال الشيخ . أما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات :  
وقد قسم الشيخ ذلك التفريد إلى ثلاثة ضروب : تفريد القصد من السالك  
شوقا واهتماما وذلك ما عبر عنه الشيخ بالعطش وقال ثم تفريد المحبة قلما  
أبى أن السالك لا يصل إلى مثل هذا المقام إلا بتفريد المحبة قلما أى شوقا

ونزوعا عن الأغيار والرسوم إلى الحقيقة فإذا وصل إلى مقام الشهود وجب عليه تفريد ذلك الشهود اتصالا يقينيا بالحق عز وجل وهذا الاتصال باليقين أى بحق اليقين لا يترك للسالك سبيلا للتعريح على الأغيار والرسوم التى هى حجب عن ذلك التحقيق والكشف ثم قال الشيخ وإما تفريد الإشارة بالحق فعلى ثلاث درجات : تفريد الإشارة بالافتخار بوحا أى يعتز ويفتخر فى نفسه بفضل ربه بوحا ومرورا وهذا نخر ذاتى فى الشخص بحاله وليس نخرأ على غيره من الناس بما هياؤه الله من التقريب ثم قال وتفريد الإجارة بالسلوك أى تفريد الإشارة إلى الحق بواقع السلوك مطالعة لاعلماء ولا وصفا ولا نخرأ .

ثم قال وتفريد الإشارة بالقبض غيره أى تفريد إشارته إلى الحق بالتقصى عما سوى الله شهودا فيخفى مامن الله عليه به عن البوح به غيره .

ثم قال وأما تفريد الإشارة إلى الحق فانبساط ببسط ظاهر أى انبساط فى حضرة الحق لوجود الشهود على أن يكون هذا البسط متضمنا قبضا فى الظاهر قبضا خالصا من البسط خاص أهل الهداية إلى الحق وذلك القبض يعبر عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذان هما أقرب إلى القبض منهما إلى البسط ولذلك جعله الشيخ قبضا للهداية إلى الحق ( أى لأجل ) الدعوى إليه دعوة خالصة لوجهه تعالى .

وأنشدوا :

تجلت لوحداية الحق أنوار	فدلت على أن الجحود هو العار
وأغرت بداعى الحق كل موحد	بمقعد صدق ولحبذا الجار والدار
وأبدت معانى ذاته بصفاته	فلم يحتمل قلب المحبين انكار
ترأى لهم فى الغيب جل جلاله	عينا فلم يدركه سمع وأبصار
معان تعقل العقل والعقل ذاهل	فاقباله فى بزخ هذا البحث أذار

وكيف يحيط الكيف بمقدار حده	وليس له في الكيف حد ومقدار
وأين محل الأين منه ولم يكن	مع الله غير الله عين وآثار
فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه	ويلقاه رهن الذل من هو جبار
ومن كل شيء خاضع تحت قهره	تصرفه بالطوع والقهر أقمدار
أضاء قلوب العارفين بنوره	فباحث بأحوال المحبين أسرار
فذاك الذي نضرع إليه توكلنا	ويعصى وهو بالحلم ستار
فايدى الرجاء يقرعن أبواب جوده	فتمحى أساءات وتغفر أوزار
تسبح ذرات الوجود بحمده	ويسجد بالتعظيم نجم وأقمار
ويبكي غمام الغيث طوعا لأمره	فتضحك مما يفعل الغيث أزهار
إلهي أذقني برد عفوك واهدني	إليك بما يرضيك فالدهر غدار

\* \* \*

## باب الجمع

قال الله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ثم قال الشيخ الجمع ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة وشخص عن الماء والطين بعد صحة التمكن والبراءة من التلوين والخلاص من شهود الاثنية والتفاني عن الإحساس بالاعتلال والتفاني عن شهود شهودها وهو على ثلاث درجات .

جمع علم ثم جمع وجود ثم جمع عين فأما جمع العلم فهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفا وأما جمع الوجود فهو تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود محقا وأما جمع الجمعين فهو تلاشي كل ما نقلته الإشارة في ذات الحق حقا والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد .

أما شاهد الشيخ في الآية فراده أى مراد الله والفعل كله عائد إلى الله في الحقيقة حيث لأفعال في حقيقة الأمر سواء .

وأما قول الشيخ الجمع ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة وشخص عن الماء والطين فمعناه أن الجمع نقيض التفرقة ضرورة فإذا حصل شهود الجمع سقط تلوين التفرقة وبهذا يقطع الجمع كل إشارة إليه لأن الإشارات متفرقات متفاوتات والإشارة إلى عين واحدة والجمع يسقط التفرقة ويقطع الإشارة متى ؟ إذا شخص المشاهد لهذا الجمع عن الماء والطين أى فارقة أعراضا وترفعاً عنه والتورية بالماء والطين هنا إشارة إلى الجسد ومنه إلى سائر الأجسام والأشياء المكونة من ماء وطين ومتى يشخص الإنسان في معرفته وشهوده عن الماء والطين أعراضاً — إذا صح التمكن وأصبح السالك في مقام التمكن وبذلك تحصل له البراءة التامة من التلوين كما يقول الشيخ رضى الله عنه ، وبهذا وذاك يحصل للسالك الخلاص من شهود الاثنينية وهى نقيض التوحيد وفيها مباينة الحقيقة وخطأ المعرفة واستحكام الحجاب والمراد بالاثنينية هنا أن يرى العبد التأثير للأسباب في الوقت الذى يشهد المسبب فترى فعلاً لله وفعلاً لخلقهِ وفعلاً لنفسه فتأثيراً لغيره وهكذا والمراد في الإسلام والإيمان والإحسان أى في الشريعة والطريقة والحقيقة هو التوحيد الخالص الذى جاء به محمد بن عبد الله رسول الله من عند الله فالنوحيد الخالص يخلص من التنافى والاعتلال واستحكام الحجاب ويجمع التفرق ولا يحدث هذا إلا بتخليص الإحساس والشعور واليقين القلبي للسالك من ذلك التنازل والتنافى خلوصاً إلى شهود التوحيد .

ثم قال الشيخ وهو أى الجمع على ثلاث درجات .

جمع علم ثم جمع وجود ثم جمع عين وعرف الشيخ ما وضعه تحت تلك الدرجات من ألفاظ فعرف الجمع الأول بأنه جمع علم أى العلم بمقام الجمع

وليس شهوده بعين اليقين أو بحقه وهذا وأن أحدث العلم بالطريق فهو لا يحدث وجود الشهود اليقيني الحق . وقال الشيخ ثم جمع الوجود وهو الجمع الموصل للحقيقة لما فيه من قوة الشهود وعرفه بأنه تلاشى نهاية الاتصال بالخلق في عين الوجود لأن السالك إذا وصل لمقام شهود الوجود الحق تلاشت في منهج عرفانه معانى الاتصال والانفصال والقرب والبعد محققا كليا لتصحيح اليقين بشهود عين الوجود ثم قال وأما جمع العين فهو ( تلاشى كل ما تقله الإشارة في ذات الحق حقا ) وذلك لأن شهود اليقين مبين للإشارة ويفنى فيه المشاهد في المشهود وهذا إن أضيفت إليه الإشارة لا يخلو من معانى الاثنية ولو على صورة رمزية وذلك بسبب وجود الرسم رسم المشاهد مع وجود المشهود ولهذا السبب وصف الشيخ جمع العين بأنه تلاشى أى الملائشة لكل ما تقله أى ما تحمله الإشارة الناشئة عن وجود الرسم فتلاشى ذلك في ذات الحق حقا هو الكمال أى كمال المعرفة ولذلك قال الشيخ والجمع أى وهذا الجمع الممشود هو غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد أى ساحله الذى يردده من يخوض بحر التوحيد حتى يصل إلى الفرق إلى أن يحصل الصحو وهو فيه الكمال وهو مقام الجمع الحقيقى فيصبح السالك المعان لكل هذا بعين الصحو والتمكين عارفا حقا — ومشاهدا للحق صدقا .

وأنشدوا فى أول هذا المقام من قول أبى الحسن الصباغ :

بقائى فناء فى بقاءى مع الهوى	فياويح قلب فى فناء بقاءه
وجودى فناء فى بقاء فانى	مع الأنس يأتينى هنيئا بلاؤه
فيا من دعا المحبوب سرأ لسره	أتاك المنى يوم اللقاء بقاءه
وأنشدوا فى منتهى هذا المقام	

الله ربى لا أريد سواه      هل فى الوجود الحق إلا الله

ذات الإلهى الحق فيها قوام ذواتنا هل كان يوجد غيره لولاه  
لا غرو فى أنا رأيناه به فالنور يظهر ذاته فتراه  
فالسالكون مشاهدون لصنعه مستغرقون بفكرهم فى ضياه  
والعارفون مشاهدون لذاته حتى كأن قلوبهم مشواه  
يا غائبا والحق فيه حاضر أنغيب عنه وما شهدت سواه  
من لم يشاهد بالبصيرة ذاته فلقد أحاط به حجاب عماء

\* \* \*

## باب التوحيد

قال الله عز وجل ( شهد الله أنه لا إله إلا هو ) .

وقال الشيخ رضى الله عنه التوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد .

ثم قال التوحيد على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : توحيد العامة . وهو الذى يصح بالشواهد .

الوجه الثانى : توحيد الخاصة . وهو الذى يثبت بالحقائق .

الوجه الثالث : توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة .

فأما التوحيد الأولى : فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحاد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبله وبه وجبت الزمة وحققت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر وصحت به الملة من

العامّة وإن لم يقرمو بحر الاستلال بعد أن سلخوا من شبهة و حجة  
والريّة بصدق شهادة صحح قبر غيب ( لا إله إلا الله محمد رسول الله )  
وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد والشواهد هي الرسالة  
والصنائع الإلهية التي تجب بالسمع ونزج بصير الحق تعالى وتنمو على  
مشاهدة الشواهد .

وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالاحتائق فهو توحيد الخاصة وهو  
إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات عقول وعن التعلق  
بالشواهد وهو ألا يشهد في التوحيد دليلا ولا في التوكل سببا ولا في النجاة  
وسيلة فيكون مشاهدا لسبق الحق تعالى للعقل بحكمه وعنه ووضع  
الأشياء مواضعها وتعلقه إياها بأحاديثها وإخفائه إياها في رسومها ويحقق  
الموحد معرفة العلل ويسقط سبيل إسقاط الحدث وهذا توحيد الخاصة الذي  
يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلى توحيد أهل الجمع .

وأما التوحيد الثالث فهو توحيد من اختصه الحق تعالى لنفسه واستحقه  
لقدره وألاح منه لا تحا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم من نعمته  
وأعجزهم عن بثه والذي يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث  
وإثبات القدم على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد عليه لا يصلح التوحيد  
إلا بإسقاطها وهذا قطب الإشارة على ألسن علماء هذا الطريق وأن زخرفوا  
له نعوتها وفصلوا فيه فصولا فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاء والصفة  
نفورا والبسط صعوبة وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضات وأرباب  
الأحوال والمقامات وإليه قصد أهل التعظيم وإياه عنى المتكلمون في عين  
الجمع وعليه تصطلم الإشارات ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة  
فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكنون أو يتعاطاه حيز أو يقله سبب وقد  
وأجبت في سالف الزمان سائلا سألني عن توحيد الصوفية بهذا القوافي  
الثلاث نظاما .

ماوحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد  
توحيد من ينطق عن نعتيه عبارة أبطلها الواحد  
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعت لا أحد  
ثم قال الشيخ رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم استشهد الشيخ في أول هذا الباب : باب التوحيد بقوله تعالى ( شهد  
الله أنه لا إله إلا هو ) ووجه استشهاده واضح ظاهر بل أظهر من الظهور  
وأبين من كل شيء وضوحاً لأنه الحق ثم عرف الشيخ التوحيد بتزييه الله  
تعالى عن الحدث أى أفراده سبحانه وتعالى بالوجود الحق وشهادة أن كل  
ماسواه فى مجموعه إنما هو حادث مخلوق بإرادته وفعله وبخصائص أسمائه  
وأفعاله ولذلك فلا يصح الوجود الحق إلا له سبحانه وتعالى ولهذا نفسه قال  
الشيخ وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا  
الطريق بقصد تصحيح التوحيد أى التوحيد الصحيح الخالص من كل ضروب  
الشك والشرك ثم قال والتوحيد على ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : توحيد العامة ويريد بالعامة سواد الناس وغالبيتهم وهو  
الذى أى ذلك التوحيد يصح بالشواهد وهذا هو الوجه الأول .

ثم قال والوجه الثانى : توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق أى  
الحقائق المشهودة فى الكائنات للقلوب والعقول لا بمجرد الشواهد والأفكار  
القائلة بثبوتها بل بالحقيقة مع اليقين بها .

ثم قال والوجه الثالث : توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة  
وذلك التوحيد قائم فى القلوب بموجبات الفطرة السليمة والبصر القلبى  
الموجب لاستكشاف الحق الخالص المنحجب بأستار المظاهر الوجودية ولذلك  
كان هذا التوحيد أى التوحيد فى الوجه الثالث قائماً بالقدم أى مستمداً



بواسطة نور الله القديم المنشع في الفطر السليمة والقلوب المستقيمة وذلك في سائر ضروب الفطر وكل على قدر استعدادده واستمداد صحة المعتقد من ساطع نور الحق .

ثم قال الشيخ فأما التوحيد الأول : فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم قال هذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وحقت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر وبه صحت الملة من العامة وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب ثم قال هذا توحيد العامة الذى يصح بالشواهد والشواهدى الرسالة والحقائق الوجودية وقد وجدت بالسمع وتبصير الحق تعالى وتنمو على مشاهدة الشواهد .

هذا أما قول الشيخ : هذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة إلى قوله وصحت به الملة من العامة فهو قول ظاهر جاء به الدين الحنيف ونطقت به أصوله كتابا وسنة .

ثم قال ( وأن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب ) إنما سلموا من الشبهة والحيرة والريبة لأنهم سلموا مع الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الذى لا شريك له ولا نظير وهى الشهادة الصحيحة التى عبر عنها الشيخ بصدق الشهادة تلك الشهادة التى صححها قبول القلب لها فلا تحتاج إلى الشواهد وذلك لأنها شهادة جملت عليها القلوب وسقيت بها الفطر منذ مغرسها وهذا القول السليم يتضمنه قول الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فى سنته المطهرة حيث قال ( كل مولود يولد على دين الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الشيخ وهذا توحيد العامة أى توحيد العموم

المغروس في الفطرة والذي يصح بالشواهد . ثم عرف الشيخ تلك الشواهد بأنها الرسالة والصنائع أما الرسالة فهي رسالة الإسلام كما هو معلوم وأما الصنائع فيريد بها الشيخ صنع الحق في إيداع الخلق : تلك الشواهد والدلائل التي وجبت بالسمع أي بما جاء مسموعا عن الله ورسوله في الملة الإسلامية ثم قال الشيخ وتوجد بتبصير الحق تعالى وذلك لموافقة بصيرة القلب لما جاء من عند الله من الحق وهي الشهادة الخاصة المخلصة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ( ولذا كان الاعتقاد بتلك الشهادة ينمو كما يقول الشيخ على مشاهدة الشواهد والدلائل ( وهي القرآن ) التي تدل عليها وتشهد بصحتها .

ثم قال الشيخ رضى الله عيه وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق أي بالحقائق الغيبية المهمة الملزمة لأنها تهبط من الله على القلوب السليمة فتوقن بها ولسلامة القلب بالنسبة للمعتقد السليم أهمية كبرى وحسبك أن وصفها الله تعالى في كتابه بقوله ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) أي سليم من سوء المعتقد وسوء الظن وسوء الخلق وسوء السلوك نحو الحق وذلك التوحيد قد وصفه الشيخ بأنه توحيد الخاصة وهو بالضرورة أشد خلوصا وبيانا من التوحيد الأول الذي قام بالشواهد والأدلة وأما هذا فإنه قام على السلامة والتسليم سلامة القلوب كما يقول الشيخ من رؤية للأسباب الظاهرة أي إسقاط رؤيتها مع واقعيتها والأسباب الظاهرة كزرع الزارع وعلاج المعالج وهبة الواهب وما إلى ذلك على أن الزارع في الحقيقة والشافى هو الله والواهب هو الله وما بقى فأسباب هو مسببها وخالقها وهذا معنى إسقاط الأسباب الظاهرة في قول الشيخ وهو إسقاط رؤيتها واقعا بجانب الحق لأنها أسباب بإيجاد الحق موجوده فالثمة موجودها ومسببها . وبهذا التوحيد كما يقول الشيخ يحصل الصعود في منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد لأن الشاهد هنا لا يشهد في التوحيد دليلا كما يقول

الشيخ ولا في التوكل سببا ولا في "نجاة وسيلة وذلك لأن الدليل هنا حاسر بإخبار الله تعالى والتوكل هنا توكل على الله لا على السبب والنجاة هنا تدعو إل خالق الوسيلة لا إلى الوسيلة المخلوقة وبهذا التوحيد وذلك يكون المشاهد والموحد ناظرا في سائر الأسباب بسبق الحق تعالى بحكمه وعلمه وبالنظر إلى وضعه الأشياء في مواضعها وتعليقه إياها بأحاديثها وإخفائه كما يقول الشيخ إياها في رسومها أى الرسوم القائمة بها وبهذا يحقق المشاهد المستدل معرفة العلل والمعلولات فيسلك بذلك سبيل إسقاط الحدث وهو توحيد الخاصة الذى يصح كما يقول الشيخ بعلم الفناء أى فناء ما يزول في ظل بقاء من لم يزل وليس هذا فقط وإنما يصفونه أيضا مقام الجمع ولنوضح هنا للقرارىء ولو بألفاظ قليلة بحسب المقام معنى الفناء والبقاء والجمع فنقول :

أما الفناء : فهو فناء ما سوى الله في بقاء الله لأنه أوجد بالله حين أوجد ويفنى في أفعال الله حين يشاء الله له أن يفنى وبذا يتضح لنا أن البقاء الحق هو لله عز وجل .

وأما البقاء : فيوضحه معنى الفناء . لأنه نقيضه وأن كل فان لابد له في إيجاد من طرف باق هو علمته وذلك الطرف هو فعل الله وإبداعه وبهذا يعود بقاءه إلى بقاء الله ووجوده إلى وجود الله وما عدا ذلك فيضاف إلى الفناء لأنه سيفنى وهذا الذى قلناه يوضح معنى الفناء والبقاء .

وأما الفرق والجمع ، فالجمع كل ما ينسب إلى الحقيقة الجامعة وهو وجود الحق عز وجل والفرق هو كل ما تفرق من الأسباب أو العلل والمعلومات كفلان نفعنى وآخر ضررنى وطبيب عالجنى ومريض عداننى فأمرضنى وزيد أنعم على وعمر وسلبنى نعمتى .. الخ وهذا كله فرق وهو بحث عن الأعراض والرسوم وجعل المعلولات عللا والوسائل أصولا وذلك تشتت وتفرق في الحقيقة فهو بالضرورة نقيض الجمع .

ومن معاني الجمع جمعية القلب على الله بإسقاط رؤية النفس وما تقتضيه تلك النفس من رسوم فانية ومن تعلق بها يتفرق عن الله ومن حاربها وتخلص منها يجمع عليه بقلبه وهذا معنى سلوك طريق الله ومحتواه إرادة السلوك والسير حتى ينخلع السالك عن رؤية الفرق إلى التحقق بشهود الجمع فيتخطى بذلك المقامات التي أولها التوبة وآخرها الرضى ثم الأحوال التي أولها الشوق وأوسطها الحب وآخرها الجمع بعد الفرق وهذا هو التوحيد الثاني في رأى الشيخ وهو ممد إلى التوحيد الثالث الذى هو أرق ذاتاً وموضوعاً من توحيد العامة ومن توحيد الخاصة وقد قال فيه الشيخ أما التوحيد الثالث فهو من توحيد من اختصهم الحق تعالى لنفسه واستحقاقهم لقدره أى توحيد لا يعلمه إلا هو قد استحقه بكمال وجلاله وذلك ما يجعله له قدراً ولهم مستمداً من عظمته المتوحدة بحيث لا يصل إليه علم أو معرفة لاختصاص الحق به لنفسه وفقط يلوح منه لائح إلى أسرار طائفة من صفوته أى أحبابه . الذين تقدم ذكرهم اختارهم لمعرفة فهم أولياؤه وأصفياءه أزلاً ومن قبل خلقهم . وقال الشيخ وأخرسهم عن نعمته وكيف ينعوتون شيئاً اختص الله به ذاته وأعجزهم ضرورة عن بثه لغيرهم إلا بالإيحاء والإشارة والرمز ثم قال الشيخ والذى يشار به إليه عن ألسن المشيرين أى وكل ما يشار به من كلام تلك الطائفة إنما هو منحصر فى إسقاط الحدث وثبات القدم رمزاً أو تورية لأنه أمر لا تصل إلى حقيقته العبارة ولا تشير إلى تحقيقه الإشارة لما تقدم من أن الله اخنصه بوسع علمه . ولذا قال الشيخ على أن هذا الرمز فى ذلك التوحيد علة لأنه استعارة يراد بها أمراً غير ما تشير إليه فى ذاتها فلا يصح ذلك التوحيد كما يقول الشيخ أى التوحيد الخالص إلا بإسقاطها أى الإشارة والتورية وهى علل تم قال الشيخ وهذا قطب الإشارة إليه أى التجريد على ألسن علماء هذا الطريق أى أنهم حينما يشيرون إليه بعبارة أو بإشارة يعلمون أنهم يستعملون التورية والمجاز فى ذلك لأن الإشارة وهى دالة على الحس والعبارة وهى تضيق عن التعبير عن

ذلك المعنى الإلهى المتسامى هم يعلمون حق اليقين أنها لا تصل إلى هذا المقام بالذات وإنما هى تعبير مجازى عن حقيقة أسمى من جميع الحقائق وجامعة لها ثم قال الشيخ وإلى هذا التوحيد أى وإلى مثل هذا التوحيد الخالص يخص أهل الرياضات والأحوال والمقامات ومعنى شخصوا أى توجهوا أو يقصدوا ثم قال وأرباب الأحوال والمقامات أى قصد إليه أيضاً أهل التعظيم، وإياه عنى المتكلمون فى عين الجمع وعليه تصطلم الإشارات ومعنى الإصطلام هنا التصادم والتنازع ثم لم ينطق عنه لسان أى عن حقيقة الذاتية لعدم تمكنه وأنها حقيقة الجمع والتوحيد الحق ولم تشر إليه عبارة ولن تصل إليه الإشارة ثم يقول الشيخ فإن التوحيد الحق وراء ما يشيرون إليه وهذا ما وضعناه سابقاً من قولنا إن الإشارة إلى هذا المقام لا تنأتى لمشير إلا من طريق المجاز أو التورية ولذا قال الشيخ إن هذا وراء ما يشير إليه مكون أى مخلوق صاحب حيز أو يقبله سبب لأن هذه الأمور كلها تسقط عند تفريد الجمع وجلال التوحيد ولا يبقى من ذلك كله سوى نور البصيرة وهداية الحق .

وهذا يعزرون إلى الشيخ رضى الله عنه وهو الفقيه المفسر الصوفى الداعى إلى الله على بصيرة : يعزرون إليه ثلاثة أبيات لا نطن إلا أنها مدسوسة عليه لأن — القارىء فضلاً عن مقام الشيخ فى العلم بالشرعة والحقيقة قد صاحبتنا أى القارىء فى رحلة شرح كتابه ( منازل السائر إلى الحق ) وقد أحس القارىء معنا بعلو كعبه فى العلم الدينى والمنهج الصوفى ثم يعزرون إليه أبياتاً لا تنأتى إلا من حلولى قائل بوحدة الوجود فى توحيده أى جمع الخالق والمخلوق فى كيان واحد أو حلول الخالق فيما خلق وإلى القارىء الأبيات التى زعموا أن الشيخ جعلها رداً على سائل سأله وهى : —

ما وحد الواحد من واحد      إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته      عبارة أبطلها الواحد

توحيدہ ایماء توحیدہ ونعت من ینعتہ لاحد

هذا وكنا نجد للآيات مصوغا لو اعتبرنا أن قائلها يريد بها تنزيه الحقيقة الإلهية عن كل عبارة نعت على أن الكتاب ( القرآن ) بل الكتب السماوية كلها يكون توحيد من ينطق عن نعتة عبارة أبطالها الواحد . وقد علمنا تلك الصفات والخصائص من نعت الكتب الإلهية لها ولا سيما القرآن الكريم وكيف يكون كل من وحد الواحد جاحداً والدين الإسلامى والشيخ إمام فيه قد قام على هذا التوحيد فكيف يكون ذلك حالة أن الشيخ من أئمة المفسرين وكان يوماً شيخاً للإسلام وأنه من أهل السنة أيضاً وحنفى المذهب . فإذا صح في الآيات الثلاثة شطرا واحدا وهو ( توحيدہ ایماء توحیدہ فانه يعكسه عن تلك الصحة شطره الآخر وهو قوله ) ( ونعت من ینعتہ لاحد ) والنتيجة أن شيخ الإسلام ابن إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى المفسر الفقيه الحنبلى الصوفى برىء من مثل هذه الآيات وأمثالها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ويكون قد وضع الآيات ودسها على الشيخ أحد الشواذ من حلولى الصوفية — أو القائمين بوحدة الوجود أى وحدة الخالق من الحق . وهذا خطأ اقتبسسه المتأخرون عن الفلاسفة اليونانيين وعن الأفلاطونية الحديثة أو البوذية الهندوكية أو المجوسية الفارسية بالذات وهى نحلة من شواذ المتصوفة أو عقيدة يبرأ منها أهل طريق الله ونزه عنها والسكى يرى القارىء فى الختام الفرق بين التوحيد الصوفى الإسلامى الحق والتوحيد الحلولى الوجودى فيقول : إن توحيد الكمل من أئمة الصوفية والواصلين إلى الحق إنما هو توحيد للشهود لا للوجود ( ومعنى توحيد الشهود أفراد الحادث من القدم وتنزيه الذات عن الملابسة والاتياس ) وتجريد لذات الحق من النماذج المشوبة بالخلق عدا الصلة الخاصة : صلة العبد بالرب والمخلوق بالخالق والمحب بالمحبوب ثم شكر معتنق النعم للمنعم عليه وعبادته وحبه وتقدير آلمنته وفضله ونعمه وأفضلها جميعاً التوحيد الخالص الذى جاء

به الإسلام (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

هذا وقد أنشد العارفين بالله السكمل قائلا:

هوت المشاعر والمداد	رك عن معارج كبر بائك
يا حي يا قيوم قد	بهر العقول سنا بهائك
أنتى عليك بما علمه	ت وأين علمى من ثنائك
متحجب فى غيبك الأ	سمى منيع فى علائك
وظهرت بالآثار والأ	فعال باد فى جلائك
عجبا خفاؤك أو ظهو	ر من خفائك
ما الكون إلا ظلمة	قبس الأشعة من ضيائك
وجميع ما فى الكو	نين مستمد من بقائك
وكل ما فيه فقـ	ير مستمىح من عطائك
ما فى العوالم ذرة	فى جنب أرضك أو سمائك
إلا ووجهتها إله	ك بالافتقار إلى غنائك
إنى سألتك بالذى	جمع القلوب على ولائك
نور الوجود خلاصة الكو	نين صفوة أنبيائك
ألا نظرت لمستغيث	عائد بك من بلائك

ونختتم هذا البحث أخيراً بما أنشده أحمد بن عطاء الله السكندرى بين  
يدى أبى العباس المرسى رضى الله عنهما فى حقيقة المعرفة بمعرفة الواصلين  
إلى حضرة رب العالمين يوصى بها السالكين :

خذ من كلامي ما يلد جنائ	وينم كالمسك العبيق شذاه
ذكر الإله الزم هديت لذكره	فيه القلوب تطيب والأفواه
واجعل حلاك تقاه إن أخا الحجى	ياصاح من كانت حلاه تقاه
ولتعمل الأفكار فى ملكوته	مستغرقا فى الكشف عن معناه
ولتخلع النعلين خلع محقق	خلوا من الكونين فى مسراه
وإذا بدأ فاعلم بأنك لست	كلا ولا أيضا تكون سواه
سيان ما اتحدا ولكن هاهنا	سر يضيق نطاقنا عما هو
أنى يغيب وليس يوجد غيره	لكن شديد ظهوره أخفاه

تم بعون الله وتوفيقه



## نسب سيدنا ومولانا السيد محمود أبو الفيض

المنوفى رضى الله عنه

الحمد لله الذى شرف آل بيت نبينا وجعل لهم نوراً ساطعاً وبرهاناً  
منيراً وألبسهم خلع البهاء والسكال وحلاهم بالتقى وحسن الخصال ومدحهم  
فى كتابه العزيز الذى أنزله على جدّهم صلى الله عليه وسلم فكان للناس بشيراً  
ونذيراً وتعظيماً لشأنهم وتوقيراً قال تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس  
أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) نحمده سبحانه الذى شرفنا بهم وجعل شيخنا  
رضى الله عنه من أصلاهم ومن أسباط النبی وذريته وجعلهم وارثين لنوره  
الذى خصص بعترته الطيبة الطاهرة وهدانا إلى العمل بكتاب الله وسنته وأتم  
نعمته علينا ورضى لنا الإسلام ديناً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له شهادة عبد مقصر فى شكره ضعيف عن حمل أمانته إلا أن يعينه ويؤيده ،  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين  
كله ذلك النبي الكريم الذى كان لحنانه وتعاطفه وتودده وتواضعه يحمل  
أحياناً الحسن والحسين على ظهره أو يحاسهما على حجره وعلى آله الذين صدقوا  
ما عاهدوا عليه الله ولم يغيروا تغييراً .

وبعد فهذه نسبة علوية وشجرة قرشية أصلها ثابت فى الأرض وفرعها  
فى السماء .

وقد جعل الله شيخنا بفضلله وعنايته وبرحمته منه فرعاً من تلك الشجرة  
الزاهرة وهذا نسبه رضى الله عنه مستخرجاً من بحر الأنساب المودع بنقابة  
الأشراف . فهو السيد محمود أبو الفيض وأخوه إبراهيم وحسن أبناء السيد  
على بن السيد عمر بن السيد إبراهيم أو ماضى بن السيد ماضى بن السيد موسى  
ابن السيد جعفر بن السيد الأمير حمد بن السيد أبو الجعافر بن السيد يوسف  
المغربى بن السيد إبراهيم بن السيد عبد المحسن القاسى بن السيد حسن بن السيد

محمد بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد عيسى بن السيد على التقي بن السيد الإمام محمد المهدي بن الإمام حسن العسكري بن السيد على الهادي بن السيد الإمام على الرضا بن السيد الإمام موسى الكاظم بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام محمد الباقر بن السيد الإمام على زين العابدين بن السيد الإمام الحسين بن أبي طالب وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### مولده رضى الله عنه

ولد أستاذنا ومولانا السيد محمود أبو الفيض المنوفى بمدينة منوف من مديريات مصر ومن عائلة تنتمى إلى السادة الأشراف عن طريق سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها . ولد فى ٢٣ ذو القعدة عام ١٣٢١ هـ الموافق ٣١ مايو ١٨٩٢ م ونشأ فى بيت علمى وكان والده من كبار رجال الأزهر والقضاء وعمه كان من كبار رجال الله الصالحين ومن صلاح الأسرة وهبوا المولود وهو سيدنا ومولانا السيد أبو الفيض المنوفى « الله » ولما وجد فيه من مخايل الخير والميل للحق ولذلك بحث عن أحد كبار مشايخ الطرق إلى الله فى كل مكان ليبايعه لأن الله أمره وأخبره باسمه ومكانه فى المنام بواسطة النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه واستأذن والده فى مبايعة نجله الكريم على عهد الله وميثاقه فرحب الوالد وأذن له بكل سرور وكان يومئذ سيدنا ومولانا صغيرا فبايعه الشيخ وباركه وأوصى والده خيرا بولده المبارك ومن هنا وجهته العناية الإلهية إليها . فأحب الحقيقة ففى وتعرف إليها شابا . وأتاه الله الحكمة كهلا وتراعات له أعتاب الألوهية شيخنا ولا مطلب له من الله فى الدارين إلا تمام العفو والعاقبة والرضى الإلهى فى الحياتين وذلك حسبه وكفى . فهذا هو المنى والحمى والسعادة العظمى

فاللهم اعطه ما سأل فهو أكرم الخلق علينا في هذا العصر وأكرمنا بكرامته  
وبارك لنا فيه كما باركت على سيدنا محمد وعلى آل محمد يارب العالمين .

فالسيد محمود أبو الفيض المنوفي أول داع في الديار المصرية بعد جمال  
الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده للإصلاحين الدينى والاجتماعى وأول مؤسس  
مجلة إسلامية فى ذلك العهد حيث لا مجلات ولا جماعات إسلامية وهى مجلة  
لواء الإسلام عام ١٩٢٢ وأن الأزهر بعد صدور لواء الإسلام بمدة أصدر  
نور الإسلام ثم مجلة الأزهر ثم أصدر الأستاذ أمين عبدالرحمن مجلة الإسلام  
بعد ذلك وقد عين سماحة مؤسس الفيضيين شيخنا لعموم السادة الفيضية  
شيخنا لعموم السادة الفيضية الشاذلية بالبلاد المصرية حين ذاك وكان يعقد  
المحاضرات بدار الفيضيين بشبرا بشارع الترعة البولاقية ويحضرها صفوة  
الفضلاء من أولى التصوف والعلم والأدب وذلك من عام ١٩١٨ إلى عام  
١٩٢٦م وفى عام ١٩٢٧م أسس الكلية الصوفية والفلسفية بعمارة زغيب  
بميدان الأوربا بالقاهرة إلى عام ١٩٣٣م وأهداها السيد الأستاذ إلى أحمد  
حمزة ثم أصدر بعدها « مجلة البهلول » وهى مجلة فى ظاهرها التنكيت وفى  
باطنها الحكمة والتنبكيت ثم أصدر بعدها « العالم الإسلامى » وتصدر إلى  
الآن . وهى مجلة دينية علمية فلسفية تجمع بين هدى الإيمان ونور العرفان ،  
والتوصل بقراءها الدائمين إلى المعرفة الحققة فضلا عن أنها لسان حال الطرق  
الصوفية قبل إصدار مجلهم المعروفة وبعد إصدارها صارت معاونة لمجلتنا  
فى مضمار الخير . والآن نذكر لكم أيها السادة طرفا من أخلاقه وبعض  
تجايده بقدر ما نستطيع وكذلك بعضا من آدابه وحكمه وأقواله النفسية  
والأخلاقية والدينية والعلمية والصوفية وكذلك عن تعبيره عن الحقيقة  
الكبرى فى ( كتاب الوجود ) وكتاب ( وحدة الدين والفلسفة والعلم )  
على هامش كتاب الوجود وله غير ذلك مؤلفات عديدة ، وأما عن  
حياته فليست كحياة العلماء والمفسرين وإنما هى حياة عبد خصه الله بشىء  
لم يختص به كثيرين من عباده من فتوح وإلهام وفيوضات إلهية لأنه خلق

ليعرف الحقيقة ويدعو الناس في كل الميادين من ميدان الصحافة وميدان الفن ومن ميدان الدين وميدان الفلسفة والعلم وذروة هذا كله ميدان التصوف الذي يز فيه أهل عصره لأنه علم من أعلام رجال التصوف فجراه الله عنا وعن الأمة الإسلامية والعالم أجمع خير الجزاء . وقصدي من ذلك كله أن نعرف شيخنا في علمه وجهاده وإذا أردنا أن نعرفه حق المعرفة فنتوجه إلى الله تعالى عن طريق التصوف نجد هناك علما وهذا حسبي وكفي .

أما الكلام عن أخلاقه فعلمنا بها كما يأتي :

يا كاسي الأخلاق في زمن عن الأخلاق عارى  
يا عاشق الحق الصريح وشأنه الخلق الموارى  
لم يجر في ناديك هجر القول أو خلق المدارى  
جم التواضع والتواضع آية القوم الكبار

وأما عن الحلم والعدل والكمال . فمثل مثل قول القائل :

لقد عاشرتنا فلبثت فينا مثالا للنزاهة والكمال  
بحلم كان محمود المزايا وعدل كان ممدود الظلال

أما عن زهده فمثل قول القائل :

يامن صدفت عن الدنيا وزينتها فلم يغرك من دنياك مغريها  
ماذا رأيت بأهل مصر حين رأوا أن يلبسوك من الآثواب زاهيها  
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلني ودأخلتني فيه حال ليس أدريها  
وكاد يصبو إلى دنياكم (أملى) ويرضى بيع باقيها بفانيها

أما عن الإفادة والاستفادة والتعليم وعن أهمية كتاب الوجود نقول :

بالأمس قد علمتنا أدب الكتابة والحوار  
واليوم قد ألطفتنا بالطيبات من التمار

بكتابك في الوجود صنو الحقيقة والمنار  
جاهدت في تفصيله وواصلت ليلك بالنهار

أما عما فيه من عطف ورحمة فمثل قول القائل :

في طي شدته أسرار مرحمة للعاملين ولكن ليس يغشيهما  
وبين جنبه في أوفى صرامته فؤاد والده ترعى ذرايها

هذا ويحدثنا أستاذنا عن السعادة فيقول :

إن كنت من الباحثين عن السعادة ، الراغبين في الحكمة ، الطامعين  
في رضا الحق فاصنع لأسألك هل أنت عالي الهمة وثاب العزيمة ؟ هل  
أنت صادق القول والعمل هل أنت مستقيم الطبع وسليم الفطرة ؟ هل  
تحب الله فوق كل شيء ؟ فإن لم تكن هكذا فكن ، وبغير ذلك لن توفق  
إلى معرفة نفسك وحياتك ولا حقيقة إنسانيتك ولا تشتم ربح السعادة  
والحرية والحكمة ولا تبصر نور الحق ولا يمكنك أن تحيا حياة الصديقين  
وعباد الله المخلصين ما لم تنصف بهذه الصفات .

ثم يتكلم سيادته عن الغاية والمبدأ فيقول :

كن أنت وجميع أعمالك لله ومن الله وإلى الله وليكن دمك وقفا على  
مقاصدك وأغراضك وليكن أبدا مبدؤك إما الغاية وإما المنية في النهاية .

ثم يتحدث عن محبة الإخاء لبعضهم فيقول :

عش في إخوانك لإخوانك . معتقدا أن الجميع لك باذلا في معونتهم  
نفيك ونفسك فما أنتم إلا روح واحدة في أجساد متعددة .

ويقول : الإخلاص روح الأعمال وهو مر الله في خلقه . يمن به على من  
يشاء من عباده ، ولست مخلصا ما اشتغلت عن الأعمال بالأقوال ، وعن  
الآخرة بمصائر الآمال ، أو انفعلت لغير الله بغير حال .

ثم يتحدث عن الصلاة والصيام والزكاة فيقول .

اعلم أن أفضل عمل ما أدته جوارحك ، لأنها صلة بين العبد ومولاه والخشوع مع الحضور فيها كلها . وخير طهور للنفس الصيام ، وصيانة الجوارح ملاكه ، وأعوذ أنواع البر على فاعله الزكاة ثم الصدقة سياجها ورأس الجميع خلوص النية وأفضلها ما صدر عن علم ، وخير العلم ما أيده العمل وأفضل العمل ما كان لله وحده .

ثم يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول :

أيها الأخ أأمر بالمعروف وأحبيب أهله ، وانه عن المنكر بيدك ولسانك وقلبك ولا تسكن من أهله وكن صديقاً للحق وانصره حيث وجدته ولا تخش فيه لوما ولا ذما ولا ترج على صديقك من غير الله أجراً وقل لا أملك لنفسي نقعاً ولا ضراً وكن مع الصادقين لتكون منهم يوم ينفع الصادقين صدقهم . ثم يتحدث عن الثقة بالله فيقول .

ثق دائماً بربك ، وتفقه بالدين ، واطلب من العلم ما يثبت اليقين ، والجأ في المعونة لمولائك ، فانك تلجأ إلى ركن متين رحمن حصين .

ثم يتحدث عن الابتعاد عن المهلك فيقول :

لا تسكن عبد شهوتك وقد خلقت حراً ولا تسلم قلبك لأهوائك فتبدل نعمة الله عليك كلفراً ولا تذلل للدنيا فتسلك بك مسالك الردى ويا خيبة السعى . ولا تخضع للهوى فان الهوى عدو الهدى وشريك العمى . ثم يقول : كن دائماً يقظاً متحفظاً وإن نازعتك نفسك في أمرفاعصها وأغلبها على أمرها وسر في عكس طريقها واطلب غير مرادها يسلس لك قيادها ويكبح جماحها ويذل سلطانها .

ثم يرشد إلى الحقيقة فيقول :

اعلم أنك خلقت للموت لا للحياة ، وللجهاد لا للراحة ، وللابتلاء لا للعافية واعلم أنك عرضة للآفات وغرض للمصائب والنائبات ولا سعادة لقلبك إلا في صحبتة ربك . واعلم أن الذي وهبك الحياة هو المالك لموتك فاعمل على خلاص نفسك ، ومهد في حياتك لموتك ، واستخدم يومك لغدك ولا تسكن عبداً إلا لربك . ويتكلم عن المجد الحقيقي فيقول : ياله من مجد خالد وعمل مجيد أن تطلب العلم للعلم وأن تخدم الإنسانية لذاتها وتعرف الله الله .

ثم ينهانا عن حب الدنيا فيقول :

لا تفتح لب الدنيا نوافذ قلبك ولا تنجس برخيصة ملذاتها حظيرة نفسك فيتفرق لبك ويكثر همك وتكون كمن اشترى لإحراق نفسه حملاً من حطب ، أو وضع رجله في تيمد من ذهب . ثم يوجهنا إلى أعظم الأعمال فيقول :

عليك بذكر الله في جميع حالاتك وفي سائر أوقاتك وحذار من الغفلة عنه في كل لحظتك وبكفيك في وجوبه القول المصون « واذكروا الله كثيراً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ثم يحثنا على مراقبة النفس فيقول :

ولتكن لك ساعة في يومك وليلتك ترجع فيها إلى ربك مفكراً في مبتدئك ومصيرك محاسباً نفسك على ما أسلفت من أيام عمرك ، فإن وجدت خيراً فاشكر وإن وجدت نقصاً فجاهد واضطرب .

ثم يحثنا على الصدق في القول والعمل والحال فيقول :

كن صادقاً في قولك وعمالك محباً للخير لجميع الناس كما تحبه لنفسك واعلم أن جميع أفكارك أوهام باطلة ما لم تكن إلى الله موجهة وبالصدق والإخلاص مكمللة .

ثم يحثنا على التمسك بالكمال دائماً فيقول :

تمسك بأذيال الكمال طول حياتك واهرب من النقص بكل طاقتك .  
وعليك بالصمت والتفكير في غالب أحيائك . وليكن كلامك نذراً قليلاً  
إلا في حق توبيخ أو خير تنشره وليكن دائماً عملاً أكثر من قولك وقولك أقل  
نما تسمع فإن مع الصمت والسكون الرقار والسكينة فإذا حدثت فاتند في حديثك  
وتكلم بإرادة ثابتة مشمولة بالإقناع الذي يحذوه الإخلاص في جميع عباراتك  
وحرركاتك ونبرات صوتك .

ثم يأمرنا بالعلم والعمل فيقول .

أعط للعلم باكورة أيام عمرك وأصفي ساعات دهرك ، فإن العلم غذاء  
النفس وصقال العقل ونور القلب وأحبه دائماً بالعمل فتكمل إنسانيتك  
ويرتفع عند الله والناس شأنك ، وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون  
ويقول في بيت له :

إن حياة المرء أعماله فاقبل على الأعمال قبل التراب

فيا أيها الأخ الكريم هذه لمعة وضئفة أرفها إليك للتعرف بعميد الفضيلين  
وتلاميذه الذين كانوا وما زالوا يعملون على نشر دعوته منذ أكثر من  
أربعين عاماً في جميع أنحاء العالم ( مسلم وغير مسلم ) يحملون مشعل النور  
فيضيء للجميع ويهدي إلى الإيمان الحق ونور العرفان وإلى الطريق المستقيم .

ونحنم نصائح وآداب العلمية والدينية والأخلاقية والصوفية وهي الجم  
الكثير بمختارات من قصيدته الوجدانية الثابتة التي هي جوهرة في السلوك  
ويخاطب بها الحقيقة الربانية فيقول في مناجات الحقيقة :

وجدت هواكم قاندي منذ نشأني فغبت عن الأكون إذ كنت وجهتي  
وهمت بكم والحب فيكم مصاحبي مدى العمر والأشواق كانت مطيتي



منى القلب لم يخطر سواكم بخاطري      ومذ كنت طفلا كان حبك قدرتي

إلى أن قال :

فيذكركم قلبي وما بحت باسمكم      لغير فؤادي أو لغير سريري  
وما طمحت في الحب نفسي لغيركم      وما غير ذاتي قرب ذاتي أحبت  
وإني من القوم الذين تقيموا      غراما وعهدى في الهوى قبل خلقتي  
وفي القلب نيران وفي العين وحشة      من الخلق والأسقام دوما قريني

إلى أن قال :

فحينما بحكم الروح أطمح للعلا      وتهبط بي حينما كثافة طينتي  
وطورا أراني حاضر أغبر غائب      وطورا أراني في غياهب غفلتي  
فما يصنع العاني أسير جمالكم      وشرط الهوى فيكم فناء الإرادة

إلى أن قال :

فخلصني من أسر الطبيعة واددني      بنورك يا الله وأوصل قطيعتي  
وأنعم بتطهير الفؤاد من الهوى      وجد لي بتوفيق ومن بأوبة  
ففي القرب روح الروح حقا وفي اللقا      حياة لنفس في الغرام اطمأنت  
وفي البعد لوعات وفي القرب رحمة      وفي الوصل راحات إذ الحب ملتي

ثم تكلم عن بحثه عن الحقيقة وتحمله المشاق في سبيلها فقال :

وإني بليلي قد منيت وسافني      عراحي لذلي بين أهلي وعترتي  
وكم من طريق للحمى قد سلكتها      وحملت فيها غصة بعد غصة  
وقاسيت ما قاسيت من ألم الجوى      وكرعت من كأس الهوى كل مرة  
فليسا قرعت الباب قصد لقائها      خلعت لها جاهي وعلبي ودعوتي  
وحققت وصفي وهو ذلي لعزها      وعاديت فيها حظ نفسي وعادتي  
وجدت إليها خاضعا متضرعا      منيها لها كما تكون مجيبي

وعفرت خدى فى التراب تذللًا  
فألغيت عزى فى امتثالى لأمرها  
ولما رأيت ذلى وعجزى ولوعتى  
وقربى الساقى لحان شرابها  
وصارت تناجينى بحلو خطابها  
وعاينت أسراراً تسامت بذاتها  
فكان فلاحى فى افتقارى وفاقى  
وترك مرادى فى مراد الأحبة  
تجملت إلى قلبى بمكنون حكمة  
فكان بها صحوى وسكرى ونشوى  
فشاهدتها لكن بعين بصيرتى  
وإنى أرى شرحى لها فوق طاقتى

ثم ينصح تلاميذه وإخوانه بقوله إذا أرادوا أن يسلكوا مسلكه :

وأنت كذا إن رمت قرب ديارها  
وسر فى هواها هائمًا بجهاها  
وهاجر إليها من حظوظك قاطعًا  
وواظب وثابر واعتكف لمراها  
وقابل جفا المحبوب بالصبر واثمد  
فقلبك طهر وامتلأ لأوامر  
وصبر وتسليم وورد ملازما  
وصحبة شيخ وهى أصل طريقهم  
وما سلمت فى الحى شاة شريفة  
ونفسك فاعرفها ولا تك جاهلا  
ألم تر ضرب الله أمثال نوره  
فقلبك كالمصباح والنفس زيته  
وذاتك مرآة وفكرك ضوءها  
فجاهد ترى تفصيل ما قلت واضحا  
وكن كاتما للسر عن غير أهله  
إلى أن قال :

صلاة من الرحمن ربى وخالقى على مظهر الأسرار خير الخليفة

مع الآل والأصحاب ما قال قائل وجدت هواكم قائدى منذ نشأتى  
فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أستاذنا مع الذين أنعم الله عليهم  
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك  
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، أقول قولى هذا — واستغفر  
الله لى ولكم

### طريقته رضى الله عنه

هذا وقد من الله علينا من فضله وعنايته بأن تنصل الطريقة الفيضية بأفضل  
مصادر الشاذلية ومواردها الهنية وسلاسلها الذهبية المتينة الوثائق والعرا  
حتى تلتقى بخير البرية وصفوة الأرومة العلوية والعترة النبوية المطهرة فقد أخذ  
شيخنا أبو الفيض المنوفى رضى الله عنه العهد بالطريقة الشاذلية الفاسية  
والمدينة الظافرية والشاذلية الخلوتية من طريق مرشد المريدين ومرضى السالكين  
السيد محمد العقاد دفين طنطا وجدد الميثاق على يد العارف المجاهد لله أخيه  
فى الطريق سيدى نسيم الدين الدرملى وهما أخذوا الطريق عن سيدى محمود  
الوفائى وأخذ عن السيد حسنين الحصافى للتبرك والحصافى والوفائى يجتمعان  
فى الأخذ عن سيدى محمد الفاسى وهو أخذ عن سيدى الشيخ القطب محمد  
ظافر المدنى وهو أخذ عن السيد الشريف مولانا العربى الدراوى الفاسى  
وهو أخذ عن القطب الشريف سيدى على الجمل العمرانى الفاسى وهو عن سيدى  
العربى بن أحمد بن عبد الله الفاسى وهو عن والده سيدى أحمد الفاسى وهو  
عن سيدى قاسم الإخصاصى عن سيدى عبد الرحمن الفاسى عن سيدى عبد الله  
والد سيدى أحمد الفاسى عن سيدى يوسف عن سيدى عبد الرحمن المجذوب  
عن سيدى على الصنهاجى عن سيدى إبراهيم الفحام عن البحر الدفوق سيدى  
الشيخ أحمد زروق عن سيدى أحمد بن عقبة الحضرمى عن سيدى الشريف

يحيى القادري عن السيد علي وفا عن والده بحر الصفا سيدي محمد وفا عن سيدي داود الباخلي عن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري صاحب الحكم عن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري صاحب الحكم عن سيدي أحمد أبو العباس المرسى عن سيدي علي أبي الحسن الشاذلي عن سيدي عبد السلام ابن مشيش عن سيدي عبد الرحمن المدني العطار عن تقي الدين الفقير (الفقير بالتصغير) عن سيدي نضر الدين عن سيدي نور الدين أبي الحسن عن سيدي تاج الدين عن سيدي شمس الدين بأرض الترك عن سيدي زين الدين القزويني عن سيدي إبراهيم البشري عن أبي القاسم بن مروان عن أبي محمد سعيد عن أبي فتح السعود عن أبي سعيد الغزواني عن سيد أبي محمد جابر عن السبط سيدنا الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب وأخذ الإمام علي عن صفوة خلق الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله أول خلق الله وخاتم أنبياء الله وأشفع الشافعين عند الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه آمين .

## حياة ونسب سيدي أبي الحسن الشاذلي

شيخنا رضي الله عنه

هو أبو الحسن الشاذلي شيخنا وقدوتنا في سبيل الله وفي طريق رسول الله الشيخ الكامل والولي الصديق الحبيب النسيب السيد أبو الحسن الشاذلي الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرم بن حاتم بن قصي بن يوسف ابن يوشع بن ورد بن أبي بطلال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى بن سيد شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد رضي الله لثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة النبوية سنة ٥٩٣ هـ بقرية من قرى غمارة من إفريقية قريبة من سبته وهي بالمغرب الأقصى وتوفي سنة ٦٥٦ هـ ودفن بصحراء عيذاب من صحارى صعيد مصر واشتغل

بالعلوم الشرعية حتى أتقنها فقها وسنة وتفسيرا . وكان رضى الله عنه فصيح  
اللسان عذب الكلام آدم اللون نحيف الجسم طويل القامة خفيف  
العارضين طويل أصابع اليدين شئن الكفين ، وقد حكى عن نفسه رضى الله  
عنه فقال :

كنت في مبدأ أمرى أطلب العلم حتى حصلت منه على ما يكفينى وأردت  
أن أسلك إلى الله طريقه فترددت فى هل أجوب البرارى والقفار أم أتفرغ  
للضاعة والإذكار؟ أم ألزم المدن والأصهار للمداية والافتداء بالأخيار؟ فوصف  
لى ولى برأس الجبل الأخضر وهو سيدى عبد السلام بن مشيش فصعدت  
إليه فسمعتة بقول : اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم  
لهم فرفضوا عنك بذلك . اللهم إنى أسألك أعوجاج الخلق على حتى لا يكون  
لى ملجأ إلا إليك . ولما دخلت عليه هبته وقلت له يا سيدى كيف حالك  
فقال أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير  
والاختيار . فقلت يا سيدى أما أشكوك من حر الاختيار فقد ذقته وأنا  
الآن فيه وأما أشكوك من برد الرضا والتسليم فلماذا ؟ قال أخاف أن  
تشغلنى حلاوتهم عن الله تعالى فمت يا سيدى سمعتك البارحة تقول اللهم  
إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم خلقك فرفضوا منك بذلك  
اللهم إنى أسألك أعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك فتبسم  
ثم قال يا بنى عوض ما تقول سخر لى قلى يارب كن لى .  
أرى إذا كان الله لك حر يفوتك شىء .

فطريقة سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه تنسب إلى الشيخ  
عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام بن مشيش ينسب إلى الشيخ  
عبد الرحمن المدنى ثم واحدا عن واحد إلى الحسن بن على بن أبى طالب  
كرم الله وجهه . انتهى والله أعلم .

حسن الراعى يوسف  
بالأزهر الشريف

## فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
	قسم البدايات وهو عشرة أبواب
٧	باب اليقظة
١١	، التوبة
١٨	، المحاسبة
٢٠	، الإنابة
٣٥	، التفكير
٤٠	، التذكر
٤٢	، الاعتصام
٤٤	، الفرار
٤٦	، الرياضة
٤٩	، السماع
٥٣	، الحزن
٥٤	، الخوف
٥٨	، الإشفاق
٦٠	، الخشوع
٦١	، الاخبات
٦٤	، الزهد
٦٧	، الورع
٧١	، التبتل
٧٤	، الرجاء
٧٧	، الرغبة

الصفحة

الموضوع

قسم المعاملات وهو عشرة أبواب

٨١	باب الرعاية
٨٣	» المراقبة
٨٦	» الحرمة
٨٨	» الإخلاص
٩٢	» التهذيب
٩٧	» الاستقامة
١٠٣	» التوكل
١٠٦	» التفويض
١٠٩	» الثقة بالله
١١٢	» التسليم

القسم الرابع وهو قسم الأخلاق ( وهو من عشرة أبواب )

١١٦	باب الصبر
١٢١	» الرضا
١٢٨	» الشكر
١٣١	» الحياء
١٣٤	» الصدق
١٣٧	» الإيثار
١٤٠	» الخلق
١٤٣	» التواضع
١٤٧	» الفتوة
١٥٢	» الإبتساط

القسم الخامس وهو قسم الأصول ( وهو من عشرة أبواب )

١٥٦

الصفحة	الموضوع
١٥٧	باب القصد
١٥٩	» العزم
١٦٢	» الإرادة
١٦٦	» الأدب
١٦٩	» اليقين
١٧٣	» الأنس
١٧٦	» الذكر
١٨٠	» الفقر
١٨٤	» الغنى
١٨٦	» مقام المراد
	القسم السادس وهو قسم الأدوية ( وفيه عشرة أبواب )
١٩٢	باب الإحسان
١٩٥	» العلم
١٩٩	» الحكمة
٢٠٠	باب البصيرة
٢٠٣	» الفراسة
٢٠٦	» التعظيم
٢٠٨	» الإلهام
٢١١	» السكينة
٢١٥	» الطمأنينة
٢١٨	» الهمة
	القسم السابع قسم الأحوال ( وهو من عشرة أبواب )
٢٢١	باب المحبة
٢٢٩	» الغيرة



الصفحة

الموضوع

٢٣١	باب الشوق
٢٣٣	» القلق
٢٣٥	» العطش
٢٣٦	» الوجد
٢٣٩	» الدهش
٢٤١	» الهيمان
٢٤٤	» البرق
٢٤٧	» الذوق

القسم الثامن وهو قسم الولايات ( وهو من عشرة أبواب )

٢٥٢	باب اللحظ
٢٥٦	» الوقت
٢٦٠	» الصفاء
٢٦٢	» السرور
٢٦٥	» السر
٢٧٠	» النفس
٢٨٠	» الغربة
٢٨١	» الغرق
٢٨٣	» الغيبة
٢٨٦	» التمكن

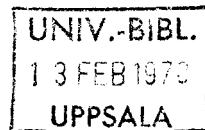
القسم التاسع وهو قسم الحقائق ( وهو من عشرة أبواب )

٢٨٨	باب المكاشفة
٢٩١	» المشاهدة
٢٩٦	» المعاينة

الصفحة	الموضوع
٢٩٨	باب الحياة
٣٠٣	القبض
٣٠٧	البسط
٣٠٩	السكر
٣١١	الصحو
٣١٢	الاتصال
٣١٥	الانفصال
	القسم العاشر قسم النهايات ( وهو من عشرة أبواب )
٣١٨	باب المعرفة
٣٢٤	الفناء
٣٢٨	البقاء
٣٢٩	التحقيق
٣٣١	التلبيس
٣٣٥	الوجود
٣٣٩	التجريد
٣٤١	التفريد
٣٤٣	الجمع
٣٤٦	التوحيد

مطبعة النهضة  
الغربية - القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٩٥٦/١٩٦٩



1970/44

